2020
4.1.2020

وليام س. بوروز

الغداء العاري

ترجمة: ريم غنايم

منشورات الجمل

رواية

وليام س. بوروز

الغداء العاري

رواية

ترجمة: ريم غنايم

منشورات الجمل

وليام س. بوروز: **الغداء العاري**، رواية

وليام س. بوروز: **الغداء العاري**، رواية، الطبعة الأولى
ترجمة: ريم غنايم
كافة حقوق النشر والاقتباس باللغة العربية
محفوظة لمنشورات الجمل، بيروت – بغداد ٢٠١٩
تلفون وفاكس: ٠٠٩٦١ ١ ٣٥٣٣٠٤
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

William S. Burroughs: *Naked Lunch*
© 1959, William S. Burroughs
© renewed, 1987, 1990, William S. Burroughs

© *Al-Kamel Verlag* 2019
Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

مقدّمة
بيان: شهادةٌ حَول مَرض

صحوتُ من المرض وأنا في الخامسة والأربعين من عمري، كنتُ هادئاً ومتعافياً، وبصحة جيدة إلى حدّ معقول باستثناء وقوع ضررٍ في الكبد ومنظر اللحم البشريّ المستعار المشترك لجميع النّاجين من المرض. . . معظم الناجين لا يتذكرون الهذيانات بالتّفصيل. ويبدو أنّني حرصت على توثيق المرض والهذيانات بشكلٍ مفصّل. لا أملك ذاكرةً دقيقةً في تدوين المذكرات المنشورة الآن تحت عنوان *الغداء العاري*. جاك كيرواك هو من اقترح العنوان. لم أفهم معنى التعبير إلى أن استرددتُ عافيتي مؤخّراً. العنوان يعني بالضبط ما تقوله الكلمات: الغداء العاري - لحظةٌ مجمدةٌ يرى فيها الجميع ما هو على رأس كلّ شوكة.

المرض هو إدمان المخدّرات وقد كنتُ مدمناً مدة خمسة عشر عاماً. عندما أقول «مدمناً» فأنا أعني الإدمان على الجانك (مصطلح عام يشيرُ إلى الأفيون و/أو مشتقاته التركيبية، من الديميرول وحتى البالفيوم). تعاطيتُ أصنافاً عديدة من الجانك: المورفين والهيروين والديلوديد واليوكودال والبانتوبون والديوكوديد والديوزان والأفيون والديميرول والدولوفين والبالفيوم. دخّنت، أكلتُ، واستنشقتُ

الجانك. حقنتُه في الوريد وأدخلتُه في التحاميل الشرجية. الإبرة ليست مهمة. سواء استنشقته أم دخّنته أم أكلته أم حشرته في مؤخرتك، فالنتيجة واحدة: إدمان. عندما أتحدّث عن إدمان المخدرات فأنا لا أعني الحشيش، الماريجوانا، الميسكالين، *البانيستيريا كابي*، الإل إس دي، الفطر أو أية أدوية أخرى من صنف المهلوسات... ليس هناك دليل على أن استخدام المهلوسات يسبّب التبعية الجسدية. تعمل هذه الأدوية من الناحية الفيزيولوجية نقيضَ عمل الجانك. البلبلة المؤسفة بين هاتين الفئتين من المخدرات تنبع من حميّة الولايات المتحدة والجهات الرسمية الأخرى المسؤولة عن مكافحة المخدرات.

على مدار خمسة عشر عاماً من الإدمان، درستُ جيداً طرق عمل فيروس الجانك. يدور الحديث حول هرم يتغذّى كلّ مستوى فيه من المستوى الذي يسبقه. ليس من قبيل الصدفة أن يكون الموجودون أعلى الهرم دائماً سماناً بينما المدمن المتواجد في الشارع دائماً ما يكون نحيفاً. وهكذا دواليك وصولاً إلى قمة الهرم أو الأهرامات، لأن هناك العديد من أهرامات المخدرات التي تغذّي شعوب العالم، وقد بُنيت جميعها على المبادئ الأساسية للاحتكار:

١- لا تعط شيئاً لأحد مجاناً أبداً.

٢- لا تعط أكثر مما يجب أن تعطيه. (دائماً امسك المشتري وهو جائع، واجعله ينتظر دائماً).

٣- استرجع كلّ ما يُمكنك استرجاعه.

التاجر دائماً يسترجع كلّ شيء. يحتاج المدمن إلى المزيد من الجانك ليحافظ على صورته الآدمية... ليزوّد الإدمان بالوقود.

الإدمان هو قالب الاحتكار والاستحواذ. يقف المدمن متفرجاً بينما تحمله ساقاه على عارضة الاحتكار ليتسبب شعاعُ الجانك في انتكاسته. الإدمان شيءٌ كمّيّ وقابل للقياس بدقّة. كلّما تعاطيت أكثر سيكون لديك أقل، وكلّما كان لديك أكثر ستتعاطى أكثر. تعتبر جميع المهلوسات مقدّسة من قبل أولئك الذين يتعاطونها - هناك طائفة البيوتي وهناك طائفة البانيستريا، طائفة الحشيش وطائفة الفطر - «فطر المكسيك المقدس يمكّن المرء من رؤية اللّه» - ولكن لم يقل أحد إن الجانك مقدس إطلاقاً. لا توجد طائفة متعاطي الأفيون. الأفيون دنِس وكمّي، مثل المال. سمعت أنه كان هناك صنف من الجانك في الهند لا يضرّ ولا يسبّب الإدمان. كان يطلق عليه اسم *سوما* ووُصف كَمَدٍّ أزرق جميل. على فرض أنّ صنف *سوما* كان موجوداً بالفعل، فقد سيطر عليه أحد تجّار المخدّرات واحتكره وباعه، وحوّله إلى صنف الجانك المألوف.

الجانك هو منتوج مثالي... بضاعة تامّة. لا يحتاج إلى ترويج. سوف يزحف الزبون في مياه الصّرف الصحّي ويتسوّل لكي يشتريه... تاجر المخدرات لا يبيع منتوجه للمستهلك، وإنّما يبيع المستهلك للمنتوج. إنّه لا يحسّن أو يبسّط بضاعته. بل يهين الزبون ويحقّره، ويدفع للعاملين لديه مادة الجانك مقابلاً.

يعمل فيروس الجانك اللعين وفق صيغة في غاية البساطة هي: *معادلة الحاجة*. وجه «الشّرّ» هو دائماً وجه الحاجة الإجمالية. مدمن المخدرات هو رجل في حاجة مطلقة إلى المخدرات. بعد تردّد معين لا يعود يعرف حداً أو سيطرة. بلغة الحاجة التامة: «*ألم تكن لتفعلها*؟». بكل تأكيد: تكذب، تغش، تشي بأصدقائك، تسرق وتفعل *أيّ* شيء لإرضاء الحاجة الإجمالية. لأنك ستكون في حالة

مرض تامّ، تملّك تامّ، وليس في وضع يسمح لك بالتصرف بأيّ شكل آخر. المدمنون هم أشخاص مرضى لا يستطيعون التصرف بخلاف ما هم عليه. كلبٌ مصاب بداء الكلب لن يختار إلا العضّ. ليست الغاية أخلاقية إلا إذا كانت الغاية الحفاظ على عمل فيروس الجانك. وتجارة المخدرات عالمٌ هائل. أذكر محادثة لي مع أمريكيّ عمل في لجنة مكافحة مرض الحمى القلاعية في المكسيك. ستمئة في الشهر بالإضافة إلى حساب المصاريف:

«إلى متى سيستمر هذا الوباء؟» سألته.

«ما دمنا نواصل مسيرتنا معه... كما أنّه... قد ينتشر في أمريكا الجنوبية»، قال بنبرة حالمة.

لكي تغيّر أو تنسف هرماً من الأرقام في علاقة تسلسلية، عليك أن تبدأ بالرقم السفلي. إذا أردنا أن ننسف هرم الجانك، علينا أن نبدأ بأسفل الهرم، أي: المدمن ابن الشارع، ونتوقف عن شنّ الهجوم الدون كيخوتيّ على من هم في القمّة، كما يبدو، أولئك القابلين للاستبدال الفوريّ. *المدمن ابن الشارع هو العامل المتغيّر الوحيد في معادلة الجانك*. عندما لا يكون هناك المزيد من المدمنين لشراء البضاعة ستتوقف تجارة المخدرات. ما دامت هناك حاجة إلى المخدرات، سيكون هناك من يقدّم الخدمة.

إمّا أن يتعافى المدمنون أو يتمّ عزلهم - بمعنى تزويدهم بنسبٍ من المورفين، تحت الحدّ الأدنى من الإشراف، كما هي الحال مع حاملي مرض التيفوئيد. عندما يتم ذلك، سوف تنهار أهرامات الجانك العالمية. ما أعرفه أن إنجلترا هي الدولة الوحيدة التي تطبّق هذه الطريقة في مشكلة الجانك. حوالي خمسمئة مدمن في الحجر الصحيّ في إنجلترا. في جيل آخر، عندما يموت المدمنون في الحجر

الصحيّ ويتم اكتشاف مسكنات الألم التي لا تعمل بمبدأ المواد المخدرة، سيكون فيروس المخدرات مثل الجدري، فصلاً منتهياً - طرفة طبيّة.

اللقاح القادر على القضاء على فيروس المخدرات موجود اليوم. هذا اللقاح هو العلاج بالأبومورفين الذي طوّره طبيب إنجليزي أمتنعُ عن ذكر اسمه إلى حين مصادقته أو الاقتباس من كتابه الذي يغطي ثلاثين عاماً من العلاج بالأبومورفين للمدمنين على المخدرات والكحول. يتكوّن الأبومورفين من مركّب المورفين المغلي مع حمض الهيدروكلوريك. وقد اكتُشف قبل سنوات من استخدامه كعلاج للمدمنين. لسنوات عديدة كان الاستخدام الوحيد للأبومورفين الذي لا يحتوي على خصائص مخدرة أو مسكنة، تسريع التقيؤ في حالات التسمم. وهو يعمل مباشرة على مركز التقيؤ في الدماغ الخلفيّ.

لقد وجدتُ هذا اللقاح في نهاية إدماني. كنت أعيش في شقة مكوّنة من غرفة واحدة في الحيّ العتيق في طنجة. لم أكن قد استحممت عاماً ولا غيرت ملابسي أو خلعتها لغرز إبرة كلّ ساعة في الجسد الخشبي الرمادي للمدمن المنتهي. لم أنظف الغرفة المغبرة. أكوام من الصناديق الفارغة والقمامة وصلت إلى السقف. انقطعت الكهرباء والماء منذ فترة طويلة لعدم الدفع. لم أفعل شيئاً على الإطلاق. أمكنني تأمل طرف حذائي لمدة ثماني ساعات. كنت أستيقظ فقط مع نفاد ساعة الجانك الرملية. إذا حضر أحدهم لزيارة - ونادراً ما حدث ذلك، فما تبقى لزيارته - كنت أجلس بلا حراك غير مكترث لدخوله مجال رؤيتي أو خروجه منها - شاشة رمادية فترت وخفتت من يوم إلى آخر. لو مات أمامي كنت سأجلس هناك وأتأمل طرف حذائي وأنتظر اللحظة التي سأفتش فيها جيوبه. ألم تكن

لتفعلها؟ لأنّني لم أمتلك ما يكفيني من الجانك - دائماً لم يكن ما يكفي. ثلاثون حبة من المورفين في اليوم، ولم تكن كافية. والانتظار طويلاً أمام الصيدلية. التأخير هو عُرف في تجارة الجانك. الرجل لا يأتي أبداً في الوقت المحدد. هذا ليس من قبيل الصدفة. لا توجد مصادفات في عالم الجانك. يتعلم المدمن مراراً وتكراراً ماذا سيحدث بالضبط إذا لم يجدول نفسه للحصول على حصته من الجانك. هات النقود وإلا! وفجأة بدأت عادتي على الإدمان تتزايد. أربعون، ستون حبة يومياً. ولم تكن كافية. ولم أقوَ على الدفع.

وقفت هناك والشيك الأخير في يدي، وقد أدركت أنه الشيك الأخير. استقللت الطائرة القادمة إلى لندن.

أوضح لي الطبيب أن الأبومورفين يعمل على الدماغ الخلفي لتنظيم عملية الأيض وتطبيع مجرى الدم بحيث إنه، في غضون أربعة- خمسة أيام، تتهدم الإنزيمات المسؤولة عن الإدمان. في اللحظة التي ينتظم فيها عمل الدماغ الخلفي يمكن وقف الأبومورفين والعودة إليه فقط في حالة الوقوع في الإدمان مرة أخرى. (لا يمكن لأحد أن يتناول الأبومورفين للمتعة: *لم تُسجل حالة واحدة من حالات الإدمان على الأبومورفين*). وافقت على الخضوع للعلاج ودخلت دار رعاية. طوال الأربع وعشرين ساعة الأولى كنت مجنوناً بمعنى الكلمة، وكنت مصاباً بالزّور مثل العديد من المدمنين المصابين بأعراض انسحابية شديدة. اختفت هذه الهذيانات بعد أربع وعشرين ساعة من العلاج بالأبومورفين المركّز. أراني الطبيب جدول المتابعة. كنت قد تلقّيتُ كميات مخففة من المورفين والتي لا يمكنها أن تفسر غياب الأعراض الانسحابيّة الخطيرة مثل تقلّصات الساق والمعدة والحمى وأعراضي الخاصّة: حروقات برد، تشبه مرضاً

جلدياً يغطي الجسم وتمّ دهنه بالمنتول. كلّ مدمن له أعراضه الخاصة الخارجة عن السيطرة. كان هناك عامل مفقود في المعادلة الانسحابية - هذا العامل يمكنه فقط أن يكون الأبومورفين.

جرّبت نجاعة الأبومورفين بنفسي. بعد مرور ثمانية أيام على بداية العلاج، تركت العيادة وأنا في حالة أستطيع فيها أن أتناول الطعام وأخلد للنوم بشكلٍ طبيعيّ. بقيتُ معافىً تماماً من الإدمان لمدّة عامين كاملَين - وهو رقم قياسي لم يتحطّم طوال اثني عشر عاماً. عانيتُ من بعض الانتكاسات لبضعة شهور كان سببها الألم والمرض. كان هناك علاج آخر بالأبومورفين وقاني من الإدمان أثناء تأليف هذا الكتاب.

يختلف العلاج بالأبومورفين من حيث نوعه عن طرق العلاج الأخرى. جرّبتها جميعها. تخفيف سريع. تخفيف بطيء. كورتيزون، مضادات الهيستامين، مسكّنات، علاجات بالنوم، تولسيرول، ريزيرباين - كلّها، على حد سواء، لم تصمد أمام السقطة الأولى. يمكنني أن أقول على نحو مؤكّد إني لم أتداوَ بشكلٍ أيضي إلاّ مع علاج الأبومورفين. المعطيات الإحصائيّة الكثيرة التي جمعها مستشفى الإدمان في ليكسنغتون، جعلت العديد من الأطباء يصرّحون أنّه لم يكن هناك علاج للإدمان. على حدّ علمي، تمت طريقة العلاج في ليكسنغتون باستخدام كميات مخففة من الدولوفين، لكنهم لم يستخدموا طريقة الأبومورفين. في الواقع، تمّ إهمال طريقة العلاج هذه. لم تكن هناك محاولات بحثيّة جادة لتطوير صيغة الأبومورفين أو مركّباته. لا شك أنه بالإمكان تطوير مواد تكون أكثر فاعليّة من الأبومورفين بخمسين مرّة، وفي المقابل القضاء على الآثار الجانبيّة للقيء.

يعمل الأبومورفين كمنظّم لعمليّات الأيض وللعمليّة النفسيّة في الجسم. يمكن وقف استخدامه في اللحظة التي ينهي فيها عمله. العالم يعجّ بالمسكنات والمنشطات لكنّ هذا المنظّم الفريد من نوعه لم يلق انتباهاً. لم تدرس أيّ من شركات تصنيع الأدوية الكبرى هذه المادة. أنا أزعم أنّ دراسة الأبومورفين ومشتقاته ستفتح آفاقا طبيّة جديدة إلى ما هو أبعد من مشكلة الإدمان.

لقد لاقى لقاح الجدري صرخة احتجاج من قبل مجموعة مجنونة معادية للقاح الجدريّ. ولا شك أنه ستكون صرخة احتجاج مشابهة من قبل الأفراد المنتفعين أو المجانين عندما يُسحَب بساط السيطرة على فيروس الجانك من تحت أقدامهم. الجانك صناعة تجاريّة كبيرة؛ ثمة دائماً من يدير العمل ويحرّكه. يجب عدم السماح لهم بالتدخل في مهمة التلقيح والمراقبة الطبية. فيروس الجانك هو المشكلة الصحيّة العالمية الأولى في العالم اليوم.

بما أنّ *الغداء العاري* يتناول هذه المشكلة الصحية، فمن الضرورة أن يكون الكتاب وحشياً، فاحشاً ومثيراً للاشمئزاز. يتجلّى المرضُ في كثير من الأحيان عبر تفاصيل تثير اشمئزاز النفوس الرقيقة.

في هذا الكتاب، ثمّة مقاطع عُرّفت كـ«إباحيّة» وقد كُتِبَت كمنشور مناهض لعقوبة الموت بإلهام من كتاب جوناثان سويفت *عرض متواضع*. غرض هذه المقاطع هو عرض عقوبة المَوت كما هي: تنطوي على المفارقة على نحو مثير للاشمئزاز ووحشيّ وفاحش. الغداء عارٍ كالعادة. لو أرادت الدول المتقدّمة العودة إلى طقوس الشنق الدرويديّة أو إلى شرب الدّم مع الأزتيكيين وإطعام آلهتهم بأضحيات بشريّة تنزف، من المفضّل أن يروا ماذا أكلوا وشربوا حقاً.

وأنا أكتب، أتممتُ تقريباً تكملة *الغداء العاري*: ملحق رياضي لمعادلة الحاجة من وراء فيروس الجانك. بما أن هناك العديد من أشكال الإدمان أعتقد أنّها جميعها تخضع للقوانين الأساسية. على حد قول هايزنبرغ: «لعل هذ الكون ليس الأفضل من بين جميع الأكوان المحتملة، ولكن سيَثبت أنه الأكثر بساطة من بينها». لو استطاع الإنسان أن يرى.

تنبيه... *ألم تكن لتفعلها*؟

شخصياً أقول، وإن تحدّث المرء على نحو مغاير فيجب فحص المادّة السائلة لخلايا جسمه المسؤولة عن ذلك... *لا أريد أن أستمع أكثر إلى هذا الهذر حول الجانك وتفاهاته... كلّ شيء قيل مليون مرّة* ولا فائدة من قول شيء *لأن لا شيء يحدث في عالَم الجانك*. بتاتاً.

نقطة الضّوء الوحيدة في طريق الموت المتعب هذه هي الضّربة التي تصيبك عندما ينقطع تيار الجانك من جسدك بسبب نفاد الأموال، فيموت جلد المدمن بسبب نقص الجانك وبسبب جرعة زائدة في الوقت بينما الجلد القديم قد نسي قوانين لعبة الجلد ولم يعد يعمل... حالة من الانكشاف التام لا يسع فيها المدمن المفطوم إلا أن يشمّ ويصغي ويشاهد... السيارات على سبيل المثال...

من الواضح أنّ طريق الجانك هو حلقة لامتناهية من شم الأفيون وسدّ الفمّ. للخنافس فقط: متشردون في أكوام الجانك ولهذا: وجب التخلص منها مباشرة. تعبت من رؤيتها.

المدمنون لا يتوقفون عن التذمر من البرد، لهذا يرفعون ياقات معاطفهم ويقبضون على رقابهم الذاوية. هذيان مدمنين. لا يريد

المدمن دفئاً، يريد برداً شديداً. لكنّه يريد البرد بالضّبط حيث يريد الجانك - ليس في الخارج حيث لا يعطيه شعوراً جيداً، وإنّما في الدّاخل حيث يمكنه أن يجلس بعمود فقري منتصب مثل رافعة مائيّة... وعملية الأيض تكاد تنعدم. قد يقضي المدمنون الميؤوس منهم شهرين من دون الذهاب إلى المرحاض وتكون النتيجة انسداداً معوياً - *ألم تكن لتفعلها*؟ هذه حالة تتطلّب تدخّل أداة نزع بذور التفاح أو ما يقابلها جراحياً... هذا حال الحياة في المجمّد. لِمَ التحرّك وتضييع الوقت؟

ثمة مكان لشخص إضافيّ يا سيّدي.

بعض الكائنات تجد متعتها في الديناميكا الحراريّة. هي من أوجدت الديناميكا الحراريّة... *ألم تكن لتفعلها*؟

البعض منا ينفعل من أشياء أخرى. مثل وضع الأشياء على الطاولة كما أحبّ أنا أن أرى ما آكل، والعكس يشمل التغييرات اللازمة. *غرفة بيل للغداء العاري*... تفضلوا. صغاراً وكباراً، بشراً ووحوشاً. لا شيء مثل بعض من زيت الثعبان لتشحيم العجلات ومشاهدة عرض من عروض بيل. فيم ترغبون؟ هيدروليّات مجمّدة؟ أم أنّكم ترغبون في جولة مع الصّديق بيل؟

تلك هي المشكلة الصحيّة العالميّة التي تحدثت عنها. هذا ما ينتظرنا أيها الأصدقاء الأعزّاء! هل أسمع غمزاً ولمزاً عن موسى حلاقة شخصيّة وعن فنان هاو مخادع ابتكر عرض بيل؟ ألم تكن لتجرّب؟ كانت موسى الحلاقة تخص رجلاً اسمه أوكام وكان جامع ندوب. يقول لودوفيغ فيتغنشتاين في الرسالة المنطقيّة الفلسفية «إذا لم يكن افتراض معيّن ضرورياً فإنّه بلا معنى وأقرب إلى الصفرية».

«وأي شيء أقلّ ضرورةً من الجانك عندما لا تكون في حاجة إليه؟».

الإجابة: «المدمنون (إن لم تكونوا مدمنين على الجانك)».

أقول لكم يا سادة، لقد سمعت في حياتي ما يكفي من المحادثات المبتذلة لكن لا شيء يضاهي التباطؤ الديناميّ الحراريّ للجانك. عامّةً، لا يقول مدمن الهيروين شيئاً وهذا شيء يمكنني احتماله. لكن «مدخن» الأفيون يميل أكثر إلى النشاط لأنه لا يزال يملك مأوى... كذلك بعض الأصدقاء الذين يرقدون هناك كالزواحف الشتائيّة ويتمكّنون من الحفاظ على درجة حرارة للحديث: انظروا إلى الحشاشين الآخرين في الحضيض، لكننا نمتلك مأوى، وكم هو جميل ودافئ هنا كم هو جميل ودافئ هنا في الداخل، وفي الخارج صقيع... صقيع في الخارج حيث أكلة الخراء وحاقنو الإبر، ولن يصمدوا عامين، بالكاد ستة شهور، يرقدون مهانين بلا مكانة... لكننا نجلس هنا ولا نزيد الجرعة... أبداً لا نفعلها إلا اذا كانت مناسبة خاصة في المساء مع كل أكلة الخراء وحاقني الإبر هناك في البرد... ولا نأكله أبداً... عذراً رجاءً، عليَّ التوجّه إلى مصدر الحياة الموجود في جيب الجميع، وحبوب الأفيون في المؤخرة داخل الواقي الذكري مع مجوهرات العائلة والخراء الآخر.

ثمّة مكانٌ لشخص إضافيّ يا سيّدي.

هذا التسجيل يجول منذ مليار سنة ضوئيّة ولحنه لا يتغيّر، وعلينا نحن الذين لسنا من فئة المدمنين، اتخاذ إجراءات جذريّة تفرق بين الرجال والمدمنين.

الطريقة الوحيدة لحماية نفسك من هذا الخطر المروع أن تأتي

إلى هنا وتتواجد مع كاريبديس[1]... لتعتني بك كالأطفال... حشيش وسجائر.

قضيتُ خمسة عشر عاماً تحت هذا السقف. دخلت وخرجت ودخلت وخرجت ودخلت وخرجت. خرجت ولم أعد. إذاً، استمعوا جيداً إلى العمّ بيل بوروز[2] الذي اخترع الآلة الحاسبة وفق مبدأ جاك الهيدروليكيّ حيث لا يهم في أي اتجاه تهزّ المقبض، فالنتيجة واحدة. بدأت التمرين في وقت مبكر... وأنت ألم تكن لتفعلها؟

انظروا انظروا جيداً إلى نهاية طريق الجانك قبل أن تسلكوه وتسقطوا في الحضيض...

وليفهم أولو الألباب.

وليام س. بوروز

---

(١) وحش من الأساطير اليونانية. تمتص مياه البحر وتلفظها بقوة. (الملاحظات الواردة في الهامش للمترجمة، إلا إذا أشير إلى مؤلّف الكتاب).

(٢) وليام سيوارد بوروز هو جد الكاتب وليام سيوارد بوروز وقد قدّم أول براءة اختراع للآلة الحاسبة عام ١٨٨٥.

تأملات في البيان

عندما أقول إنّني لا أتذكّر تأليف *الغداء العاري* فأنا بالطبع أبالغ، ومن المستحسن أن نتذكّر وجود عدّة أنواع للذاكرة. الجانك هو مسكّن للآلام، ويقتل مشاعر الألم والمتعة الكامنين في الوعي. بينما تكون ذاكرة المدمن الواقعيّة دقيقة وشاملة، تكون ذاكرته الحسية شحيحة، وفي حال الإدمان الثقيل، تصل إلى عاطفيّة صفريّة.

عندما أقول إنّ «فيروس الجانك هو المشكلة الصحية العالمية الأولى»، لا أقصد بالضرورة التأثير السلبيّ للسموم الأفيونيّة على سلامة الجسد (حيث إن التعاطي بالحدّ الأدنى يمكنه تقليص الأضرار)، وإنّما أيضاً الهستيريا التي يثيرها استخدام المخدّرات عند المجموعات المبرمجة، على أيدي الإعلام ومؤسسات مكافحة الإدمان، للرّد بشكل هستيريّ.

مشكلة الجانك، في شكلها الحاليّ، تولدت عام ١٩١٤ مع ظهور «قانون هاريسون» في الولايات المتحدة الأمريكية. هستيريا مناهضة المخدرات في العالم تتواجد اليوم في أوجها، وتنطوي على تهديد جوهريّ للحرية الفردية والحقّ في الحماية القضائيّة المناسبة في أيّ مكان.

وليام س. بوروز
تشرين الأول ١٩٩١.

واتجهنا غرباً

يُمكنني أن أشعر بدنوّ رجال الشّرطة منّي، أشعر بتحرّكاتهم، يجهّزون مخبريهم الخاضعين، ينحنون على ملعقتي وقطّارتي اللتين ألقيتُ بهما عند ساحة واشنطن، أقفز من فوق الباب الدّوار، أهبط سريعاً عن الدّرج الحديديّ، أدركُ القطار نحو أبتاون... شابّ، بهيّ الطّلعة، قصير الشعر، ينتسب إلى جامعة مرموقة، يبدو مروّجاً شاذاً، يثبّت الباب إلى الخلف من أجلي. مؤكّد أنّي أبدو له طرازاً. هو من الصّنف الذي ينجذب إلى السّقاة وسائقي سيارات الأجرة، يتحدّث عن الملاكمة والبيسبول، وينادي بائعي المحلات بأسمائهم. مجرّد فاشل. وفي الوقت تماماً، يهبط على الرصيف بائع مخدّرات حقير بمعطف خندق أبيض (تخيّلوا الرجل يتعقّب أثر أحدهم بمعطف خندق أبيض - يحاول على ما يبدو أن يتخفّى في هيئة مثليّ). يمكنني أن أسمعه بينما يُمسك عدّتي بيده اليسرى ويده اليمنى على شيئه: «أعتقد أن شيئاً ما سقط منك يا رفيق».

لكن المترو يتحرّك.

«سلاماً أيها المخبر»، أصرخ، مُظهراً للشاذّ الوضعيّة التي

ينتظرها. أنظر إلى عينيه، أدرك الأسنان البيضاء، السمرة الفلوريديّة، بذلة المئتي دولار، القميص المزرّر حتى آخره بماركة بروكسبروذرز، ويحمل صحيفة «ذانيوز» على سبيل الدعامة. «لكنّني أقرأ فقط القسم الهزليّ».

أخرق يريدُ التّظاهر بأنّه مطّلع... يتحدّث عن «الحشيش» حتى أنّه يدخّنه بين الحين والآخر، ويحتفظ ببعض منه جانباً ليقدّمه لشخصيات في المجال.

أقول: «شكراً يا فتى، أرى أنّك واحد منا». يضيء وجهه مثل آلة الكرة والدبابيس، بأثرٍ حماقة ورديّة.

«لقد وشى بي»، قلت بمرارة. دنوت منه ووضعت أصابعي، أصابع المدمن القذرة على كمّه الأنيق. «كأننا لم نحقن معاً نفس الإبرة القذرة. أستطيع أن أخبرك أنّه ينتظر حقنة ساخنة». (ملاحظة: يدور الحديث عن مخدرات ممزوجة بسُم يباع للمدمن بهدف تصفيته. غالباً ما تعطى لواشٍ. عادة ما تكون الحقنة الساخنة من مادة الاستركنين لأنها تشبه المخدرات في شكلها وطعمها.

«هل تسنّت لك رؤية شخص يحقن حقنة ساخنة يوماً؟ رأيت الأعرج يتعاطاها في فيلاديلفيا. وضعنا في غرفته مرآة ذات جانبين وتقاضينا ورقة من فئة عشرة دولارات مقابل المشاهدة. لم يتسن له إخراج الإبرة من ذراعه. لا يحدث ذلك إذا تمّ تحضير الحقنة كما يجب. بهذه الطريقة يجدونهم: قطارة مليئة بالدم المتخثر تتدلّى من ذراع مزرقة. والنظرة التي في عينيه عندما أدرك الأمر - يا فتى، يا لها من متعة...».

«هذا يذكّرني بأيّام سفري مع اليَقظ، أفضل المبتزّين في تجارة الجانك. كنا في شيكاغو...نتولى أمر الشّواذ جنسياً في لينكولن

بارك. في أحد المساءات وصل اليَقظ إلى العمل بجزمة رعاة البقر وصدرة سوداء عليها نجمة الشريف، ووهق تدلّى على كتفه.

«قلت له: ما بك؟ صرت مسطولاً؟».

«نظر إليّ وقال: 'خذ أيها الغريب' وأخرج مسدساً صدئاً فوليتُ هارباً قاطعاً المتنزه والرصاص من حولي. وقد علّق ثلاثة من الشّواذ قبل أن يدقّه رجال الشرطة. أعني أن اليقظ استحق اسمه».

«لاحظ كم تعبيراً مشتركاً يوجد للمنحرفين جنسياً والمحتالين لكَي يعرّفوا الشخص الآخر أنّهم في نفس الخط؟».

«امسكها!».

«امسِك فتى المسكّنات التي يأتي بها إلى الغبيّ!».

«إيغر بيفر يغازله بسرعة».

«يقول فتى محل الأحذية (حصل على هذا الاسم المستعار من ابتزاز الفتيشيّين في محلات الأحذية): 'اعطها للأحمق مع الفازلين وسيتوسل إليك من أجل المزيد'. عندما يلتقط فتى الأحذية أحد الحمقى، يصبح تنفّسه ثقيلاً. ينتفخ وجهه وتحمرّ شفتاه مثل رجل إسكيمو متهيّج. ثم، وببطء، يبدأ بمغازلة الأحمق، يتحسّسه، يتلمّسه بأصابع اكتوبلازما متعفّنة».

«يمتلك الساذج وجه فتى صغير مستقيماً، يشعّ عليه مثل نيون أزرق. يبدو وكأنه نزل للتو من غلاف ساترداي إيفنينغ بوست بقلادة من جماجم أسماك القرموط، وحفظ نفسه داخل الجانك. تابعوه لا يتظلّمون، والمحتالون يؤدّون المهمّة عنه. في يوم، فَقَد فَتانا الصغير الأزرق توازنه، وما بدر منه أمكنه أن يثير الغثيان عند المسعفين. في النهاية فقد الساذج عقله تماماً، وبدأ يركض في محطّات مترو الأنفاق ويشغّل الماكينات الآليّة الفارغة صارخاً: 'عد أيها الغلام! عد!'

ويلحق بغلامه مباشرة حتى إيست ريفر، بين الأوقية الذكريّة وقشور البرتقال، فسيفساء من الجرائد العائمة، نازلاً معه أسفل الوحل الأسود حيث أفراد العصابات مصبوبون بالباطون، والمسدسات مسحوقة تماماً لتجنب الأصابع المتفحصة لخبراء القذائف الشهوانيين».

ويفكّر الشاذّ: «يا له من شخص! كم أتوق لأحكي للرفاق في الحيّ عنه». الرّجل يجمع بين صنوف من الشخصيات، لن يصمد أمام حركة من حركات جو غولد. لذا خصمت منه عشرة وحدّدت معه موعداً كي أبيعه «الزّهرة» كما يقول، وأنا أفكر: «سأبيع القطرم لهذا الأحمق» (ملاحظة: القطرم نبتة لها رائحة تشبه رائحة الماريجوانا عند احتراقه. عادة ما يبيعونه لمن لا يدرك ذلك، ولا يأخذ حذره).

قلت: «حسناً، المهمة تناديني. وكما قال قاض لزميله: كُن عادلاً، وإن لم تستطع، فكُن متعسّفاً».

أقطعُ باتجاه ماكنة الطعام الآلية وأرى بيل غينس متكوّماً داخل معطف شخص آخر ويبدو مثل مصرفيّ من العام ١٩١٠ يعاني من شلل جزئيّ، وأولد بارت، بالٍ ومبهم، يغمس الكعك الإسفنجي في كوب من القهوة بأصابعه القذرة، التي تشعّ فوق القذارة.

كان لي بعض الزبائن في أبتاون تولّى بيل شأنهم، وقد عرف بارت أشخاصاً متقادمين، من فترة تدخين الكيف، حرّاساً ليليين طيفيين، رماديين كالرماد، عتالين شبحيين يكنسون الردهات المغبرة بأيدي كهلة بطيئة، يسعلون ويبصقون غثيان الجانك فجراً، تجار أثاث مسروق متقاعدين في فنادق مسرحيّة، روز بانتوبون السيدة العجوز من بيوريا، نُدُلاً صينيين رواقيّين لن يُظهروا مرضهم أبداً.

كان بارت يبحث عنهم وهو يخطو خطوات صبورة وحذرة وبطيئة، ملقياً في أيديهم المفتقرة إلى الدم بضعَ ساعات من الدفء.

ذات مرّة، قمتُ معه بجولة للمُتعة. هل تعرفون كيف يفقد كبار السّنّ الحياء في طريقة أكلهم، وهذا يجعلكم تنظرون إليهم وتستفرِغون؟ ذات الشيء يحدث مع المدمنين المتقدمين في السن والجانك. في حال رؤيتهم الجانك يثرثرون ويطلقون صيحات عالية. يسيل لعابهم من الذقن، بطونهم تقعقع، وتتطاحن أمعاؤهم وهم يحضّرون الجانك، وتبدأ جلودهم في الذوبان، كما لو أنّ كتلة بروتومبلازمية منهم سوف تطير على الجانك في أي لحظة. رؤية ذلك أمر يثير فيك الاشمئزاز بالفعل.

«يوماً ما، سيصبح أولادي مثلهم، أليست الحياة غريبة؟» فكّرت في نفسي متفلسفاً.

عدتُ إلى داون تاون عبر محطة شيريدان في حال تربّص بي المخبر في مكان ما.

كما قلت، لم يكن الأمر ليستمرّ. عرفتُ أنهم اجتمعوا لممارسة السّحر الشّرطيّ، واضعين دمية تشبهني في سجن ليفينوورث. «لا فائدة من حقنها يا مايك».

سمعت أنهم أمسكوا تشابين مع دمية. المخبر المخصيّ كان يجلس في قبو المحطة ويعلق دميته ليل نهار، عاماً بعد عام. وعندما قضى تشابين في سجن كونيتيكت، وجدوا هذا الزاحف العجوز برقبة مكسورة.

«سقط عن الدرج»، قالوا. هراء رجال الشرطة.

الجانك محاط بالسحر والأوشمة، اللعنات والتمائم. أمكنني العثور على التاجر الوسيط في مكسيكو سيتي، بالاستشعار. «ليس في

هذا الشارع... في الشارع التالي، يميناً... الآن يساراً. الآن يميناً مجدداً». وهناك وجدته، بوجه سيدة عجوز فاقدة أسنانها وعينيها.

أعرف تاجراً يتجول مدندناً لحناً وكلّ من يمرّ بجانبه يصاب بالعدوى. هو غامض جداً وشبحيّ ومجهول لدرجة أنهم لا يرونه ويعتقدون أن أدمغتهم هي التي تدندن اللحن. لذا يصل إليه الزبائن وهم يدندنون في ذلك اليوم ألحان أغنية ما. أحياناً أمكنك أن ترى خمسين مدمناً يزحفون وهم يعانون من نوبة، يلاحقون فتى يعزف بالهارمونيكا، وهناك الشخص الذي يجلس على الكرسي الخيزرانيّ في المتنزه ويلقي الخبز للإوز، أو مخنّث بدين يصطحب كلبه الأفغاني في جولة في شارع الخمسين في نيويورك، سكير عجوز يبول على عمود كهرباء، طالب يهودي متطرف يوزع المناشير في واشنطون سكوير، مقلّم أشجار، مبيد حشرات، صاحب دعاية مثليّ ينادي البائعين بأسمائهم الشخصيّة. شبكة عالمية من المدمنين، مضبوطة على نفس وتر المنيّ النتن، يشدون على أوردتهم في غرف مستأجرة، يرجفون في صباحٍ هيروينيّ (مخترقو خزنات متقاعدون يرضعون دخاناً أسود في غرفة خلفيّة صغيرة في مغسلة صينيّة وبيبي الحزين يموت من جرعة زائدة للوقت أو من نقص في الأوكسجين). في اليمن، باريس، نيو أورلينز وإسطنبول - يرتعشون تحت مطارق الطقس وجرافات الشوارع، يشتمون بعضهم بعضاً بشتائم من عالم الإدمان لم نسمع بها قط، وقد مالَ الرجل من نافذة جرافة شوارع والتقطتُ المادة من دلو زفت (ملاحظة: تُهدّ إسطنبول وتُشيد من جديد، خصوصاً أحياء الجانك الجرداء. في إسطنبول، عدد المدمنين على الهيروين أكبر من عددهم في نيويورك سيتي). الأحياء والموتى، مرضى أو مسطولين، مدمنين أو متعافين أو مدمنين مجدداً، يركبون

على شعاع الجانك في الوقت الذي يتناول فيه مزوّدهم تشوب- سوي في دولورز ستريت في مكسيكو سيتي، يغمس الكعك المحلّى في كوب من القهوة المعدّة في الآلة، هارباً من إكستشنج بليس في نيو أورلينز من مجموعة أشخاص ينبحون (ملاحظة: في لغة نيو أورلينز المحكية كلمة «أشخاص» معناها الواشون).

يغمس الصينيّ العجوز تنكة من الصفيح في ماء النهر، يغسل بثوراً صلبة وسوداء مثل الجمر (ملاحظة: البثور السوداء كناية عن بقايا الأفيون المدخّن).

حسناً، ملعقتي وحقنتي في أيدي رجال الشرطة، وأعرف أنّهم يكتشفون تردّدي بمساعدة واشٍ أعمى شهير ملقّب بِويلي القرص. له فم مدور مثل قرص، محاط بشعيرات سوداء، حساسة، تخز. أصيب ويلي القرص بالعماء بعد أن حقن نفسه في عينيه، أنفه وابتسامته منخوران تماماً من تعاطي الهيروين، جسده كتلة نسيج من الندب الصلبة والجافة كالخشب. الآن بإمكانه أن يتعاطى الجانك فقط عن طريق فمه المدوّر، مترنّحاً في بعض الأحيان ويتعقّب ذيل الأكتوبلازم، مستشعراً تردّد الجانك الصّامت. يتعقّب أثري في أنحاء المدينة ويصل إلى شقق مختلفة بعد أن غادرتها، ثمّ يفاجئ رجالُ الشرطة المتواجدين معه شخصين متزوّجين حديثاً قَدِما من سايوكس فالز.

«أوكي يا لي، اخرج من هناك، كشفناك!» ولحظة خروج الشّخص يمسكونه من أيره.

ويلي القرص بدأ يتحمّس الآن، وأمكنك أن تسمعه ينشج في الظلام (فهو ينشط ليلاً فقط)، وتشعر بالإلحاحيّة الرهيبة لذلك الفم المتحسّس الأعمى. وعندما يأتون لاعتقالك، يفقد ويلي السيطرة،

ويقضم ثقب الباب بِفَمِه. إذا لم يوقفه رجال الشرطة والسبطانة بين ضلوعه، كنت ستجده يمصّ عصير أيّ مدمن يمرّ عنه.

عرفتُ أن الجميع عرفوا أنّ رجال الشرطة ألزقوا بي ويلي القرص. وإذا وصل زبائني من الأولاد إلى منصة الإدلاء بالشهادة يوماً وقالوا: «لقد أجبرنا على القيام بأفعال مشينة لقاء الجانك!»- فقد قُضي عليّ.

إذاً، تزوّدنا بكمية من الهيروين، اشترينا سيارة ستوديبيكر قديمة، واتجهنا غرباً.

اليقظ

تظاهر اليقظ بأنّه منفصم الشخصيّة ليفلتَ من تهمة حيازة المخدّرات:

«كنتُ أقفُ خارج ذاتي محاولاً أن أوقف حبل المشنقة بأصابع شَبحي... أنا شبح يريد كلّ ما يريده الشبح - جسداً - بعد مرور وقت طويل وأنا أقطع أزقّة لا رائحة لها لمكان حيث خلوّ الحياة منه ما هو إلا شفافية الموت التي لا رائحة لها... ولا أحد يمكنه أن يشمّه أو يتنفّسه عبر التلافيف الورديّة لغضاريف مزركشة لمخاط بلوري، خراء وقت ودم أسود».

وقف عند الظلال الطويلة لقاعة المحكمة، وجهه ممزق مثل فيلم سينمائيّ، قضمته شهوات وجوع أحشاء يرقانيّة تتدوّر في اللحم الأكتوبلازميّ المجرّد لمدمن يعاني من نوبة (عشرة أيّام من دون الجانك حتّى موعد الجلسة الأولى)، لحم سوف يذوب في اللمسة الأولى والصامتة للجانك.

رأيت ذلك يحدث. خمسة كيلوغرامات تبخّرت في عشر دقائق وقف فيها ممسكاً الحقنة بيد وسرواله باليد الأخرى، اللحم المتروك يحترق في حالة صفراء، باردة، في غرفة في فندق في نيويورك... علب من الحلوى مبعثرة على خزانة أدراج بجانب السرير، عقب سجائر تندفع من ثلاث مرمدات، فسيفساء من ليال أرقة وجوع فجائي لمدمن في حالة فطام يغذّي جسده الطفوليّ...

حوكم اليقظ في المحكمة الفدرالية، وبموجب أفضل قوانين العقوبات، وُضع في مستشفى فدرالي للمجانين صُمم خصيصاً لاحتواء الأشباح: مبنى دقيق، أجسام تخلقُ تأثيرات نثريّة... مغتسل... باب... مرحاض... قضبان... هذا هو... كلّ الجسور احترقت... لا شيء وراء ذلك... طريق بلا مخرج... وجوه مبهمة بلا مخرج...

كانت التغيرات الجسمانية الأولى بطيئة، ثمّ اطّردت في قطعٍ سوداء، غارقةً في أنسجته المتراخية، تمحو الملامح البشريّة... في هذا الظلام التام، الفم والعينان هما عضو واحد يتقدم إلى الأمام ويقضم بأسنانه الشفافة... لكن لا يوجد عضو واحد في الجسد ثابت من حيث أدائه أو موضعه... تنمو الأعضاء الجنسية في كل اتجاه... تنفتح المستقيمات، تُخرج الفضلات وتنغلق... يتغير لون الكائن الحي واتساقه بتأقلمات خلال جزيء من الثانية.

لقد حوّلته نوباته - كما كان يسمّيها - إلى كائن اجتماعيّ تبعيّ. وعندما كان يتجاوز حدوده الداخلية، لم يكن هناك شيء يمكن أن يساعده؛ بعد فيلاديلفيا رغب في العبث مع إحدى الدوريات، ومن نظرة واحدة إلى وجهه، أوقفونا جميعنا.

اثنتان وسبعون ساعة، وخمسة مدمنين كانوا معنا في الزنزانة. لم أرغب في أن أكشف عن مادّتي أمام هؤلاء العبيد الجائعين، لذلك رشونا السّجان ووضعونا في زنزانة وحدنا.

المدمنون الاقتصاديّون الملقّبون بالقوارض يحتفظون بالمادّة جانباً في حال وقوع اعتقال فجائيّ. في كلّ مرّة أحقن فيها نفسي، أجعل بعض القطرات تسيل في جيب الصّدرة، وقد امتلأت البطانة. كانت معي قطارة بلاستيكيّة في حذائي، ودبّوس في الحزام. هل تعرفون طريقة الإبرة والقطارة؟- «لقد أمسكَت دبوساً وقائيّاً مغطّى بالدم والصدأ، أحدثَت ثقباً كبيراً في فخذها الذي بدا مفتوحاً مثل فم فاجر متقيّح ينتظر التوحّد الرديء مع القطارة التي سحبتها من مكان ما ودسّتها مباشرةً داخل الجرح المفتوح. لكنّ الرغبة الحماسيّة الشنيعة (جوع حشرات في أماكن قاحلة) كسرت القطارة داخل اللحم المجروح للفخذ (الذي بدا مثل إعلان ملصق لسيلٍ من الأراضي). لكنّها لم تكترث. هي حتّى لا تكترث لإخراج شظايا الزجاج، بينما تتأمّل لحمها النازف بنظرة تاجر لحوم بليدة وباردة. ما يهمّها القنبلة الذريّة، براغيث السرير، أجرة الشقّة التي تسبّب السرطان، أمناء «التمويل الودّي» الذين ينتظرون الحجز على لحمها المجرم... أحلاماً سعيدة يا روز بانتوبون».

عملياً، أنت تضرب قطعة من لحم القدم وتُحدث ثقباً بالدبوس. ثمّ تضع القطارة فوق الثقب، لا داخله، وتقطر المحلول بحذر حتى لا يسيل على الجوانب... عندما أمسكت بلحم فخذ الساذج، برز اللحم مثل الشمع وظلّ على هذه الحال، وخرج بعض القيح من الثقب وسال ببطء. لم ألمس في حياتي جسداً حياً بارداً كجسد الساذج، هناك في فيلاديلفيا...

قررتُ أن أتخلّص منه حتى لو كان ذلك يعني إعداد حفلة فراش (ملاحظة: عادة إنجليزيّة ريفيّة هدفها القضاء على الأقارب المسنّين والمرضى. تنظّم العائلة المُبتلاة بهؤلاء «حفلة فراش» حيث يرمي الضيوف الأفرشة والبطانيات على العبء المسنّ، يعتلونه ويسكرون). يشكل الساذج عبئاً على التجارة ولأنّه كذلك يستحقّ أن يُرمى إلى مزبلة الوجود. (في أفريقيا هناك عادة، يقوم بموجبها شخصٌ يُدعى «القائد» باصطحاب الأشخاص المسنّين إلى الغابة ويبقيهم هناك).

تحوّلت نوبات الساذج إلى عادة. يبدأ رجال الشرطة والبوابون والكلاب والسكرتيرات بالزمجرة لحظة اقترابه. لقد وقع الإله الأشقر في هوانٍ لا يُوصَف. النصابون لا يتغيّرون وإنّما ينكسرون، يتحطّمون - تتفجر المادة في فضاء بينجميّ بارد، يتلاشى مثل غبار كونيّ، يغادر الجسد الفارغ. يا قوّادي العالَم، ثمّة أثرٌ واحد لا يمكنكم أن تهزموه: الأثر الداخليّ...

تركتُ الساذج واقفاً عند الركن، بنايات حمراء في أحياء فقيرة تصل إلى السّماء، تحت مطر من السخام لا يتوقف. «سأذهب إلى طبيب أعرفه. سأعود ومعي المورفين الطبي الخالص من الصيدلية... لا - لا أنتظر أنت هنا - لا أريده أن يتعارك معك».

لا يهمّ كم من الوقت ستستغرق المسألة، انتظرني عند الركن. الوداع أيها الساذج، الوداع يا فتى... إلى أين يذهبون عندما يغادرون ويتركون أجسادهم خلفهم؟

شيكاغو: هرمية خفية من الأجانب المندمجين، رائحة أفراد عصابات ضامرين. أشباح محسوسة تلمسك عند ركن شارعي هلستيد وكيكرو في لينكولن بارك، شحاذو أحلام، ماض يغزو الحاضر، السحر المتعفن لماكينات الحظ والفنادق الصغيرة.

في الداخل: قسم فرعي ضخم، أنتينات تلفزيون تحلّق صوب سماء عبثيّة. في منازل تنضح بالحياة، يحلّقون فوق الشبّان، يتلقّون بعضاً من شيءٍ أنكروه. الشبّان فقط يفعلون شيئاً، لكنّهم لا يبقون شبّاناً طويلاً. (عبر قضبان السجن في إيست سانت لويس تقع التخوم الميتة، أيام قوارب النهر). إلينوي وميزوري، عفن مناجذ تبني تلالاً، سجود خانع لآلهة الطّعام، احتفالات فظة وقبيحة، رعبٌ لا مخرج له للربّ متعدّد الأرجل يبدأ من الصحارى القمريّة لشواطئ بيرو وينتهي في ماوندفيل.

أمريكا ليست بلاداً فتيّة: كانت عجوزاً وقذرة وفاسدة قبل قدوم المستوطنين، قبل الهنود. الشرّ موجود هناك، ينتظر.

وأينما ولّيت وجهك وجدتَ رجال الشرطة: رجال شرطة خرّيجو كليّات مراوغون، متمرّسون في الكلام الاعتذاري، بعيون إلكترونية تقيس السيارة وصندوق التخزين، زيّ ووجه؛ مخبرون مدنيّون غاضبون، مأمورون ريفيون رقيقو الكلام، ثمّة شيء أسود ومهدد في عيونهم الطّاعنة في السنّ ذات اللون الذي يشبه قميص صوف رماديّاً باهتاً...

دائماً نواجه المشاكل مع السيارات. في سانت لويس بدلنا

سيارة ستوديبيكر ٤٢ (كان فيها عطب من الأصل، مثل الساذج) بسيارة ليموزين باكارد قديمة ارتفعت حرارتها طوال الوقت وبالكاد وصلت إلى كانزاس سيتي. اشترينا سيارة فورد اتضح أنها تستهلك زيتاً، بدلناها بسيارة جيب كنا ندفعها بصعوبة (غير مناسبة للشوارع السريعة)- حرقنا شيئاً ما في محركها، وأخيرا عدنا إلى سيارة الفورد V-8. لا يوجد أفضل من هذا المحرّك، حتّى لو استهلك الزّيت.

والخازوق الأمريكيّ يلفّنا أكثر من أيّ خازوق آخر في العالم، أسوأ من جبال الأنديز، البلدات الجبليّة، ريح باردة تهبّ من جبال بطاقة بريديّة، هواء خفيف مثل موتٍ في الحلق، بلدات على النهر في الإكوادور، مالاريا رماديّة مثل هيروين تحت قبّعة سوداء، بنادق صيد، نسور تنقر في الشوارع الموحلة - وما هو أوّل شيء تراه وأنت تنزل من المعدية في مالمو (لا ضرائب على الكحول) في السويد؟ الخازوق السويديّ يبخّر منك الكحول الذي شربته في المعدية ويطيح بك: لا أحد ينظر إلى عينيك، وهناك مقبرة في وسط البلدة (يبدو أن كلّ البلدات في السويد مشيّدة حول مقبرة) وما من شيء تفعله ظهراً، لا حانة ولا فيلم، وقد قضيتُ على كلّ الحشيش الذي جلبته معي من طنجة وقلتُ: «ك.إي. تعال نصعد المعدية».

لكن لا خازوق مثل الخازوق الأمريكيّ. لا تراه، ولا تعرف من أين يأتيك. لنقل إنك تجلس في حانة في شارع فرعي - عند كلّ مجموعة من المنازل توجد حانة وصيدلية ومجمّع ومتجر للكحول. تدخل الحانة ويسقط عليك الخازوق. لكن من أين يأتي؟

ليس من الساقي وليس من الزبائن وليس من لون طلاء كراسي الحانة الأبيض الضارب إلى الصفرة، وليس حتّى من التلفزيون.

ويتعاظم الإدمان مع الخازوق، مثل تعاطيك الكوكايين الذي

يقوّيك مع تلاشي السطل. وكان الجانك على وشك أن ينفد. فجأة وجدنا أنفسنا في البلدة من دون هيروين وبأقصى كمية من شراب السعال. تقيأنا الشراب وواصلنا السفر، ريح ربيعيّة باردة تصفر عبر نوافذ سيارة الخردة القديمة على أجساد متعرّقة مريضة ترتعش وهذا الزكام الذي تصاب به عندما ينفد الهيروين... عبر المنظر المتقشّر، جيف مدرعات على جانبي الشارع ونشور تحوم فوق المستنقعات وجذع السرو. فنادق صغيرة جدرانها من ألواح بناء، أجهزة تدفئة، بطانيات وردية خفيفة.

نصابون متجولون وعمال سيرك مسطولون حرقوا كل الأطباء في تكساس... ولن يتوجه أي إنسان عاقل إلى صيدلاني في لويزيانا، ولاية قوانينُ الهيروين فيها صارمة.

أخيراً وصلنا هيوستون، تكساس، حيث أعرف أحد الصيدلانيين هناك. لم أزره منذ خمس سنوات لكنّه عرفني من أول نظرة حيث هزّ رأسه وقال: «انتظرني عند الركن...».

جلست لأحتسي القهوة وبعد مدّة من الزمن وصل وجلس إلى جانبي وسأل: «ماذا تريد؟».

«زجاجة من الباريغوريك ومئة قرص من الفينوباربتال».

هزّ رأسه قائلاً: «عد بعد نصف ساعة».

يعود ويناولني رزمة ويقول: «خمسة عشر دولاراً... واحذر».

حقنُ الباريغوريك أمر فظيع، يجب أن تحرق الكحول أولاً، ثمّ تقوم بتجميد الكافور وسحب المحلول البنيّ بواسطة القطارة - عليك أن تحقن مباشرةً إلى الوريد وإلاّ أصبتَ بدمّل - وسوف تُصاب في النهاية بدمّل أينما حقنت. الأفضل شربه مع الأقراص المهدئة... ثمّ سكبناه في زجاجة الكحول وخرجنا متجهين إلى نيو أورلينز،

مارّين عن بحيرات ملوّنة وشعلات غاز برتقاليّة، مستنقعات ومزابل، تماسيح تزحف فوق شظايا زجاجات وعلب صدئة، مصابيح نيون مزخرفة للفنادق الصغيرة، قوادون زنوج نسل عبيد يصرخون كلاماً بذيئاً من جزر المزابل على سيارات عابرة.

نيو أورلينز هي متحف ميّت. نذهب إلى إكستشينج بلايس، نشمّ الباريغوريك، وفي ثانية نجد الرجل. إنّه مكان صغير والشرطة تعرف أساساً جميع التجار، لهذا فهو لا يهتم ويبيع الجميع. نتزود بالهيروين ونعود إلى مدينة مكسيكو.

ومرة أخرى على طول بحيرة تشارلز وجيف ماكينات الحظ، نهاية تكساس من الطرف الجنوبي، مأمور قاتل زنوج ينظر نحونا ويتفحص الرخص. عندما تقطع الحدود إلى المكسيك شيء ما يسقط منك، يمسّك المنظر من دون شيء يفصل بينك وبينه، صحراء وجبال ونسور؛ بقع صغيرة في السماء بعضها قريب إلى حد يمكن سماع الأجنحة تشقّ الهواء (صوت متقشّر جاف). وعندما تلاحظ شيئاً فإنّك تنهمرُ من السماء الزرقاء، سماء المكسيك الزرقاء النازفة المتشظية... سافرنا طوال الليل، وصلنا فجراً إلى مكان ضبابيّ وحارّ، كلاب تنبح وصوت مياه تتدفّق.

«توماس وتشارلي»، قلت.

«ماذا؟».

«هذا هو اسم المدينة. على مستوى سطح البحر. من هنا نصعد عشرة آلاف قدم. حقنت نفسي وذهبت لأرقد في المقعد الخلفي. كانت سائقة جيدة. تعرف ذلك لحظة يلمس الشخص عجلة القيادة.

مدينة مكسيكو. حيث تجلس لوبيتا مثل إلهة أزتيكيّة توزع مادّة خرائيّة ملفوفة في ورق لفّ صغير.

«البيع يسبّب الإدمان أكثر من التعاطي»، تقول لوبيتا. التجار الذين لا يتعاطون بأنفسهم يطوّرون عادة اللمس، ولا يمكن الإقلاع عن ذلك. حتى رجال التحري يُصابون بذلك أحياناً. برادلي «المشتري» على سبيل المثال. أفضل رجل تحرٍّ مُخدّر في المجال. الجميع واثقون من أنّه مدمن. أقصد أنّه بإمكانه أن يتوجّه إلى تاجر ليشتري منه مباشرة. إنّه مجهول جداً، قاتم وطيفيّ إلى حدّ لا يمكن للتاجر أن يتذكّره لاحقاً. هكذا يوقع بهم واحداً تلو الآخر...

لكنّ المشتري يبدو مدمناً أكثر فأكثر. لا يقوى على الشرب. لا يقوى على الانتصاب. تبدأ أسنانه في السقوط (مثل النساء الحوامل اللاتي يفقدن أسنانهن وقت إرضاع الرضيع، يفقد المدمنون أسنانهم الصفراء في الإدمان). إنه لا يتوقّف عن تناول الحلوى. أكثر ما يحبّ من الحلوى المصاصة. «كم هو مقرف أن ترى المشتري يمص حلوياته»، قال أحد رجال الشرطة.

يكتسب المشتري لوناً أخضر يميل إلى الرماديّ يُنذر بسوء. الحقيقة أنّ جسده بدأ ينتج الجانك أو نظيره. للمشتري تاجر ثابت يزوّده بالمادة. تاجر داخلي، يمكن القول. أو هذا ما يظنّه. «سأجلس هنا في الغرفة. ليذهب الجميع إلى الجحيم. كلا الطرفين أصغر. أنا الرجل الحقيقيّ الوحيد في هذا المجال»، يقول.

لكنّ الحنين يتلبّسه فجأة مثل ريح سوداء هائلة تهبّ في عظامه. يُمسك المشتري بمدمن شاب ويعطيه كيساً فيه مادّة.

يقول الفتى: «حسناً، ماذا ترغب؟».

«أرغب فقط في الاحتكاك بك... وأشبع رغبتي».

«أفّ.. حسناً.. لمَ لا تتواصلُ جنسياً كالبشر؟».

في وقت لاحق، يجلس الفتى مع صديقين في فالدورف، يغنّون

الكعك الإسفنجيّ. «أقرف شيء مررت به في حياتي»، يقول. بشكلٍ ما تحوّل إلى كتلة من الجيلي وطوّقني بشكل مقرف. ثمّ تبلّل مثل مادة غرويّة خضراء. لذا أظنّه بلغ نشوة جنسيّة فظيعة... فقدتُ عقلي من القرف الأخضر من حولي، وكانت تفوح منه رائحة نتنة مثل شمّام فاسد».

«لكنّها مكسب سهل».

تنهّد الفتى مستسلماً لقدره: «نعم، أظّن أننا نستطيع أن نتعوّد على أيّ شيء. لديّ موعد آخر معه غداً».

يطّرد إدمان المشتري. يحتاج إلى وقود كلّ نصف ساعة. أحياناً يرتاد السّجن ويرشو أحد الحراس ليدخله إلى زنزانة فيها مدمنون. في نهاية المطاف، لا يعود أي تلامس يُشبعه. في هذه المرحلة يتمّ استدعاؤه من قبل مفتّش المقاطعة:

«برادلي، سلوكك يثير الشائعات، وأتمنّى، لمصلحتك، أن تكون هذه مجرّد شائعات - أمرٌ مثير للقرف أن... أقصد زوجة القيصر... ممم، بكلمات أخرى، يجب أن يكون القسم فوق أيّ شبهة... وبالتأكيد فوق شبهات من هذا النوع الذي أثرته. إنّك تدنّي المستوى العام للمجال. نحن مستعدّون لقبول استقالتك على الفور».

يلقي المشتري بنفسه على الأرض ويزحف باتجاه مفتش المقاطعة. «لا يا رئيس، لا... القسم هو شرياني النابض».

يقبّل يد مفتش المقاطعة ويُقحم أصابعه في فمه (يجب على مفتش المقاطعة أن يشعر بلثته التي تنعدم منها الأسنان) ويزعم متذمّراً أنّه فقد أسنانه «أثناء الخدمة». «أرجوك يا رئيس، سأمسح لك مؤخرتك، سأغسل لك أوقيتك الجنسيّة القذرة، سألمّع لك حذاءك بأنفي...».

«بربّك، ما أبغض هذا! ألا تملك ذرة كرامة؟ واجبٌ أن أقول لك إنّي أشعر بقرف استثنائيّ. أقصد أنّ ثمة شيئاً ما فيك، مثير للقرف، ولك رائحة سماد عضويّ». يضع على أنفه منديلاً معطّراً، «أطلب منك أن تغادر المكتب الآن».

«أنا مستعد لفعل أيّ شيء يا رئيس، *أيّ شيء*» ينشقّ وجهه الأخضر المنكوب بابتسامة فظيعة. «ما زلت فتياً يا رئيس، وما زلتُ قوياً عندما ينشط دمي».

يحاول مفتش المقاطعة أن يتقيأ داخل منديله ويشير نحو الباب بيد مرتخية. ينهض المشتري وينظر إلى مفتش المقاطعة بشكل حالمٍ. يتقدّم جسده مثل عصا الساحر. يتقدّم إلى الأمام...

«لا! لا!»، يصرخ مفتش المقاطعة.

«هوب... هوب. هوب!» بعد مضيّ ساعة يجلس المشتري على كرسي مفتش المقاطعة. لقد اختفى مفتش المقاطعة دون أثر.

القاضي: «كلّ شيء يشير إلى أنّك، بطريقة لا توصف، ذوّبت مفتش المقاطعة. للأسف لا توجد أدلّة. كنت سأوصي بتقييدك أو على الأصح بحبسك في مؤسسة ما، لكنني أعرف أنّه لا يوجد مكان لرجل مثلك. سآمر، رغماً عنّي، بإطلاق سراحك».

«يجب وضعه في مربّى مائيّ». يقول أحد رجال الشرطة.

يشيع المشتري الرعب في هذه التجارة. يختفي المدمنون ورجال التحرّي. مثل مصاص دماء، يطلق رائحة مخدرات نتنة، ضباب أخضر رطب يخدّر ضحاياه يجعلهم لا حول ولا قوة في حضوره الغامض. وبعد كلّ مرة يختبئ عدّة أيّام مثل أَصَلَة متخَمة. أخيراً تمّ القبض عليه أثناء هضم رئيس قسم المخدرات وتدميره بقاتل اللهب.

- قررت لجنة التحقيق أنّ استخدام هذه الأداة كان مبرراً لأنّ المشتري فقد إنسانيّته وتحوّل إلى كائن غير محدّد عرّض صناعة المخدّرات بجميع مستوياتها للخطر.

في مكسيكو، تكمن الحيلة في العثور على مدمن محلي يمتلك وصفة حكومية تجيز له كمية معينة شهرياً. رجلنا في مكسيكو هو أيك العجوز الذي قضى معظم حياته في الولايات المتّحدة.

«كنت أسافر مع أيرين كيلي وكانت امرأة رياضية. كنا في فندق في مونتانا وأصيبت بنوبة رعب من الكوكايين وبدأت تركض في الأروقة وتصرخ بأنّ رجال شرطة صينيين يطاردونها بسكاكين جزارين. عرفتُ شرطياً في شيكاغو تعاطى الكوكايين وكان يحضر ومعه الكريستال الأزرق. هو أيضاً فقد صوابه وبدأ يصرخ بأن رجال الشرطة الفدراليين يلاحقونه، دخل إلى زقاق ودس رأسه في حاوية قمامة. قلت له: 'قل لي، ماذا تفعل؟' فقال لي: 'انصرف من هنا وإلا أطلقت النار عليك. اختبأت'.

تلك المرة اشترينا الكوكايين أو مادة بوصفة. حقنّاها في الوريد. يمكنك أن تشمّه وهو يتسرّب، صافياً وبارداً في أنفك وحلقك تعقبه متعة خالصة تتدفّق في دماغك وتشعل توصيلات الكوكايين. يتشظّى رأسك بانفجارات بيضاء. بعد مضيّ عشر دقائق سترغب في جرعة أخرى... ستقطع المدينة سيراً من أجل جرعة أخرى. لكن إذا لم يتوفّر معك المال من أجل الكوكايين فإنّك تتناول شيئاً، تنام، وتنسى أمره.

إنّه توق الدماغ وحسب. حاجة بلا إحساس أو جسد، حاجة شبح مجسّم - أكتوبلازما نتنة يكنسها مدمن عجوز، يسعل ويبصق في صباح غثيّ.

تستيقظُ ذات صباح وتتناول سبيد-بول[1]، تشعر بحشرات تحت الجلد. رجال شرطة بشوارب سوداء تعود إلى عام ١٨٩٠ يسدّون الأبواب ويتلصصون من النوافذ ويكشفون عن أسنانهم خلف نياشين زرقاء براقة. مدمنون يذرعون الغرفة وينشدون نشيداً جنائزياً إسلامياً، حاملين جثة بيل غينس، تلمع عليها ندبات الحقن بوهج أزرق رقيق. مخبرون منفصمون ناجعون يستشمون نونيّتك.

هذا هو زَوَرُ الكوكايين... لذا اجلس واسترح واحقن المورفين المَعِديّ المعويّ قدر ما استطعت.

يوم الموتى: نفدت المادة وأصبتُ بجوع شديد وأكلت قطعة السّكر لصغيري ويلي. بكى واضطررت إلى الخروج لأشتري قطعة أخرى. مررت من الحانة التي قتلوا فيها وكيل مراهنات لعبة جاي ألاي. في كويرنافاكا أم في تاكسكو كان ذلك؟ التقت جين بقوّاد يعزف على الترومبون وتلاشت في غيمة دخان الماريجوانا. كان القواد من فناني الاهتزازات والتغذية السليمة - وهذا يعني أنه يحقّر الجنس الأنثويّ بإجبار فتياته على هضم ترهاته. كان يوسّع نظريّاته على الدوام... يعطي فتاته لغزاً ويهدّدها بأنّه سيهجرها إذا لم تتذكّر حرفياً آخر انتقاداته للمنطق وصورة البشريّة.

«الآن يا حلوة، اسمعي. أنا جاهز لأعطيك. لكن إن لم ترغبي فلا شيء يمكنني أن أفعله».

حوّل تدخين الماريجوانا إلى طقس وتعامل مع الهيروين مثل بقيّة الحشاشين، بشيء من التزمّت. زعم أنّ الماريجوانا تربطه بمجالات جاذبيّة فوق زرقاء. كان يمتلك آراء في كلّ المواضيع: أيّ ملابس

---

(١) مزيج من الهيروين والكوكايين.

داخليّة صحيّة أكثر، متى يجب شرب الماء، كيف تنظف مؤخرتك. كان له وجه أحمر يلمع بأنف أملس متمدّد وكبير، وعينان صغيرتان وحمراوان التمعتا في كل مرة نظر فيها إلى امرأة وانطفأتا في كل مرة نظر فيها إلى شيء آخر. كانت كتفاه عريضتين جداً، إلى حدّ بشع. لم يُقم وزناً لرجال غيره، وفي المطاعم أو الدكاكين كان يعطي الأوامر للعاملين الذكور عبر وسيط أنثوي. لم يغز ذكر مكانه السريّ الفاسد.

هكذا يحط من شأن الجانك ويأتي بالماريجوانا. سحبت ثلاثة أنفاس، نظرت إليه جين وصار لون جلدها شفافاً. قفزت وأنا أصرخ «أشعر بالخوف!» وهربت من المنزل. شربت الجعة في مطعم صغير - بار فسيفسائي ونتائج ألعاب كرة القدم وملصقات لمصارعة الثيران - وانتظرت الحافلة المتوجهة إلى البلدة.

بعد عام، وأنا في طنجة، سمعت أنها ماتت.

بينوي

عُيّنتُ لتجنيد خدمات الدكتور بينوي لمصلحة إسلام م.ض.

تمّ استدعاء الدكتور بينوي ليكون مستشاراً لجمهوريّة فريلاند، وهو مكان مكرّس للحبّ الحرّ والاغتسال على الدوام. المواطنون متكيّفون، متعاونون، نزيهون، متسامحون، وقبل كلّ شيء - نظيفون. لكنّ تجنيد بينوي يلمح إلى أنّ الأمور ليست على ما يرام خلف الواجهة الصحيّة: بينوي هو مدير ومنسّق المنظومات الرمزيّة. إنّه خبير في كافة جوانب التحقيق، غسيل الدماغ والتحكم. لم أر بينوي منذ مغادرته أنيكسيا على عجلٍ، حيث كان مسؤولاً عن إفساد

الأخلاق بشكل تامٍّ. أول ما فعله بينوي كان إلغاء معسكرات الإبادة، الاعتقالات الجماعيّة، وباستثناء الظّروف المحدّدة والخاصّة، - وقف إجراءات التعذيب.

بينوي: «أنا أستنكر الوحشيّة. إنها غير ناجعة. من ناحية أخرى، سوء المعاملة المتواصل، الذي لا يصل إلى العنف الجسديّ، قد يؤدّي، في حال تطبيقه بمهارة، إلى قلق وشعور بالذنب استثنائيّ. يجب تذكّر عدد من القوانين أو على الأصحّ القواعد الموجّهة. على المرء أن يفهم أنّ سوء معاملته ليس هجوماً مقصوداً على هويته الشخصية من جانب العدوّ الذي تنعدم فيه الإنسانيّة. يجب إشعاره أنه يستحق أي معاملة يُعامل بها بسبب خطأ فظيع ما (غير محدّد) فيه. حاجة المدمنين الخالصة إلى السيطرة يجب أن تكون مغطاة على نحو نزيه ببيروقراطية تعسفية معقدة بحيث لا يقدر المواطن على إنشاء علاقة مباشرة مع عدوه».

كلّ مواطن من مواطني أنيكسيا كان مطالباً بتقديم طلب للحصول على محفظة مستنداته الكاملة وأن يحملها معه كل الوقت. كان المواطنون عرضةً للتوقيف في الشارع للفحص، وكان الفاحص - الذي ارتدى زياً مدنياً، بأنواعه المختلفة، غالباً مايوه أو بيجاما، وأحياناً عارياً تماماً إلا من الشارة التي عُلّقت عند حلمته اليسرى - يتفحّص كلّ مستند ومستند وفي النهاية يختم أوراق الشخص المفحوص. في حال تكرار الفحص يطلب من المفحوص عرض أوراقه المختومة من الفحص الأخير. في حال توقيف مجموعة كبيرة، يقوم الفاحص بختم أوراق بعض من المفحوصين. كان البقية معرضين للاعتقال لأنه لم يتم ختم مستنداتهم كما هو مطلوب. كان الاعتقال مع وقف التنفيذ، أي أنه كان يطلق سراح السجين في حال

كانت شهادة التوضيح التي قدمها، موقعة ومختومة كما يجب، مصادقاً عليها من قبل مساعد قاضي شؤون التوضيحات. لأن الموظف المذكور لم يتواجد يوماً في مكتبه، ولأن القانون استوجب تقديم شهادات التوضيح بشكل شخصي، اضطر الموضّحون إلى قضاء أسابيع وأحياناً شهور طويلة ينتظرون في مكاتب غير دافئة، بلا كراسي أو مراحيض.

مُستندات كثيرة دُوّنَت بالحبر القابل للمسح وتلاشت مثل وصولات منزل مرهون انتهى تاريخ صلاحيّتها. طُلب من المواطنين تقديم مستندات جديدة على الدوام. لم يتوقفوا عن الركض بين الأقسام محاولين أن يلتزموا بمواعيد نهائيّة مستحيلة.

أزيلَت كل المقاعد من شوارع المدينة، أُغلِقَت كلّ النوافير، دُمّرَت كلّ الأشجار والأزهار. تمّ تركيب أجهزة زنان كهربائيّ كبيرة على أسطح البنايات (سكن الجميع في شقق) اشتغلت أوتوماتيكياً كلّ ربع ساعة. في مرّات كثيرة كانت الرنات تُخرج الناس من أسرّتهم. مشاعل كهربائيّة أضاءت المدينة ليلاً (حُظر استخدام المظلات، الستائر، الشّيش، أو الستائر المعدنيّة).

لم ينظر أحدٌ إلى أحد في أعقاب القانون الصّارم الذي حظر إزعاج أيّ شخص، بالكلام أو بغيره، بدوافع جنسية أو غيرها. أغلقَت المقاهي والحانات. كان من الممكن شراء الكحول بترخيص خاصّ، وقد حُظر بيع المشروبات التي تمّ شراؤها أو إعطاؤها أو نقلها بأيّ شكل إلى شخص آخر، وبدا تواجد أيّ شخص آخر في نفس الغرفة دليلاً على مؤامرة تمرير الكحول.

فرض حظر على إغلاق المنازل، وامتلكت الشرطة المفاتيح التي ناسبت كل منزل وكلّ غرفة في المدينة. بمرافقة «قارئ أفكار»

اقتحموا مسكن ألفرد وشرعوا في «البحث عنه». قادهم قارئ الأفكار إلى كلّ ما خبأه ألفرد: أنبوبة فازلين، حقنة شرجية، منديل عليه بقع سائل منويّ، سلاح، كحول بلا ترخيص، ودائماً أجبروا المُشتبه فيه على التعرّي تماماً والخضوع لتفتيش جسدي مذلّ وسط استهزاء مهين. مثليّون خفيّون كثيرون اقتيدوا من منازلهم ملفوفين بسترات المجانين بعد أن دسّوا لهم أنبوبة الفازلين في مؤخراتهم. انقضّوا على أيّ شيء. ماسحة حبر، حذاء، أيّ شيء.

«وماذا يفترض أن يكون ذلك؟».

«ماسحة حبر».

«يقول ماسحة حبر».

«سمعتُ كلّ شيء، الآن».

«أظنّ أننا لا نحتاج إلى أكثر من ذلك. تعال معنا».

بعد مضيّ عدة شهور على هذا المنوال، انكمش المواطنون في الزوايا مثل قطط عصابيّة.

طبعاً، تولّت شرطة أنيكسيا بنجاعة وإبداع، أمر الوكلاء المشتبه فيهم، والمخرّبين والمتطرّفين السياسيّين. بالنسبة إلى التحقيق مع المشتبه فيهم، إليكم اقتباساً من أقوال بينوي:

«بينما أتحاشى عموماً ممارسة التعذيب - يحدّد التعذيب وضع الخصم ويحرّك المقاومة - التهديد بالتعذيب ناجع جداً لأنه يثير في المشبوه إحساساً بالعجز واعترافاً بجميل المحقق الذي يتجنّب ممارسته. لكن بعد أن تكون الضحيّة قد قطعت شوطاً في العلاج، وقد قبلت بالعقاب كشيء تستحقّه - يمكن للتعذيب أن يكون ناجعاً كعقاب. من أجل هذا الهدف طوّرت عدّة إجراءات مهمة. أحدها يدعى «البداية». مثاقب كهربائيّة يمكن تشغيلها في أيّ وقت يتمّ

تثبيتها في أسنان المستجوَب. يمكن تشغيل المنظومة في أي لحظة، ويتم توجيهه حول كيفية تشغيل «البدالة» التعسفية، الاستجابة للرنات والأضواء بإدخال كوابل معينة في مقابس معينة. في كلّ مرة يخطئ، يتمّ تشغيل المثاقب لمدة عشرين ثانية. يُرفَع تردد الإشارات تدريجياً بشكل يتجاوز سرعة ردّه. بعد مضيّ نصف ساعة على «البدالة» ينهار المستجوَب مثل ماكينات التفكير التي تعاني من فائض حمولة.

«تعلّمنا الدراسات حول ماكينات التفكير أكثر بكثير ممّا يمكننا أن نتعلّمه من المناهج الاستبطانية. يجسّد الإنسان الغربيّ نفسه بواسطة الأدوات. هل حقنتَ نفسكَ يوماً بالكوكايين عبر الوريد؟ إنّه يبلغُ الدماغ مباشرة، يشغّل كوابل المتعة الخالصة. متعة المورفين تكمن في الأحشاء. بعد الحقنة تصغي إلى ما يحدث داخلك. لكن الكوكايين عبارة عن كهرباء في الدماغ، والتوق إليه كامن فقط داخل الدماغ، حاجة بلا جسد أو إحساس. الدماغ المشحون بالكوكايين يشبه ماكينات الكرة والدبابيس الهائجة، أضواء ورديّة وزرقاء تلوح في رعشة كهربائيّة. بإمكان ماكينات التفكير أن تشعر بمتعة الكوكايين، التهيجات الأولى في الحياة المخيفة لحشرة. يتواصل التوق إلى الكوكايين لعدة ساعات فقط، ما دامت قنوات الكوكايين في الدماغ منشّطة. بالطبع يمكن خلق تأثير الكوكايين بواسطة تيار كهربائيّ يشغّل قنوات الكوكايين...

«بعد فترة من الوقت تتلف القنوات مثل الأوردة، وعلى المدمن أن يجد قنوات أخرى. في النهاية سيعود الوريد إلى طبيعته - عبر الدورة الصحيحة للأوردة وشريطة ألا يتهيّج المدمن تماماً ويحرق نفسه. لكن خلايا الدماغ لا تعود إذا ماتت، وإذا انتهت خلايا دماغ المدمن تكون حالته أسوأ.

«منظر عام لحمقى عراة يمتدّ إلى الأفق، يجثمون على عظام يابسة وبراز وحديد صدئ، في لهيب أبيض من الحرّ. صمت مطبق - بؤر النّطق عندهم مدمّرة - باستثناء فرقعة الشّرر واللحم المحروق وهم يضعون الأقطاب الكهربائيّة على طول العمود الفقريّ. دخان أبيض للحم محروق معلّق في الهواء بلا حراك. قامَت زمرة من الأطفال بربط أحد الحمقى إلى عامود كهرباء بأسلاك شائكة وأشعلت موقداً بين ساقيه، وقد وقف الأطفال وتأملوا في فضول بهيميّ النارَ تلعق فخذيه. كان لحمه يتلوّى في اللهب، كما تتلوّع حشرة.

«كعادتي أحيد عن الموضوع. في ظلّ غياب معلومات دقيقة أكثر حول إلكترونيات الدماغ، تبقى المخدرات أداةً حيويّة في أيدي المحقّق في هجومه على هويّة المستَجوَب. طبعاً لا توجد فائدة للأدوية المهدئة. المقصود، كلّ من يمكن كسره بوسائل من هذا النوع لن يصمد حتى أمام الوسائل السخيفة التي ينتهجها شرطيّ أمريكيّ عاديّ. في أحيان كثيرة يكون السكوبولامين ناجعاً لتبديد المقاومة، لكنه يضر بالذاكرة: سيكون الوكيل على استعداد للكشف عن أسراره لكنه لن يتذكرها، أو قد تتداخل القصة المسرودة للتغطية مع هويته الحقيقية بشكل معقّد. المسكالين، الهارمالين، أل.أس.دي ٦، البافوتنين والمسكارين ناجعة في حالات كثيرة. البالبوكابنين هو مخدر يتسبب في حالة تشبه الشيزوفرينيا الجمودية... حالات من الطاعة التلقائية. البالبوكابنين مخدر يعمل على إخماد الفصّ القذالي ووقف عمل المراكز الحركة في الهايبوثلاموس. أنواع المخدرات الأخرى التي تؤدي إلى حدوث شيزوفرينيا تجريبية - المسكالين، الهارمالين، أل.أس.دي ٦ - تنشط الفص القذالي. في الشيزوفرينيا، يتم تنشيط وإخماد الفص

القذالي بالتناوب. غالباً ما يصحب الجمود فترة من الإثارة والنشاط الحركي يندفع خلالها المجنون راكضاً في أرجاء القسم ويثير أعصاب الجميع. المفصومون المتواجدون في وضع حرج يتوقفون عن الرد أو التحرك تماماً ويقضون حياتهم في السرير. يُعتبر الخلل الحاصل في عمل الهابوثلاموس النظامي «مسبباً» للشيزوفرينيا (بسبب محدودية اللغة المتاحة، لا يمكن للتفكير السببي أن يُنتج وصفاً دقيقاً للمراحل الأيضية). الجرعات المتغيرة لمخدر إل.إس.دي ٦ ومخدر البالبوكابنين - المحلول بالكورير - يتسببان في إحداث أقصى قدر من الطاعة التلقائيّة.

«هناك إجراءات أخرى. يمكن إيصال المستجوَب إلى حالة من الاكتئاب العميق بواسطة جرعة كبيرة من البنزدرين لبضعة أيام. يمكن التسبب في الذهان من خلال الجرعات العالية من الكوكايين أو الديمرول أو من خلال الإيقاف الفجائي للأدوية المهدئة بعد استخدامها فترة طويلة. يمكنه أن يدمن على مسكّن ثنائيّ ديهيدرومورفين ويكون عرضة للفطام منه (تركيبة الهيروين مسبّبة للإدمان خمسة أضعاف الهيروين العاديّ. ويكون الفطام صعباً بشكل تناسبيّ).

«هناك «طرق سيكولوجيّة» مختلفة، كالتحليل النفسيّ القسريّ، على سبيل المثال. يُطلبُ من المستجوب أن يُفكّر بطريقة حرّة لمدّة ساعة واحدة يومياً، (في حالات لا يكون فيها للوقت أهمية). 'تعال لا نكن سلبيّين يا فتى. سينادي بابا على الرجل الشرير. سيصطحب النونو في جولة إلى مركز البدالة'.

«حادثة المرأة الوكيلة التي نسيت هويتها الحقيقيّة واندمجت مع هويّتها الملفّقة - والتي لا تثير النزاعات في أنيكسيا - أمدّتني بفكرة

أخرى. أليس الوكيل المدرّب على إنكار هويّته كوكيل والتأكيد على هويّته الملفّقة، إذاً، لم لا نستخدم الجيوجيتسو الذهني ومسايرته؟ سنؤكّد له أن هويّته الملفّقة هي هويّته الحقيقيّة وأن لا هويّة أخرى له. ستصبح هويّته كوكيل إلى شيء لاشعوريّ، أي أنّه سيفقد سيطرته عليها؛ وهكذا يمكننا أن نصطادها بالمخدرات والتنويم المغناطيسيّ. من خلال هذه الخدعة، يمكنك أن تحوّل مجرّد مواطن، متباين الجنس، أحمق إلى مثليّ... بمعنى قم بتعزيز نفوره من النزعات المثليّة الدفينة - وفي نفس الوقت احرمه من الفروج وعرّضه للإثارة المثليّة. يلي ذلك المخدرات والتنويم المغنطيسيّ و...» يرفع بينوي رسغ يده بحركة بطيئة.

«العديد من المستجوَبين يُبدون ضعفاً تجاه الإذلال الجنسيّ. الإثارة بواسطة موادّ إثارة جنسيّة، المراقبة الدائمة التي تهدف إلى إحراج المستجوب ومنعه من الإفراغ بالاستمناء (الانتصاب أثناء النوم سيؤدّي إلى تشغيل زرّ كهربائيّ كبير بشكل فوريّ يُلقي بالمستجوب في الماء البارد، وهكذا يتمّ تقليص تردّد الأحلام الرّطبة إلى أدنى درجة). أو تنويم كاهن مغناطيسياً وإخباره أنّه على وشك التوحّد الإلهي مع اليسوع - ثمّ إحضار تيس شبق ليأتيه من الخلف. بعد ذلك يمكن للمحقق أن يكتسب سيطرة تنويم تامة. لحظة إطلاق الصفير، سيُفرغ المستجوب على الفور، سيخرأ على الأرضيّة عندما يقول المحقق «افتح يا سمسم». لا حاجة لأن نقول إنّ طريقة الإذلال الجنسيّ لا جدوى لها في حالات الأشخاص المجاهرين بمثليّتهم (تعالوا نحترز ونتذكر الشعار القديم... لا يمكننا أن نعلم من يتنصّت علينا). أتذكّر شخصاً، هيّأته كي يخرأ في اللحظة التي يراني فيها. بعد ذلك كنت أغسل مؤخّرته وآتيه من دبره. كان ذلك لذة

حقيقيّة. وقد كان شخصاً لطيفاً. في بعض الأحيان ينفجر الشخص باكياً بطريقة طفوليّة لأنّه لا يكون قادراً على التحكّم في نفسه ويقذف وأنت تفعلها. على أيّة حال، كما ترى بشكل واضح، لا حدود للإمكانيّات مثل شبكة من الطرق الملتوية في حديقة واسعة وجميلة. وقد لمستُ فقط شيئاً بسيطاً عندما ناداني هادمو اللذات... لكن هكذا هي الحياة».

وصلتُ إلى فريلاند، النظيفة والمملّة، والعياذ باللّه. يدير بينوي مركز إعادة التأهيل. أصل إليه، ومن جملة «اسمع، ما أخبار فلان؟» وصلنا إلى «سيدي إدريس «المخبر» من قسم سميذرس يتملّق للمرسِلين في البحث عن مصل يطيل العمر. لا يوجد أحمق مثل مخنّث عجوز». لستر ستروغونوف سْمون، الملقّب بـ«الحسين» تحوّل إلى لاتا ليُنتج نسخة مثلى من ع.ط.ف - عمليّة الطاعة الفوريّة. شهيد في سبيل تجارة ال... (اللاتا حالة شائعة في جنوب-شرق آسيا، وهي شكل من أشكال التنويم المغناطيسي القسريّ واللاإراديّ. كردّ فعل على أيّ أمر بسيط كطقطقة إصبع أو الصوت الحاد يُجبر اللاتا على محاكاة كلّ حركة أو فعل يحدثان أمامه. أحياناً، يحاول تقليد حركات أكثر من شخص في نفس الوقت، ويؤذي نفسه).

«إذا سمعتم عن هذا السرّ الذريّ من قبل فاقطعوا عليَّ الحديث...».

يحافظ وجه بينوي على تعابيره حتى في ضوء لمبة الطوارئ، معرّضاً في أي لحظة لانشقاق مروع أو لميتامورفوزا. وجهه يتلألأ مثل لقطة سينمائيّة تفقد ضبط البؤرة ثم تعود لتنضبط من جديد.

قال بينوي: «تعال. سأريك المركز».

نمشي في رواق طويل وأبيض. يندفع صوت بينوي داخل وعيي من مكان ما... صوت مجرّد، أحياناً يكون واضحاً وصافياً، وأحياناً بالكاد يُسمع مثل موسيقى في شارع عاصف.

«جماعات معزولة مثل سكّان أرخبيل بِسمارك. لا تجد بينهم مثليّين يجاهرون بمثليّتهم. اللعنة على النظام الأموميّ. كل المجتمعات ذات النظام الأموميّ هي مجتمعات مناهضة للمثليّة، منصاعة للأعراف ومملّة. إذا وجدت نفسك في مجتمع ذي نظام أموميّ، سِر لكن لا تركض إلى أقرب الحدود. إذا ركضت، فمن المرجح أن يقوم شرطيّ محبط ومثليّ في الخفاء بإطلاق النار عليك. هل يريد أحد أن يقيمَ جزيرة من التجانس في المسالخ المحتملة - كما حدث في غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية؟ نظام أموميّ آخر لعين، مع فائق الاحترام لمارغريت ميد... واجهتُ مشكلة هنا. معركة مشارط مع زميل في غرفة عمليات. مساعِدتي البابون وَثبت على المريض ومزقته إرباً. قردة البابون دائماً تهاجم الأضعف. وبحق. علينا أن لا ننسى إرثنا القرديّ المجيد. دوك براوبك كان شريكاً من الدرجة الثانية. طبيب عمليّات إجهاض متقاعد وتاجر جانك (في الواقع كان طبيباً بيطرياً) تمّ استدعاؤه لأداء الخدمة أثناء وجود نقص في القوى العاملة. في ذلك اليوم، قضى الطبيب الصباح في مطبخ المستشفى، غازل الممرضات مزوّداً نفسه بوقود غاز الفحم وحليب كلِم - وتماماً قبل بدء العمليّة حقن نفسه بجوزة الطيب بحقنة مضاعفة، ليتحلّى بالجرأة».

(في إنجلترا، وتحديداً في إدنبورو، يستنشق المواطنون الغاز المستخلص من الفحم بواسطة مسحوق «كلِم»، وهو مسحوق حليب

يشبه طعمه طعم الجير الزنخ، ويتجاوبون مع النتائج. هم يرهنون كلّ شيء في سبيل دفع حساب الغاز، وعند قدوم الشخص لإنهاء المسألة لعدم تسديد الدين، أمكنك أن تسمع صراخهم من مسافة أميال. عندما يكون المواطن مريضاً بالحاجة إليه يقول «أنا في الذروة» أو «الفرن يؤلم ظهري».

جوزة الطيب. أقتبس من مقالة المؤلف المنشورة في «المجلّة البريطانيّة لشؤون الإدمان» (انظر الملحق): «المُدانون والبحارة يجدون في بعض الأحيان ملاذاً في جوزة الطيب. يذيبون ملعقة صغيرة من المادّة بالماء وتكون النتيجة مشابهة لنتيجة تأثير الماريجوانا مع الأعراض الجانبيّة وهي وجع الرأس والغثيان. يستخدم الهنود في جنوب أمريكا عدداً من المخدّرات المستخلصة من جوزة الطيب. يتمّ تعاطيها بواسطة شمّ المسحوق الجافّ للنبتة. يتعاطى الأطباء هذه المادة المضرة ويصلون إلى حالات النشوة. تُعتبر ارتعاشاتهم وتمتماتهم ذات دلالة نبوئية».

«أصبت بصداع من أثر الياغي، ولم يكن لديّ مزاج لترهات براوبك. بدأ بقوله إنّه عليّ أن أبدأ القطع من الخلف بدلاً من الأمام، وهذر كلاماً فارغاً عن ضرورة إخراج كيس المرارة حتّى لا يفسد اللحم. حسب نفسه في مزرعة ينظّف دجاجة. قلت له أن يذهب ويحشو رأسه في الفرن، وردّ الوقح على ذلك بأن دفع يدي وقطع شريان فخذ المريض. تدفق الدم وأعمى طبيب التخدير، الذي ركض عبر الأروقة يصرخ. حاول أن يضربني بركبته في منطقة الأربية، لكنني تمكّنت من قطع الوتر الموجود خلف الركبة. زحف على الأرض وحاول أن يطعنني في قدميّ وساقيّ. فيوليت، مساعدتي البابون - المرأة الوحيدة التي لم أعرها اهتماماً -

استشاطت غضباً. صعدتُ فوق طاولة العمليات متأهباً للقفز على براوبك عندما دخل رجال الشرطة.

«هذا الدويّ في غرفة العمليّات، هذا الحدث الذي لا يوصف، على حدّ قول المفتش، يمكن القول إنّه القشة التي قصمت ظهر البعير. شلّة الذئاب كانت تتهيّأ للقتل. صَلب، هذه هي الكلمة المناسبة الوحيدة. صحيح أنّي ارتكبت حماقات هنا وهناك. ومن لم يفعل؟ ذات مرة شربنا أنا وطبيب التخدير كل الأثير واستيقظ المريض، واتهموني بأنّني خفّفت الكوكايين بمادة تظهير المراحيض. فيوليت فعلت ذلك في الواقع. كان عليّ أن أحميها...

«باختصار طردونا من هذا العمل. لم تكن فيوليت طبيبة تحمل شهادة، وفي الحقيقة لم يكن براوبك يحمل شهادة أيضاً، وحتّى شهادتي اشتُبه فيها. لكنّ فيوليت كانت ملمّة بالطبّ أكثر من كبار الاختصاصيين. تمتّعت بحدس استثنائيّ وإحساس عال بالالتزام.

«هكذا وجدتُ نفسي في الحضيض ومن دون رخصة عمل... هل أنتقل إلى عمل آخر؟ لا. كان الطب في دمي. تمكّنت من الحفاظ على عاداتي منفّذاً عمليات الإجهاض المخفّضة في مراحيض مترو الأنفاق. حتّى أني هبطت إلى مستوى خداع النساء الحوامل في الشوارع العموميّة. كان الأمر لاأخلاقيّاً بشكل بحت. ثم قابلت شخصاً رائعاً، هو خوان بلاسنتا، ملِك التّوليد. جنى ثروته من بيع خدّج البقر أثناء الحرب (وهي عجول وُلدت قبل أوانها تلفّها المشيمات وتكتسحها البكتيريا، عادةً ما تكون في وضع غير صحّي وغير مؤهّلة للاستهلاك. يحظر القانون بيع العجول كغذاء ما لم تبلغ ستّة أسابيع. حتّى هذه المرحلة يُعرّف العجل كخديج. تجارة الخدّج تُعتبر مخالفة يُعاقب عليها القانون عقاباً شديداً). كان خوان صاحب

سفن شحن بضائع سجّلها تحت العَلَم الحبشيّ حتّى يتجنّب التقييدات المزعجة. منحني وظيفة طبيب على متن سفينة بخاريّة تُدعى «فيلياريزس»، أكثر سفينة ملوّثة أبحرت ذات مرّة. أجريتُ العمليّات بيدٍ واحدة، وباليد الأخرى طردتُ عن المريض الجرذان في الوقت الذي هبطت فيه علينا حشرات البقّ والعقارب من السقف.

«إذاً، من يرغب في التجانس في ظرف كهذا؟ الأمر ليس مستحيلا، لكنّه مكلف. سئمتُ من هذا المشروع. ها نحن قد وصلنا إلى ممرّ المتاعب».

يشير بينوي بيده في الهواء وينفتح الباب. ندخل وينغلق خلفنا. جناح طويل يلمع بالفولاذ غير قابل للصدأ، أرضيّات بيضاء، حيطان من لبنات زجاجيّة، أسرّة على طول أحد الحيطان. لا أحد يدخّن، لا أحد يقرأ، لا أحد يتكلّم.

يقول بينوي: «تعال، انظر عن كثب، لن تحرج أحداً».

أتقدّم وأقف أمام شخص يجلس على سريره. أنظر في عينيه. لا أحد، لا شيء خلفهما.

«ت.ع.غ - تلف عصبيّ غير قابل للانعكاس. التحرّر الفائض، إن شئت... من صعوبات مشاكل المهنة»، يقول بينوي.

أمرر يدي أمام عينيّ الرجل.

«نعم»، يقول بينوي، «يمكنهم أن يستجيبوا. انظر». يُخرج بينوي لوح شوكولاتة من جيبه، يزيل اللفافة ويضع اللوح تحت أنف الرجل. يشمّ الرّجل الرائحة. بدأ فكّاه يعملان. تحاول يداه الإمساك بالهواء. يسيل اللعاب من فمه ويظلّ ملتصقاً عند طرف ذقنه في هيئة خيوط طويلة. معدته تطلق أصواتاً. يتلوّى جسده كاملاً. يتراجع بينوي إلى الوراء ويرفع الشوكولاطة. يهوي الرجل على ركبتيه، يلقي

برأسه إلى الخلف وينبح. يرمي بينوي الشوكولاتة. يحاول الرجل أن يمسك بها، يفشل، يدور على الأرض، يُطلق أصواتاً مزعجة يسيل معها لعابه. يزحف تحت السرير، يجد لوح الشوكولاتة ويدسّه في فمه بكلتا يديه.

«يا إلهي! هؤلاء التالفون بلا ذرّة رقيّ».

ينادي بينوي حارس الأمن الجالس في آخر الجناح والغارق في قراءة كتاب مسرحيّات لجيمس بيري.

«أخرج هؤلاء التالفين الملاعين من هنا. إنّهم يبعثون على اليأس ويضرّون بالسياحة».

«ماذا أفعل بهم؟».

«من أين لي أن أعرف بحق الجحيم؟ أنا عالم. عالم صرف. فقط أخرجهم من هنا. لا رغبة لي في رؤيتهم، هذا كلّ ما في الأمر. إنهم يشكّلون عثرة».

«لكن كيف؟ إلى أين؟».

«إلى القنوات المناسبة. اتّصل بمنسّق المحافظة أو شيء من هذا القبيل... كلّ أسبوع له لقب جديد. أشكّ أنّه موجودٌ أصلاً».

يتوقف الدكتور بينوي عند الباب وينظر إلى التالفين. «الساقطون»، قال. «حسناً، هذا جزء من العمل اليوميّ».

«هل يتعافون يوماً؟».

«لا. ولن يتعافوا. ما تلف قد تلف»، يومئ بينوي بنعومة. «الآن يوجد في هذا القسم بعض الأشخاص المثيرين للاهتمام».

يقف المرضى في مجموعات صغيرة، يتبادلون الحديث ويبصقون على الأرض. يحوم الجانك في الهواء مثل ضباب رمادي.

يقول بينوي: «منظر يدفئ القلب. انظر إلى المدمنين وهم يقفون

وينتظرون الجرعة. قبل ستة أشهر كانوا مفصومين. منهم من لم يفارق سريره لسنوات. انظر إليهم الآن. طوال سنوات عملي كطبيب لم أر مدمناً مفصوماً، والمدمنون هم في الأغلب من النوع الفصاميّ. إذا أردتَ أن تشفي أحدهم من شيء عليك أن تجد أولاً شخصاً غير مريض به. من لا يعاني من الفصام؟ المدمنون. وعلى سبيل المصادفة، توجد منطقة في بوليفيا خالية من الذُّهان. معشر من البشر العاقلين في قلب الهضاب. وددتُ لو أصل إلى هناك، قبل أن يفسد المكان بمعرفة القراءة والكتابة، الدعايات، مشاهدة التلفزيون. إعداد دراسة ترتكز فقط على الأيض: التغذية، تعاطي المخدرات والكحول، الجنس وما إلى ذلك. من يأبه بما يفكّرون؟ بنفس سخافات الآخرين، في ظنّي.

«ولماذا لا يوجد مدمنون مفصومون؟ ما زلت لا أعرف. المفصوم الذي لا يتلقى تغذية يمكنه أن يتجاهل الجوع حتى الموت. لا أحد يمكنه أن يتجاهل انسحاب الهيروين، الإدمان نفسه يجبره على التواصل.

«لكنّ هذا جانب واحد فقط. المسكالين، ال اس دي ٦، الأدرينالين المنخفض، الهرمالين، يمكنها جميعها أن تخلق حالة قريبة من الفصام. يمكن استخلاص أجود مادّة من دم الفصاميين، لذا فإنّه على الأرجح أن يكون الفصام ذهان مخدّرات. هناك علاقة أيضيّة بينهما: يمكن القول إنّه التّاجر الباطنيّ (القراء المعنيّون مدعوّون لتصفّح الملحق).

«في المرحلة النهائيّة للفصام يكون الدماغ الخلفيّ مثبطاً على الدوام، أما الدماغ الأماميّ فيكون خاوياً لأنّه ينشط فقط رداً على تحفيزات الدماغ الخلفي.

«على غرار المادة الفصامية، ينشّط المورفين المواد التي تثبط الدماغ الخلفي (لاحظ الشبه بين متلازمة الانسحاب وتأثير الإل إس دي والياغي). النتيجة النهائية لتعاطي الجانك - والأمر صحيح بشكل خاص في تعاطي الهيروين حيث تتوفر جرعات كبيرة منه للمدمن - ضرر دائم في الدماغ الخلفي، وهو وضع يشبه الفصام النهائي: الغياب التام للعاطفة، التوحّد، الغياب التام لعمل الدماغ. قد يجلس المدمن ويتأمل الحائط طوال ثماني ساعات. إنه يعي ما حوله، لكنه لا يعني له عاطفياً شيئاً، والنتيجة فقدان الاهتمام تماماً. تشبه تذكّر فترة الإدمان الثقيل إعادة سماع تسجيل أحداث سجّلها الدماغ الخلفيّ فقط: كلام مبهم حول أحداث خارجيّة. 'ذهبتُ إلى المتجر واشتريت السكّر البنيّ. عدتُ إلى المنزل وتناولتُ نصف العلبة. تعاطيتُ جرعة مكونة من ثلاث حبوب من المورفين إلخ'. غياب تام للحنين في هذه الذكريات. لكن لحظة سقوط تعاطي الجانك تحت الخطّ المطلوب، تغمر مواد الانسحاب الجسد.

«إذا كانت اللذة تعني استراحة من التوتر، فإنّ الجانك يتيح الاستراحة من كلّ الحياة، بواسطة الانقطاع عن الهيبوتلاموس، الذي يشكّل مركز الطاقة النفسيّة والغريزة الجنسيّة.

«بعض زملائي المتعلّمون (مجرد مجاهيل) اقترحوا أنّ الجانك يشتقّ تأثيره الأوفوريّ من تحفيز مركز الإرجاز. يبدو أنّه من المرجح أكثر أن الجانك يلغي دورة التوتر-التفريغ- الراحة. لا دور للإرجاز في حياة المدمن. الملل، الذي يشير دائماً إلى التوتر المفرغ، لا يضايق المدمن على الإطلاق. هو قادر على تأمل حذائه لمدة ثماني ساعات. يعود إلى الحياة فقط مع سقوط آخر حبة في ساعة الجانك».

في أقصى القسم يفتح أحد العاملين الغالق الحديديّ ويطلق صرخة خنزيريّة. يندفع المدمنون نحوه يقبعون ويصيحون.

يقول بينوي: «يا شاطر. لا احترام لكرامة الإنسان. سأريك قسم المنحرفين المعتدلين والمجرمين. نعم، المجرم يُعد هنا منحرفاً معتدلاً. إنه لا ينكر ميثاق فريلاند، وإنّما يحاول أن يتجاوز بعضاً من بنوده. هذا أمر مستهجن لكنه ليس خطيراً جداً. حتّى هنا... سنتجاهل الأقسام ٢٣، ٨٦، ٥٧، و- ٩٧... وكذلك المختبر».

«هل يُصنّف المثليّون كمنحرفين؟». تذكّر أرخبيل بسمارك. لا توجد مثليّة صريحة. دولة البوليس *الفاعلة* لا تحتاج إلى شرطة. لا يتبادر إلى ذهن أحد أن تكون المثليّة سلوكاً وارداً... تعتبر المثلية جريمة سياسية في مجتمع أموميّ. لا يطيق أي مجتمع تقبل الرفض العلني لقيمه الأساسية. لسنا داخل نظام أموميّ هنا، *إن شاء اللّه*. هل تعرف التجربة التي يجرونها على الجرذان حيث تكون عرضة لصدمة كهربائية وتُلقى في الماء البارد إذا تحركت باتجاه الإناث. جميع هذه الجرذان تصير مثلية وهذه هي الحال مع علم أسباب الأمراض. ولو حدث وصرخ أحد هذه الجرذان أنا لوتيييييي ومبسوووووووط[1]، أو من قطعه لك أيها الشاذّ مزدوج الثقب؟، لكنتُ قلتُ إنّه جرذ أخرق... في الفترة التي عملت فيها محللاً نفسياً (وقد وقعت بعض المشاكل مع الجمعيّة) أصيب مريضٌ بنوبة سُعار القتل عند محطة المترو وفي يده قاذفة لهب، انتحر اثنان ومات مريض على الكنبة مثل جُرَذ الغابة (تميل جرذ الغابة إلى الموت عندما تواجه وضعاً لا مخرج منه). وقد بكى أقاربه وقلتُ لهم، هذا جزء

(١) تحريف لغويّ من الكاتب للأصل «أنا لوطيّ وهذا يعجبني».

من العمل. لذا أخرجوا هذه الجثة المتخشّبة من هنا. إنّها تُحبط مرضاي الأحياء. لاحظتُ أنّ جميع المرضى المثليين يبدون ميولاً متباين الجنس باطنياً، بينما يبدي المرضى متباينو الجنس ميولاً مثلياً. أمر يشوّش الدماغ، أليس كذلك؟».

«وماذا تستنتج من كل ذلك؟».

«أستنتج؟ لا شيء. مجرّد رصدٍ عابر».

أثناء تناولنا وجبة الغداء في مكتب بينوي، يتلقّى مكالمة.

«ما هذا؟... وحشيّ! غرائبيّ!... استمروا واستعدّوا».

يضع سماعة الهاتف. «وافقت على تنفيذ مهمّة فوريّة من قبل إسلام م.ض. الظاهر أن الدماغ الإلكتروني جن أثناء لعبة شطرنج سداسية الأبعاد مع التقني وسرّح جميع المرضى في المركز. فلننه النقاش ونصعد إلى السطح. عمليّة لطائرة مروحيّة على وشك أن تبدأ».

من سقف المركز نشاهد منظراً مرعباً لا نظير له. يقف التالفون من حول طاولات المقهى، تسيل خيوط لعاب طويلة من أذقانهم، بطونهم تقرقر، بعضهم ينتعظ من رؤية امرأة. لاتاويون يحاكون المارة بفظاظة قرديّة. مدمنون اقتحموا الصيدليات وصاروا يحقنون في كلّ ركن في الشارع... جامودّيون يزيّنون المتنزهات... مفصومون متهيّجون يندفعون إلى الشوارع يصيحون صيحات مخنوقة لا إنسانية فيها. جماعة م.ج. (المتأهلون جزئياً) يلتفون حول سيّاح مثليين بابتسامات المتبصّرين، تكشف عن جماجم نورديّة تحت جلد الوجه. «*ماذا تريدون؟*»، ينفجر أحد المثليين بالسؤال.

«نريد أن نفهمكم».

جماعة من السيموباثيين تولول وتتأرجح على الثريات والشرفات والشجر، تخرأ وتتبول على المارّة. (السيموباثي- وقد فاتني الاسم التقني لهذا الاضطراب- هو شخص على يقين أنّه قرد. هذا الاضطراب خاصّ بالجيش، بعد التّسريح يُشفى منه). يهرول مرضى سعار القتل ويقطعون الرؤوس، وجوههم عذبة وقصيّة بأنصاف ابتسامات حالمة... المرضى بمتلازمة البانغ-اوتوت[1] في مراحلها الأولى يقبضون على أعضائهم التناسلية ويصيحون بالمارة... عربي يثير شغباً يصرخ ويصيح، يخصي، ينزع الأحشاء، يرش البنزين المشتعل... راقصون شبان يؤدون رقصات عري معوية، نساء يقحمن أعضاء ذكرية مقطوعة في فروجهنّ، يدققنها ويضربنها ويلقين بها باتجاه حبيب القلب... متطرّفون دينياً يخطبون في الناس من المروحيّات ويمطرون فوق رؤوسهم ألواحاً حجرية نُحتت عليها رسائل لا معنى لها.. رجال منمّرون يمزقون الناس إرباً بمخالب فولاذية.. جمعية أكلة لحوم البشر من قبيلة كواكيوتل يشرعون في قضم الأنوف والآذان...

يطلب أحد أكلة الغائط صحناً، يخرأ فيه ويأكل الخراء، صارخاً «مممم، هذا خرائي الدسم».

كتيبة من المنحرفين الضجرين تتسكع في الشوارع وفي ردهات الفنادق، بحثاً عن ضحايا. طليعيّ مفكّر - «في أيامنا هذه، الكتابة الجديرة الوحيدة هي التقارير العلميّة والمطبوعات الدوريّة» - قامَ بحَقن عابرٍ بالبالبوكابنين واستعدَ ليقرأ عليه مقالة بعنوان «استخدام الهيموغلوبين الجديد لعلاج الورم الحُبَيبي التنكّسيّ» (طبعاً، المقالة عبارة عن خليط من الهراءات المنسوجة من خياله).

---

(١) متلازمة اضطراب نفسي توهم بضمور الأعضاء التناسلية.

قام إمبرياليّ إنجليزيّ، يدعمه خمسة من رجال الشرطة، بإيقاف مشبوه في بار النادي: «قل لي، هل تعرف موزمبيق؟» سأل وشرع في حديث لا ينتهي عن المالاريا التي يعاني منها. «قال لي الطبيب 'استطيع أن أنصحك فقط بمغادرة المنطقة. وإلا فسأضطرّ إلى دفنِك'. هذا الطبيب العجوز يعمل في الدفن إلى جانب عمله. يمكن القول إنه بين الحين والآخر يحسّن نسب الوفيات، ويحسّن مصدر دخله». بعد كأس الجن الثالثة، وبينما يظنّ نفسه ملماً بما فيه الكفاية، يشرع في الحديث عن الزحار. «إخراج استثنائيّ. لونه تقريباً أصفر ضارب إلى الأبيض مثل سائل منويّ نتن وليفيّ، كما تعلم».

مستكشف يعتمر خوذة شمسيّة يوقع مواطناً بسهم مغموس بالكورير من قصبة نفخ. ينفخ في هذه القصبة نفخاً اصطناعياً بإحدى قدميه. (يؤدّي الكورير إلى الموت بواسطة شلّ عضلات الرئتين. عدا ذلك فهو ليس ساماً وليسَ سماً، بتعريف أكثر صرامةً. العلاج بواسطة التنفس الاصطناعيّ لا يقتل. تقوم الكلى برشح الكورير بسرعة عالية؟ «كان ذلك في عام الطاعون، عندما مات كلّ شيء، حتّى الضّباع... وفجأة وجدت نفسي من دون مرهم مرطب في رأس مؤخرة القردوح. عندما قطروه لي لا تتخيل كم كنت شاكراً فضلهم... في الحقيقة، وهذا أمر لم أخبر به حياً-هم كلاب مواربون» - يتردد صدى صوته في بهو ضخم وخال لفندق يعود طرازه إلى القرن التاسع عشر، قطيفة حمراء، أشجار مطاط، تماثيل وطلاء مذهّب - «كنت الرجل الأبيض الوحيد الذي انضم إلى جمعية أغوتي سيئة السمعة، والوحيد الذي شاهد وشارك في طقوسهم الفظيعة».

(خرجت جمعية أغوتي إلى احتفال مع أفراد قبيلة تشيمو. [مارست قبيلة تشيمو الموجودة في البيرو القديمة اللواطة، ومن وقت لآخر كانت تقع فيها معارك دامية تنتهي بمئات المصابين في فترة الظهيرة]. الشّبان الذين يسخرون بعضهم من بعض ويلكزون بعضهم بالهراوات. يخرجون إلى الحقل. لقد حان وقت المعركة.

أيّها القارئ الرقيق: إن قبح هذا المنظر يفوق أيّ محاولة للوصف. من يقدر أن يكون جباناً بوّالاً وشريراً مثل قرد المندريل أحمر المؤخرة في الآن نفسه، ويتنقّل بينهما مثل بهلوان موهوب؟ من يقدر أن يخرأ على عدوّ سقط، يأكل الخراء ويصيح بهجةً وهو يحتضر؟ من يقدر أن يعلّق كائناً مجهولاً وضعيفاً ويلتقط منيّه بفمه مثل كلب قاسٍ؟ أيّها القارئ الرقيق، كان من الأفضل لو وفّرتُ عليك كلّ ذلك، لكنّ لقلمي إرادة مثل إرادة الملاح القديم[1].

يا إلهي، يا له من منظر! هل يمكن لكلمة مكتوبة أو منطوقة أن تضمّ هذه الفضائح. مخرّب شابّ وبهيميّ اقتلع عينيّ غريمه وهو يضربه على دماغه. «هذا الدماغ ضامر وجافّ مثل فرج جدّتي».

يتحوّل إلى مجرم روك أند رول. «لا آبه بفرج أمّي - مثل كلمات متقاطعة، ما علاقتي بالنتائج إن لم تخرج؟ هل والدي لا فعلاً أم أنّه لا يزال؟ لا أستطيع أن أنيكك يا جاك، فأنت ستصبح والدي، ومن الأفضل أن أقطع حنجرتك وأنيك أمّي كما هو لازم، على أن أنيك أبي- أو العكس، بعد كلّ التغييرات المطلوبة، سأقطع حنجرة أمّي، فرجها المقدّس، على الرغم من أنّي لا أعرف طريقة أفضل لسدّ سيل كلماتها وتجميد مُلكها. أقصد أن الإنسان عالق في الوسط ولا يعرف هل يعطي مؤخرته للبابا أم يدلّل ثديَي الماما العجوز.

---

(١) إحالة إلى قصيدة الملاح القديم The Ancient Mariner لكولردج.

أعطوني فرجَين وأيراً من فولاذ وأبعدوا أصابعكم القذرة عن مؤخرتي، هل أبدو لكم لجنة قبول بمؤخرة حمراء هربت من غيبرالتار؟ لقد خصاهما ذكراً وأنثى. من لا يمكنه أن يفرّق بين الجنسين؟ سوف أقطع حنجرتك أيها الأبيض يا ابن القحبة. اخرج يا حفيدي إلى الخارج وقابل أمّك التي لم تولد في ساحة معركة ملتبسة. لقد أفسد الارتباك رائعتي. لقد قطعتُ خطأً حنجرة الخادم، كان سافلاً فظيعاً، مثل أبي. وفي العتمة كلّ السفلة سواء».

هيا نرجع إلى ساحة الرّعب. ولجَ شابّ في رفيقه، بينما بتر شاب آخر أفخر جزء في ذلك الأير المرتعش لذةً، وهكذا برز العضو الزائر كي يسد الفراغ الذي نتج وأمنى في الهَور الأسود حيث سمك البيرانا نافد الصبر يقضم طفلاً لم ولن يولد- في ضوء الحقائق المتأصّلة).

ثقيل دم آخر يجرّ حقيبة تعجّ بالجوائز والميداليات والكؤوس وأشرطة التميّز. «حظيتُ بهذه الجائزة في مسابقة 'الأداة الجنسيّة الأكثر ابتكاراً' في يوكوهاما. (امسكوه، إنّه يائس). منحني القيصر إياها بنفسه والدموع في عينيه، وجميع المنافسين خصوا أنفسهم بسيوف الهاراكيري. وحظيت بهذه الميدالية في مسابقة 'الإذلال' في مؤتمر المدمنين المجهولين في طهران».

«قضيت على مرض التصلّب المتعدّد عند زوجتي، وعليها، بحجر كلى بحجم 'جوهرة الأمل'. أعطيتها نصف حبة من الفاغانن وقلت لها 'لا تتوقعي أن ترتاحي راحة تامّة... اخرسي. أريد أن أستمتع بدوائي'.

«سرقت تحميلة أفيون من مؤخرة جدّتي».

يمرّ وسواسيّ ومعه وهق، يرتدي سترة المجانين ويشرع في

الحديث عن حاجزه الأنفيّ المتعفّن: «مادّة قيحيّة فظيعة معرّضة للتدفق نحو الخارج... انتظر وسترى».

يتعرّى ويكشف عن نُدب من أثر عمليّة بأصابع إحدى ضحاياه الممانعة: «هل تشعر بالتورّم في أربيّتي حيث أعاني من ورم حُبيبي لمفيّ... الآن أريد منك أن تتحسس بواسيري الداخليّة».

(المقصود بالورم الحبيبيّ اللمفيّ، «طاعون مناخيّ»، مرض جنسيّ فيروسيّ ينحدر من أثيوبيا. «ليس عبثاً أنّهم ينادوننا بالأثيوبيّين القذرين»، يسخر أحد المرتزقة الأثيوبيين وهو يمارس الشذوذ الجنسي مع فرعون، سام تماماً مثل كوبرا الملك. ورق البردي من مصر القديمة لا يكف عن الحديث حول الأثيوبيين القذرين.

هكذا بدأ الأمر في أديس أبابا، مثل مرض طاعون البقر في جيرزي. لكنّنا في عصر الحداثة، عالم واحد. اليوم تتورّم هذه الدّبل المناخيّة في شنغهاي وإسميرالداس ونيو أولينز وهيلسينكي وسياتل وكيبتاون. لكن القلب دائماً يحن إلى الوطن والمرض يبدي ميلاً واضحاً نحو السود، وهو في الواقع المتعاون السري التابع للعنصريين البيض. لكن يقال إن الودونيين من الماو ماو في كينيا ينتجون مرضاً جنسياً مميزاً للعنصر الأبيض. هذا الأمر لا يعني أن بيض البشرة مستثنون: لقد أصيب خمسة محاربين بريطانيين بالعدوى في زنزيبار. وفي أركنساس، بلد السود الموتى [أكثر الأراضي سواداً وأكثر البشر بياضاً في الولايات المتحدة الأمريكيّة- أيها الزنجيّ، لا تُرنا وجهك بعد أن تغرب الشمس من هنا]. أصيبَ أحد المحققين المحلّيين في أسباب الوفاة، بالعدوى من الأمام ومن الخلف. أحرقته ثلّة من جيرانه اليقظين، حتّى المَوت، مع تقديم الاعتذار في مراحيض إحدى المحاكم المحليّة.

«الآن، يا كلِم، فكّر في نفسك كما لو كنتَ بقرة مريضة بالحمّى القلاعيّة».

«أو دجاجة مصابة بطاعون الطيور».

«لا تقربوه - قد تنفجر أمعاؤه ناراً».

باختصار، يملك المرض حيلة يمكنه عبرها أن ينتقل من مكان إلى آخر- على عكس فيروسات خطيرة أخرى مصيرها الضمور بشكل غير تام في أمعاء قرادة أو بعوضة غابة، أو في لعاب فضيّ لابن آوى يحتضر تحت ضوء قمر صحراويّ. بعد وقوع إصابة موضعيّة في مكان الولوج، ينتقل المرض إلى الغدد اللمفاويّة في الأربيّة التي تنتفخ وتنفجر في شقوق متقيّحة تفرز سائلاً قيحياً خيطياً محزّزاً بالدم واللمف الفاسد طوال أيّام، أشهر وأعوام. الفُيال التناسليّ هو أحد الأمراض المعقّدة السّائدة، كذلك حالات الغنغرينا التي يوصى فيها بقطع الجزء السفليّ من جسم المريض، لا يستحقّ المجهود.

عادةً ما تعاني النساء من التهاب ثانويّ في الشرج. الذكور الذين أذعنوا لجماع خامل مع قرينٍ مصاب بالعدوى قبل أن يتحوّلوا إلى قراديح بمؤخرات حمراء، قد يربّون غريباً في أجسادهم. يؤدّي الالتهاب الأوليّ والإفراز القيحيّ الذي لا بدّ منه- وقد يكون عصياً على الملاحظة وسط هذه الخلطة- إلى انسداد في الأمعاء الغليظة يتطلّب استخدام قاطعة تفاح أو أداة جراحيّة موازية، وإلاّ اضطر المريض التعيس إلى أن يضرط ويخرأ من فمه، الأمر الذي قد يتسبب في انتشار رائحة الفم الكريهة وانحسار الشعبيّة عند كافّة أجناس وأعمار وظروف الجنس البشريّ. في الواقع، حدث أن كان هناك لوطيّ هجره كلبه الرّقيب بسبب تعقيدات في المرض. حتى الآونة الأخيرة، لم يكن هناك دواء مناسب للمرض. «العلاج

عرضيّ» أو بكلمات بسيطة: لا علاج. اليوم، يمكن معالجة قسم من الحالات بالمضادات الحيويّة. لكن في نسبة غير بسيطة من الحالات، يظلّ المرض صامداً مثل غوريلات الجبال... لهذا، يا أولاد، عندما تتجوّل اللعقات الساخنة على خصيكم وأيوركم وتنحسر في مؤخراتكم كاللهبة الزرقاء الخفيّة لمشعل الأورغون، على حدّ قول تي. جي. وطسون، شغّلوا عقولكم! توقّفوا عن اللهاث واللمس.. وإن أمسكتم قردوحاً من الخلف، تحرّكوا إلى الأمام بسرعة وليتذمّر الواحد منكم بصوت باردٍ أنفيّ قائلاً: «هل تظنّ أنّني معنيّ بأن أصاب بمرضك الفظيع؟ لا لست معنياً على الإطلاق»).

المخرّبون المراهقون من جماعة الروك أند رول يحتلّون شوارع العالَم. يقتحمون متحف اللوفر ويرشقون وجه الموناليزا بالحمض. يفتحون حدائق الحيوانات، السجون، المصحّات النفسيّة، يفجّرون أنابيب المياه المركزيّة بمطارق هوائيّة، يحرّون أرضيّة المراحيض في طائرين المسافرين، يفجّرون المنارات، يبردون كوابل المصاعد ويحوّلونها إلى خيوط رفيعة، يوصلون أنابيب الصرف الصحيّ بأنبوب مياه الشّرب، يلقون بأسماك القرش وأسماك الرقيطة والأنقليس والكانديرو في برك للسباحة (الكانديرو هو سمك يشبه الأنقليس، يبلغ طوله خمسة سنتيمترات وعرضه نصف سنتيمتر، ينحاز للأنهار سيّئة الصّيت في حوض الأمازون، يثب على أيرك، ثقب مؤخرتك أو على فرج امرأة- في حال غياب بديل أفضل- ويثبّت نفسه هناك بمساعدة أشواكه- ما من أحد يعرف السبب لأنّه ما من أحد بحث الكانديرو في بيئته الطبيعيّة)، بالزيّ البحريّ يطلقون سفينة «كوين ماري» بسرعة صوب ميناء نيويورك. يلعبون لعبة الغميضة مع طائرات

المسافرين والحافلات، يقتحمون المستشفيات بالبالطو الأبيض ويحملون المناشر والفؤوس والمباضع التي يبلغ طولها متراً، يلقون بالكسيحين من رئات حديديّة (يحاكون اختناقاتهم، ينطرحون أرضاً، ويحرّكون عيونهم بحركة دائريّة)، يحقنون المرضى بمضخات دراجات هوائيّة، يفصلون الكلى الاصطناعيّة، بمنشار جراحيّ يحزّون امرأة إلى نصفين، يسوقون قطعاناً من الخنازير تصيح بأعلى صوتها نحو مبنى البورصة، يخرأون على أرضيّة الأمم المتّحدة ويمسحون مؤخراتهم بمعاهدات واتفاقيات وتحالفات دوليّة.

في الطائرات، السيارات، على ظهور الخيل، الجمال، الفيلة، الجرّارات، الدراجات الهوائيّة، المدحلات، مشياً على الأقدام، في أحذية التزلج والتزحلق، بعصيّ المشي والقفز، يندفع السائحون نحو الحدود ويطالبون بشكل صارم باللجوء السياسيّ من «الظروف المستحيلة التي تسود فريلاند». يحاولون في الغرفة التجاريّة منع الفوضى عبثاً: «الرجاء التزام الهدوء. إنّهم ثلّة من المجانين من مستشفى مجانين اقتحموا المكان».

خوزيليتو

وخوزيليتو، الذي ألّف شعراً رديئاً يتّسم بالوعي بالطبقيّة، بدأ يسعل. أجرى الطبيب الألماني فحصاً قصيراً، ولمس أضلاعه بأصابع رقيقة طويلة. كان الطبيب أيضاً عازف كمان وعالم رياضيّات ولاعب شطرنج بارعاً ومتخصّصاً في القانون الدولي الذي تضمّن رخصة مزاولة المهنة في مراحيض المحكمة الدولية في هاغ. ألقى نظرة حادّة وعن بعد على صدر خوزيليتو ذي اللون البني الغامق. نظر

إلى كارل وابتسم -ابتسامة رجل مثقّف إلى صديقه- ورفع حاجبيه قائلاً بلا كلمات:

«كذلك، يحظر أن نقول كلمة الحق للأحمق، أليس كذلك؟ وإلاّ سيخرأ في سرواله من فرط الخوف. وبرأيي فإنّ السعال والتنخّع مفردتان فظيعتان».

وقال بصوت عال: «إنّها نزلةٌ في الرئتين»[1].

تحدّث كارل إلى الطبيب في الخارج تحت الممر المقنطر الضيّق وسال المطر من الشارع على حوافّ سرواله وفكّر في كلّ من قال لهم الطبيب هذا الكلام، وفي الدرج، الشرفات، الحدائق، طرق المركبات، أروقة وشوارع العالم التي رآها يعيني الطبيب... حجيرات ألمانيّة خانقة، صوانيّ مزخرفة مكوّمة تصل إلى السّقف، رائحة صامتة ومنذرة بفشلٍ كلويّ يتسرّب من تحت الباب، حدائق في الضواحي وصوت رذاذ الماء في ليل غابة ساكن تحت جناحين ساكنين لبعوضة الأنوفيليس. (ملاحظة: تلك ليست استعارة، فبعوض الأنوفيليس فعلاً صامت). عيادة سريّة في كنسينغتون، سجّاد من النوع الثقيل: كرسيّ صلب وكأس من الشاي، صالون مؤثث بأثاث سويدي حديث ونبتة الخزامى في وعاء أصفر- في الخارج غيوم منساقة في سماء شماليّة زرقاء خزفيّة، تحت لوحات مائيّة رديئة رسمها طالب يدرس الطبّ يُحتضر.

«كأس من الشنابس من فضلك، سيدة أوندرشنيت».

تحدّث الطبيب عبر سماعة الهاتف. كانت رقعة الشطرنج أمامه. «أظنّه ضرراً كبيراً... دون أن أرى صورة الأشعة». يرفع الفارس

---

(١) ترد في النصّ باللغة الإسبانية catarro de los pulmones

ويضعه بشكل مدروس. «نعم.. في كلتا الرئتين.. بكلّ تأكيد». يعيد السماعة إلى مكانها ويلتفت إلى كارل. «من تجربتي، يتعافى هؤلاء الأشخاص بسرعة مثيرة للدهشة، بزاوية إصابة منخفضة بالتلوّث. ودائماً ما يحدث ذلك في الرئتين... التهاب رئوي قديمٌ ووفيّ». يُمسك الطبيب كارل من أيره، يثب في الهواء وثبة مرح بضحكة فظّة. ابتسامته الأوروبيّة لا تعكس سلوكه الطفوليّ أو الحيوانيّ. يواصل الكلام بسلاسة بلغة إنجليزيّة منفلتة وغير منبورة على نحو غريب. «طبيبنا الوفيّ القديم باسيلوس كوخ». يطقطق الطبيب بكعبي حذائه ويميل رأسه. «وإلاّ ألقي بالحمقى المتكاثرين في البحر، أليس كذلك؟» يصرخ، دافعاً بوجهه إلى وجه كارل. ينسحب كارل جانباً، فيما الجدار الرماديّ الواقي من المطر من خلفه.

«أما من مكان يمكنه تلقّي العلاج فيه؟».

«أظن أن هناك مصحّة»، يطلق الكلمة بشكل قذر مبهم، «في عاصمة المحافظة، سأعطيك العنوان».

«علاج كيماويّ؟».

في الهواء الرطب، يصبح صوته ثابتاً وثقيلاً.

«ربما. كلّهم حمقى، وأشدّهم حمقاً من يدّعون أنّهم متعلّمون. هؤلاء البشر، ليس فقط يجب منعهم من تعلّم القراءة والكتابة، وإنما تعلّم النطق أيضاً. لا حاجة إلى منعهم من التفكير فقد فعلت الطبيعة فعلها في هذا الشأن».

«إليك العنوان»، همس الطبيب دون أن يحرك شفتيه.

ألقى في يد كارل ورقة ملفوفة، أصابعه القذرة، التي تلمع فوق القذارة، حطّت على كُم كارل.

«وماذا عن أتعابي؟».

دسّ له كارل ورقة نقديّة مجعدة. . . وغاب الطبيب في الغسق الرمادي، رثاً وخفياً مثل مدمن عجوز.

رأى كارل خوزيليتو في غرفة نظيفة وكبيرة مضاءة، فيها حمّام خاصّ وشرفة من باطون. لم تكن هناك مادّة للحديث في الغرفة الكبيرة والفارغة، تنمو نبتة الخزامى داخل الوعاء الأصفر، وهنا السّماء الزرقاء الخزفيّة والغيوم المندفعة، والخوف يلمع في عيني خوزيليتو. عندما ابتسم، طار الخوف في أشتات من الضوء، تربّصت بخفاءٍ في أركان الغرفة الهادئة والباردة. وماذا كان بإمكاني أن أقول وأنا أستشعر الموت من حولي، وشظايا الصّور التي تمرّ في رأسي قبل النوم؟

«سيرسلونني غداً إلى مصحّة جديدة. تعال لزيارتي. سأكون هناك وحدي».

سعل وتناول حبّة كودئين.

«يا دكتور، أنا أفهم، أقصد يمكنني أن أفهم، فقد قرأت وسمعت، لا خلفيّة طبيّة لي - ولا أتظاهر بأنّي أفهم - أنّ العلاج الكيماوي تقريباً حلّ مكان - أو على الأقل انضاف إلى طريقة العلاج بالمصحّة- هل هذا صحيح في رأيك؟ ما أقصد قوله يا دكتور، ورجاءً أخبرني بكلّ صراحة، إنساناً لإنسان، ما رأيك في العلاج الكيماويّ مقارنةً بالعلاج في المصحّة؟ هل تؤيّد؟».

ظلّ وجه الطبيب الهنديّ الذي يكشف عن كبدٍ مريض، خالياً مثل وجه مقامر. «على الطراز الحديث تماماً، كما ترى بنفسك»، يشير إلى الغرفة بأصابع بنفسجيّة اللون نتيجة مشاكل في الدورة الدمويّة. «حوض استحمام. . . مياه. . . ورود. . . كلّ شيء». أنهى

كلامه بلهجة إنجليزيّة كوكنيّة وبابتسامة نصر متكلّفة. «سأكتب رسالةً من أجلك».

«هذه الرسالة؟ للمصحّة؟».

كان كلام الطبيب يصدر من بلاد الصخور السوداء والبحيرات الشاطئيّة الهائلة، بنيّة ومتقزّحة. «الأثاث.. حديث الطراز ومريح. توافقني الرأي، أليس كذلك؟».

لم ينجح كارل في رؤية المصحّة، وذلك بسبب واجهة جصيّة خضراء فوقها لافتة نيون مصمّمة ميتة ومثيرة للشؤم مقابل السماء، في انتظار حلول الظلام. بدا أن المصحّة قد شُيّدت على جرف حجر جيريّ هائل، حيث تعالقت محاليق الكرم اللولبيّة والأشجار النابتة في شكل موجات. كان الجوّ يعبق برائحة الورود.

جلس القائد على منصة خشبيّة طويلة تحت عريشة الكرم. جلس دون أن يفعل شيئاً على الإطلاق. أخذ الرسالة التي ناوله إياها كارل وقرأها، تتهجّى شفتاه بشكل هامس ما هو مكتوب فيما إصبع يده اليسرى يشير إلى الكلمات. علّق الرسالة على مسمار فوق دورة المياه. بدأ ينسخ معلومات من دفتر حسابات مليء بالأرقام. كتب وكتب.

صورٌ متكسّرة انفجرت برقّة في رأس كارل، وقد خرج خارج نفسه بتحليق هادئ. من مسافة بعيدة رأى صور حادّة وواضحة له وهو يجلس في حجرة الطعام. جرعة مفرطة من الهيروين. تقوم شريكته بهزّه وتضع كوباً من القهوة الساخنة تحت أنفه.

ثمّة مدمنٌ عجوز بزيّ سانتا كلوز يبيع في الخارج طوابع عيد الميلاد. «حاربوا السلّ، أيها السادة»، يهمس بصوت المدمن

المجرّد. جوقة من جيش خلاص من المثليين يبدون كمدرّبي كرة القدم صادقين، تنشد ترنيمة.

عاد كارل إلى جسده، شبح مدمن ملموس.

ينقر القائد بإصبعه على الطاولة وينشد ترنيمة. كان بعيداً، وسرعان ما اقترب مثل صافرة الضباب لحظة قبل الارتطام السحيق..

استلّ كارل ورقة نقديّة من جيبه... وقف القائد بجانب مجموعة كبيرة من الخزانات الصغيرة وصناديق إيداع الأغراض. نظر إلى كارل بعيني حيوان عليلتين تحتضران من الداخل، فيهما خوف يائس يعكس وجه الموت. محاطاً برائحة الورد، تلوح الورقة النقديّة من جيب كارل، يُصاب بضعف يسدّ منافسه ويجمد دمه. رأى نفسه يدور داخل مخروط باتجاه نقطة سوداء.

«العلاج الكيماوي؟» خرجت الصرخة من لحمه ومرّت بغرف الخزانات الصغيرة وبالثكنات الفارغة، فنادق الاستجمام عفنة، وأروقة شبحيّة طويلة لمصحّات مرض السلّ، عبر التمتمات وبيع التجوّل ورائحة ماء غسيل الصحون الراكد في الفنادق الرديئة، ودور العجزة، والجمارك والمخازن المغبرة والأروقة المعمّدة المتهافتة والزخرفات الباهتة والمِبولات الحديديّة التي كلحت من بول مليون مثليّ، مراحيض مهجورة تُنبت عشباً برياً ولها رائحة نتن البراز عادَ إلى الأرض، قضيب خشبيّ منتصب فوق قبور شعوب محتضرة، حزين مثل أوراق في الريح، باتجاه النهر البنيّ العظيم حيث تطفو كلّ الأشجار وعلى أغصانها أفاع خضراء والليمورات ترقب الشاطئ على ساحل رحيب (أجنحة نسور في هواء جاف). الطريق مزروعة بالأوقية الجنسيّة الممزقة وكبسولات الهيروين الفارغة وأنابيب الفازلين المجفّفة مثل مسحوق العظم المجفّف في شمس الصيف.

«*أثاثي!*» اشتعل وجه القائد مثل معدن في الضوء المُبهر للعجلة. انطفأت عيناه. هبّة من الأوزون تحرّكت في الغرفة. غمغمات «نوفيا» فوق الشموع ومذبح في ركن الغرفة.

«كلّ شيء هنا اصطناعيّ... حداثيّ الطراز، رائع...» يحرّك رأسه كالأحمق ويسيل لعاب من فمه. قطّ أصفر يشدّ سروال كارل ويهرب إلى الشرفة الباطونيّة. غيماتٌ تمرّ.

«يمكنني أن أسترجع عربوني، وأقيم مصلحة صغيرة في أيّ مكان». يحرّك رأسه ويبتسم مثل دمية آلية.

«خوزيليتو!!!» يرفع أولاد أبصارهم من ألعاب كرة في الشارع، حلبات الملاكمة وسباقات الدراجات عند مرور الاسم مثل صفير ويختفي ببطء.

«خوزيليتو!... باكو!... بيبي!... إنريكي!...» يندفع نداء الفتى الحزين في الليل الدافئ. تدور اللافتة مثل حيوانٍ ليليّ، وتتفجّر مثل شعلة زرقاء.

اللحم الأسود

«نحن صديقان، أليس كذلك؟».

رسمَ الصبيّ ملمّع الأحذية ابتسامته الماكرة ونظر إلى عينَي البحّار الميتتين، عينين باردتين غائصتين عميقاً في الماء، لا أثر للحميميّة أو للشهرة أو للكراهيّة فيهما، أو أيّ أثر لأيّ إحساس عاشه الصبيّ مع نفسه أو رآه لدى الغير، باردتين وحادّتين، متجرّدتين وضاريتين في الآن نفسه.

مال البحار إلى الأمام ووضع إصبعاً على مرفق الصبيّ. تكلّم هامساً همسة المدمن الميّتة.

«بأوردة كهذه يا ولد، كنتُ سأقضي وقتاً ممتعاً!».

ضحك، ضحكة حشرة سوداء بدت كما لو أنّها تؤدّي وظيفة توجيهٍ غامضة مثل صوت الوطواط. ضحك البحار ثلاث مرات. توقّف عن الضحك وتسمّر بلا حركة، مستمعاً إلى ما يجري داخله. أدرك التردّد الصامت للهيروين. لانَ وجهه مثل الشمع الأصفر على عظام خدّيه الناتئة. انتظر مدّة نصف سيجارة. عرف البحار كيف ينتظر. لكن عينيه اشتعلتا بجوع جاف رهيب. أدار رأسه بعجلةٍ مضبوطة ليراقب الرجل الذي دخل. جلس «فاتس» تيرمينال إلى إحدى الطاولات وتفحص المكان بعيني ناظور فارغتين. عندما رأى البحّار هزّ رأسه بدقّة، وحدهم مدمنو الهيروين بأعصابهم المتقشّرة قادرون على استيعاب هذه الحركة.

مدّ البحّار قطعة نقديّة للصبيّ. اندفع نحو طاولة فاتس بمشية مترنّحة وجلس. جلسا مدّة طويلة صامتين. شُيّد المقهى على ممرّ حجريّ في أسفل منحدر مغطى ببناء حجريّ مرصوص. مرّت وجوه المدينة عنهما، صامتة مثل الأسماك، بؤساء ملوّثون مدمنون على شهوات وضيعة. كان المقهى مضاء مثل جرس غوص كوابله معطّلة، يغوص في أعماق مظلمة.

لمّع البحار أظافره على تلابيب بذلته ذات المربعات السوداء والبيضاء والرماديّة. أخذ يصفر لحناً صغيراً عبر أسنانه الصفراء اللامعة.

حركته نفثت رائحة عفن كريهة من ملابسه، رائحة عفن لغرف الخزانات الصغيرة المهجورة. صقل أظافره بنظرة ملتمعة.

«مادّة جيّدة يا فاتس. يمكنني أن آتيك بعشرين. وأحتاج إلى دفعة تحت الحساب طبعاً».

«بلا ضمان؟».

«إذاً لا أملك العشرين بيضة في جيبي. أقول لك إنّ هذه المادّة فاخرة. يكفي نفساً واحداً لتطير». تأمّل البحار أظافره كمن يعاين خارطة.

«أنت تعرف أنّني دائماً أسلّم البضاعة».

«فلتكن ثلاثين بيضة وعشرة أنابيب دفعة مقدّمة. غداً في نفس الساعة».

«أحتاج إلى أنبوبة الآن يا تيرمينال».

«قم بجولة، ستجد واحدة».

خرج البحّار إلى الميدان.

وضع فتى من فتية الشوارع يده على قلم حبر البحار وقد أخفى حركته بصحيفة دفعها نحو وجه البحار. واصل البحار السّير. استلّ القلم وكسره إلى نصفين، كالجوزة، بأصابع ورديّة ليفيّة مكتنزة. استلّ منه أنبوبة رصاصيّة وقصّ طرفها بسكين معقوفة صغيرة. نفثت الأنبوبة رطوبة سوداء وعلّقا في الهواء مثل فراء يغلي. ارتخى وجه البحار. تموّج فمه إلى الأمام مثل أنبوبة طويلة ومصّ الزغب الأسود، اهتز بتمعجية فوق صوتية واختفى في انفجار ورديّ ساكن. عاد وجهه إلى تركيز صاف وحادّ لدرجة لا تحتمل، هيروين من النوع الأصفر والمشتعل يشقّ اللحم الرماديّ لمليون مدمن يصرخون.

«سيكفي هذا لمدّة شهر»، قرّر، بعد استشارة مرآة خفيّة.

تتلوّى *كلّ شوارع المدينة* بين أخاديد عميقة نحو ميدان هائل يشبه الكِلية في هيئته ويفيض بالعتمة. جدران الشوارع والميدان

تخترقها حجيرات سكنيّة ومقاوٍ. قسم منها بعمق متر وأخرى تغيب عن مجال الرؤية في شبكة من الغرف والأروقة.

جسور وأزقّة وعربات تجرّها كوابل متحرّكة، تنتشر وتتصالب في كلّ اتجاه. شبّان يعانون من الجامود يرتدون فساتين نسائيّة من الخيش وخرقاً بالية، يضعون على وجوههم الماكياج بشكل صارخ وفجّ يغطّون بألوان زاهية علامات الضّرب، زخرفة من الندوب التي تلفّ العظام اللؤلؤيّة تزعج المارّة بعناد ثابت صامت.

مهرّبو اللحم الأسود- لحم حريشة سوداء مائيّة ضخمة- يصل طولها أحياناً إلى مترين، تتواجد في دروب الصخور السوداء في أعماق البحيرات الشاطئيّة البنيّة والمتقزّحة - يعرضون قشريّات مشلولة في التجاويف الخفيّة للميدان والتي لا يعرفها سوى آكلي اللحم الأسود.

مريدو مهن مستحيلة متقادمة، نصّابون في إتروريا، مدمنو مخدّرات لم يتمّ تصنيعهم بعد، تجّار السّوق السوداء للحرب العالمية الثالثة، مثمّن مواهب التخاطر، مجبّرو نفوس، محقّقون في شكاوى لاعبي شطرنج مبتذلين وزورانيّين، منفّذو أوامر قضائيّة مكتوبة بشكل مختزل وانفصاميّ توجه لأصحابها تهمة ارتكاب جريمة روحانية فظيعة، موظّفو دول بوليسيّة لم تنشأ بعد، سماسرة حنين وأحلام رائعة، تمّ فحصهم على الخلايا الحساسة للمرضى بالهيروين، والّذين تتم مقايضتهم بمواد الإرادة الأساسيّة، شاربو السائل الثقيل المختوم بكهرمان الأحلام الشفاف.

يحتلّ المقهى جانباً من الساحة، متاهة من المطابخ، المطاعم، حجيرات النوم، شرفات حديدية خطيرة وأقبية موصلة إلى حمامات تحت الأرض.

على الكراسي العالية المغطاة بالساتان الأبيض يجلس المستقلّون ويمصّون العصائر الملوّنة الشفانيّة بقشّ مصنوع من المرمر. هؤلاء المستقلّون لا كبد لهم ويتغذون من الحلويات فقط. شفاههم رفيعة ولونها أزرق ضارب إلى البنفسجيّ وتخفي عظام لثة سوداء وحادة مثل موسى حلاقة يمزقون بها بعضهم إرباً في صراعهم على الزبائن. من أيورهم المنتصبة، تفرز هذه المخلوقات سائلاً يتسبب في الإدمان ويؤدي إلى إطالة العمر بسبب الأيض البطيء. (في الواقع جميع المواد التي تطيل في العمر ثبت أنها تتسبب في الإدمان بنسبة مباشرة مع قدرتها على إطالة أعمارهم). يُعرف هؤلاء المدمنون على هذا السائل بالزواحف. بعضهم يحلّق فوق الكراسي بواسطة العظام اللينة واللحم الأسود-الوردي. ثمّة مروحة غضروف أخضر مغطاة بشعيرات نعوظيّة ومجوّفة، تسحب الزواحف عبرها السائل. المراوح، التي يتمّ تشغيلها من وقت لآخر بواسطة تيارات خفيّة، تُستخدم أيضاً كأداة حصريّة للتواصل بين الزواحف.

أثناء نوبات الهلع التي تحدث كل عامين تجتاح شرطة الأحلام الفظة المدينة، يلتجئ المستقلّون إلى أعماق الفجوات في سور الساحة، ينعزلون داخل الحجيرات الطينيّة لأسابيع طويلة في حالة من الركود الحيويّ. في أيّام الإرهاب الرماديّ هذه تتراكض الزواحف بشكل متسارع يمرون بعضهم عن بعض وهم يتصايحون بسرعة فوق صوتيّة، تضرب جماجمهم المرنة الرياح السوداء للأسى الحشريّ.

تتحلّل شرطة الأحلام إلى كرات من الأكتوبلازما الفاسدة التي يكنسها عجوز مدمن، يسعل ويبصق ذات صباح غثيّ. يعود المستقلّون ومعهم جرار فيها سوائلهم وتنتظم الزواحف.

يصبح الجو ساكناً وصافياً ثانيةً مثل الغليسيرين.

رأى البحار الزّاحف. اندفع نحوه وطلب عصيراً أخضر. امتلك الزاحف فماً غضروفياً بنياً صغيراً ومدوراً مثل القرص، وعينين خضراوين ومكسوتين يشكل شبه تام بطبقة رفيعة من الرموش. انتظر البحار ساعة إلى أن أدرك المخلوق وجوده.

«هل يوجد بيض من أجل فاتس؟» سأل وقد هزّت كلماته شعيرات مروحة الزاحف.

تطلّب الزاحف ساعتين من الزمن ليرفع ثلاث أصابع ورديّة وشفافة، مكسوة بزغب أسود.

عدّة من آكلي اللحوم كانوا ممدّدين داخل قيئهم، أوهن من أن يتمكّنوا من الحركة. (يشبه اللحم الأسود الجبنة المتعفّنة، طعمها الحادّ لذيذ ومثير للغثيان لدرجة أن من يأكلون منها يتقيأون ثم يأكلون مجدداً إلى أن تخور قواهم).

تسلل أحد الشبان واضعاً مساحيق التجميل على وجهه والتصق بإحدى الأقدام السوداء الضخمة التي أطلقت في المقهى رائحة زكيّة ومرضيّة.

مستشفى

ملاحظات حول الفطام.

زَوَرُ بداية الانسحاب... كلّ شيء يبدو أزرق... لحمٌ ميّت، عجينيّ، واهن.

كوابيس الانسحاب.

مقهى مرصوف بالمرايا. خالٍ... ينتظر شيئاً ما... يظهر رجل عند الباب الجانبيّ.. عربيّ قصير القامة نحيل، يرتدي جلابيّة بذقن

رماديّ ووجه رماديّ. . . أمسكُ بيدي إبريقاً من الحمض المغليّ. . في نوبة استعجال أرشقه على وجهه. . .

كلّهم يبدون مدمنين. . .

جولة قصيرة في فناء المستشفى. . . أثناء غيابي استخدم أحدهم مقصّي المعلّم بوَسخ دبق أحمر ضارب إلى البنيّ. . . لا شكّ أنّ إحدى القحاب قصّت شعرها.

أوروبيّون فظيعو المنظر يتجمهرون عند الدرج، يعترضون الممرضة تماماً في الوقت الذي أحتاج فيه إلى الدواء، يسكبون البول في الحَوض وأنا أستحمّ، يشغلون المرحاض لساعات - في الغالب يحاولون اقتناص القفاز الإصبعيّ ذي الجواهر الذي خبّأوه في مؤخراتهم. . .

في الواقع، كلّ هذه العشيرة الأوروبيّة انتقلت للسكن في الغرفة المجاورة. . . ستخضع العجوز لعمليّة تأتي مباشرة لتطمئنّ أنّ هذه الكركوبة تتلقّى الخدمة المناسبة. زوار غريبون، يُفترض أنّهم أقارب. . . يضع أحدهم منظاراً يشبه المنظار الذي يركّبه الصّاغة على عيونهم لفحص الأحجار الكريمة. . . ربما يحتّ الماسة من الطرف. . . الرجل الذي أخفق مع «ماسة ثروكمورتون» وألقوا به خارج هذه الصناعة. . . كلّ هؤلاء الصاغة يقفون من حول الماسة يرتدون ستراتهم مشقوقة الذيل، ينتظرون وصول الرجل. خطأ واحد على الألف ميليمتر سيخرب الماسة، لذلك فقد كان عليهم أن يستوردوا هذا الشخص خصيصاً من أمستردام ليقوم بالمهمة. . . يصل الرجل ثملاً تماماً وفي يده مطرقة هوائية ضخمة ويسحق الماسة. . .

ليس واضحاً لي من يكون هؤلاء. . . تجار مخدرات من حلب؟. . . مهرّبو خدّج البقر من بوينس أيريس؟ مشترو أحجار كريمة

غير قانونيين من جوهانسبرغ؟... تجار عبيد من الصومال؟ المؤكد أنهم متعاونون...

أحلام متواصلة بالجانك: أبحث عن حقل خشخاش... يوجهني بائعون للخمر الممنوع يرتدون قبعات سوداء إلى أقرب مقهى شرقيّ... أحد النُّدُل يتاجر في الأفيون اليوغوسلافي...

أشتري علبة هيروين من سحاقية ماليزية بمعطف محققين وحزام أبيض.. تحصلت على المادة في الجناح التيبتيّ من المتحف... لا تتوقف عن محاولة سرقته... أبحث عن مكان أحقن فيه نفسي...

النقطة الحرجة في عملية الفطام ليست المرحلة التي تسبق النوبة وإنما الخطوة النهائية، التخلص من الجانك كوسيط... مدة زمنية كابوسية من الذعر الخلوي... الحياة معلقة بين شكلين للوجود... عند هذه النقطة يتركز كل التوق إلى الجانك في اشتياق نهائي، ويبدو أنه يكتسب قوة حلمية: وفجأة تضع الظروف الجانك في طريقك... تلتقي بأحد المساطيل من الأيام الخوالي، يعمل في المستشفى ويسرق، طبيب يكتب الوصفات الطبية...

حارس يرتدي زياً من جلد آدمي، معطفاً من جلد غزال أسود أزراره عبارة عن أسنان نخرة وصفراء، قميص بلوفر مرناً لونه نحاسيّ هنديّ براق، سروالاً فضفاضاً نورديّاً صبيانياً للتسفع، صندلاً من منعل ذي جلد قاس لمزارع ماليزي، وشاحاً بنياً ضارباً للرمادي مطوية أطرافه داخل قميصه. (البني الضارب للرمادي هو رمادي تحت جلد بني. يمكنك أن تراه على المختلطين الذين لم ينجحوا تماماً وانفصل الأبيض عن الأسود كانفصال الزيت عن الماء...).

يتأنّق الحارس لأنّه لا يملك شيئاً يفعله وينفق كلّ راتبه على

الملابس الفاخرة التي يبدلها ثلاث مرّات في اليوم أمام مرآة مكبّرة هائلة. للحارس وجه أملس وسيم لاتينيّ وشارب دقيق، عينان سوداوان صغيرتان، فارغتان وطماعتان، عينا حشرة لا تحلمان.

عندما أصل إلى الحدود يخرج الحارس من مقصورته مندفعاً وقد علّق على رقبته مرآة في إطار خشبيّ. يحاول أن ينحّي المرآة عن حلقه... لم يحدث أن وصل شخص إلى الحدود يوماً. جرح الحارس حلقه وهو يحاول تنحية إطار المرآة... فقد صوته... يفتح فمه، يمكنك أن ترى لسانه يلعب في الداخل..الوجه الفتيّ الفارغ والأملس، والفم الفاغر باللسان المتحرّك في الداخل، كلّها شيء فظيع حدّ الخيال. يرفع الحارس يده. جسده يرتعش بنوبة تشنّجيّة. أتقدّم وأفكّ السلسلة التي تسدّ الشارع. تسقط السلسلة محدثةً صوتاً معدنياً على حجر. أمرّ. يقف الحارس في الضباب ويتبعني بنظراته. يربط السلسلة من جديد، ويعود إلى مقصورته ويبدأ بنتف شاربه.

أحضروا للتو ما يُسمّى بوجبة الغداء... بيضة مسلوقة أزيلت قشرتها، تكشف شيئاً لم أرَ مثله من قبل... بيضة صغيرة جداً لونها بنيّ ضارب إلى الصفرة... لعلّها بيضة خلد الماء ذي منقار البطّة. احتوى الصفار على دودة، لا أكثر. كانت أول الواصلين إلى هناك ولم تبق شيئاً لأحد... توجد في مصر دودة تلج الكلية وتنمو هناك لتصبح هائلة الحجم. الكلية، في نهاية الأمر، مجرّد قشرة من حول الدودة. ذوّاقو الطّعام الجريئون يُقدّرون لحم الدّودة. يُقال بأنّه شهيّ لدرجة لا توصَف... في إنترزون يسكن طبيب شرعيّ يُدعى أحمد المشرّح، وقد حقّق ثروة من تجارة الدّود.

أمام نافذتي مدرسة فرنسيّة، وأنا أتولّع بالفتية من خلال

منظاري... هم قريبون جداً إلى حدّ يمكنني أن أمدّ يدي وألمسهم... يرتدون السراويل القصيرة... أرى البثور الوزيّة على أقدامهم في برد الصباح الربيعيّ... أطير إلى هناك عبر المنظار، في الجانب الآخر من الشّارع. شبحٌ في شمس الصباح، ممزّق بشهوة مفصولة عن الجسد.

هل حدّثتكم عن المرة التي دفعنا فيها أنا ومارفين لفتيَين عربيّين ستين سنتاً كي نراهما يتنايكان.

سألته: «هل تعتقد أنهما سيفعلانها؟».

قال: «أعتقد ذلك، إنهما جائعان».

قلت: «هكذا أحبّ أن أراهما».

هذا الأمر يجعلني أشعر بأنّي عجوز قذر ولكن «هذه حال الدنيا»، كما قال سوبيرا دي لا فلور لرجال الشرطة عندما نهروه بعد أن فجّر إحدى القحاب وأخذ الجثة إلى أحد الفنادق الصغيرة وضاجعها...

«تظاهرت بالتمنّع»، قال لهم... «لا مزاج لي لمشاهدة كهذه». (سوبيرا دي لا فلور كان قاتلاً مكسيكياً أدين بارتكاب عدّة جرائم تافهة).

المرحاض مشغول منذ ثلاث ساعات على التوالي. أعتقد أنهم يستخدمونه كغرفة عمليات...

الممرضة: «يا دكتور، لا أنجح في العثور على نبضها».

د. بينوي: «لعلّها خبأته في فرجٍ داخل واقٍ مطاطيّ».

الممرضة: «دكتور، هل أعطيها أدرينالين؟».

د. بينوي: «لقد حقن الحارس الليليّ كل الأدرينالين للمتعة». ينظر من حوله ويمسك شفّاطة تُستخدم لفتح الانسداد في المراحيض... يدنو من الممرّضة... «دكتور لمف، أَحدِث شقاً»، قال لمساعده المفزوع... «سأُدلّك قلبها».

يهزّ الدكتور لمف كتفيه ويبدأ بإحداث الشّق. يغسل د.بينوي الشفاطة ويدلّيها في حوض المرحاض...

الممرضة: «ألا يجب تعقيمها يا دكتور؟».

د. بينوي: «معقول جداً، لكن لا يوجد وقت». يجلس على الشفاطة ويراقب مساعده وهو يُحدث الشّق... «ليس في مقدوركم أيها المستمنون الشّباب أن تشرطوا بثرة من دون مشرط رجّاج كهربائيّ فيه تقنيّة التصفية واللأم الآليّة... قريباً سوف نجري للمرضى عمليات بنظام التحكّم عن بعد... لا نراهم أبداً... نضغط على الأزرار وينتهي الأمر. لن تكون هناك حاجة لأيّ مهارة لإجراء عملية جراحية... سينتهي دور المعرفة والطريقة... هل حدّثتكم كيف استأصلت لأحدهم الزائدة الدوديّة بعلبة سردين صدئة؟ وذات مرّة بقيتُ بلا معدّات واستأصلتُ بواسطة سنّي ورماً في الرّحم لامرأة. حدث ذلك في 'الأفندي الأعلى'، عدا عن ذلك...».

د. لمف: «الشق جاهز، يا دكتور».

يدس د. بينوي الشفاطة داخل الشق ويشفط صعوداً وهبوطاً. ينفجر الدم في وجه الأطباء والممرضة والجدار... تُطلق الشفاطة أصوات امتصاص فظيعة.

الممرضة: «أعتقد أنها منتهية يا دكتور».

د. بينوي: «حسناً، هذه حال الدنيا». يذرع الغرفة ويتوجه نحو

خزانة الأدوية. . . «مدمن منيك خلط مسحوقاً معقّماً للمراحيض بالكوكايين! يا ممرضة! اطلبي الطبيب المعاود ليكتب الوصفة الطبيّة!».

يجري د. بينوي العمليّة في قاعة تعجّ بالطلاب: «الآن، يا أولاد، لن تروا عمليّة تُجرى مثل هذه العمليّة كثيراً، وهناك سبب لذلك. . . وهو أنها لا تمتلك أي قيمة طبية. لا أحد يعرف ما الغرض منها أصلاً أو إن كان لها غرض أساساً. شخصياً أعتقد أن القصّة تدور حول إبداع فنيّ خالص منذ البداية. كما يقوم مصارع الثيران، بدرايته ومهارته، بتخليص نفسه من الخطر الذي استدعاه بنفسه، كذلك في هذه العملية، يتعمّد الجراح تعريض مريضه للخطر، ثم، وبسرعة لا تصدق، ينقذه من الموت في آخر جزء من الثانية. . .

هل شاهد أي منكم الدكتور تيترازيني يؤدي عملية؟ أقول «يؤدي» عمداً، لأن عملياته كانت عبارة عن عروض. كان يبدأ برمي مشرط في الطرف الثاني من الغرفة نحو المريض ومن ثم يدخل مثل راقصة الباليه. كانت سرعته خيالية: 'لا أمهلهم الوقت كي يموتوا'، كان يقول. كانت الأورام تسبب له جنون الغضب. 'خلايا غير منضبطة ووقحة!' يقول وهو يجأر، ويتقدّم نحو الورم مثل مقاتل بالسكين».

يقفز شاب إلى مسرح العمليات، يُخرج مشرطاً، ويتقدّم نحو المريض.

د. بينوي: «إسبونتانيو! أوقفوه قبل أن يقضي على المريض!».

(إسبونتانيو هو مصطلح من مصارعة الثيران الثور يُمنح لشخص من الجمهور يقفز إلى الحلبة، ويسحب قطعة القماش المخفية محاولاً أن يحرّك يده للثور عدّة مرّات قبل أن يجرّوه من الحلبة).

يتعارك الممرضون مع الإسبونتانيو، الذي يُطرد أخيراً من

القاعة. يستغل طبيب التخدير البلبلة ويقتلع حشوه من الذهب كبيرة من فم المريض...

أمرّ من جانب الغرفة رقم ١٠ التي نقلوني منها البارحة... أعتقد أنها حالة ولادة... أوعية التبوّل بالفراش مليئة بالدّم، ضمّادات تعقيم وموادّ نسائيّة بلا اسم كافية لتلويث قارّة... إذا حضر أحد لزيارتي في غرفتي القديمة سيظنّ أنّي ولدتُ وحشاً وأنّ وزارة الخارجية تحاول التعتيم على الموضوع...

موسيقى وطنيّة... عجوز يرتدي سروالاً مقلّماً ومعطف دبلوماسيّ يقف على منصّة مجلّلة بالعلم الأمريكيّ. صوت رجوليّ مشدود ومتعفّن يصدح من ملابس دانييل بونينشد النشيد الوطنيّ الأمريكيّ «الراية الموشّحة بالنجوم»، بمرافقة أوركسترا كاملة. إنّه ينشد بلثغة طفيفة...

الدبلوماسيّ (الذي يقرأ من لفيفة شريط ورق تطول وتتشابك عند قدميه): «وإنّنا نرفض بشكل قاطع أن يكون أيّ مواطن أمريكيّ من الجنس الذكوريّ...».

الصّوت الذكوريّ: «أوه كُل أيمكنُك أن تغا[1]» يتصدّع صوته وينطلق في طبقة عالية.

في غرفة المراقبة يخلط التقنيّ بيكربونات الصّودا ويتجشأ في يده: «ملعون هذا الصّوت الذكوريّ!» يتمتم بحدّة. «مايكل...»

---

(١) وهي في الأصل «قل أيمكنك أن ترى Oh say can you see» وقد كتب بوروز العبارة بلهجة الصوت الذكوريّ المصحوبة بلثغة: Oh thay can you thee

تنقطع الصرخة بالتجشؤ. «أنزل هذا الفساء عن المنصّة وأعده إلى البيت. انتهى أمره معنا... ضع مكانه ليز الرياضيّة المتحوّلة جنسياً... على الأقل تعمل بصوتٍ ذكوريّ بوظيفة كاملة... *الملابس*؟ من أين لي أن أعرف؟ لستُ مصمّم ملابس! ما هذا؟! أغلقوا قسم الملابس لأنّه شكّل خطراً أمنياً؟ وهل أنا أخطبوط؟ فلنرَ... ربّما شيء من الهنود الحمر؟ بوكاهانتس أو هيواثا؟... لا، هذا ليس سليماً. سيأتي مواطن متحاذق ويقول إنّنا سنعترف بهم... زيّ الحرب الأهليّة، معطف الشمال وسروال الجنوب ليظهروا شعباً واحداً؟ يمكنها أن تتنكّر في زيّ الجاموس بيل أو العم سام أو أيّ زيّ وطنيّ آخر، إذا لم نفعل، لن يقيم لنا الجمهور وزناً. فلتتنكّر في زيّ جنديّ بحريّة أو طيّار أو جنديّ مجهول... هذا الأفضل... غطّها بنصب تذكاريّ، بهذه الطريقة لن ينظر إليها أحد...».

السحاقيّة، المغطّاة بالورق المعجّن لقوس النّصر، تملأ رئتيها بالهواء وتُطلق صوتاً هائلاً.

«أوه أنشدوا النشيد الوطنيّ لكن لوّحوا قبل ذلك...».

شقٌّ هائل يفلق قوس النّصر من أعلى إلى أسفل. يضع الدبلوماسيّ يده على جبهته...

الدبلوماسيّ: «أن يكون أيّ مواطن أمريكيّ من الجنس الذكوريّ قد أنجب في إنترزون أو في أيّ مكان آخر...».

«في أرض الأحراااااااااار».

تتحرّك شفتا الدبلوماسيّ على الرّغم من أنّه ما من أحد يستطيع سماعه. يغطّي التقنيّ أذنيه بيديه ويصرخ: «يا أم اليسوع!». ترتجّ أسنانه مثل قيثارة رديئة وتطير فجأة من فمه... يحاول بحركة عصبيّة أن يستعيدها، لا ينجح، فيضع يده على فمه.

ينهار قوس النّصر ويتحطّم متشظياً مهشّماً، وتنكشف السحاقيّة، التي تقف على القاعدة، بحمّالة ثوب تحتيّة من جلد النّمر وثديين هائلين... تقف هناك وتبتسم ببلاهة مستعرضةً عضلاتها الضخمة.. يزحف التقنيّ على أرضيّة غرفة المراقبة بحثاً عن أسنانه ويصيح بتعليمات لا ينجح أحد في فهمها.

الدبلوماسيّ (يمسح العرق عن جبينه): «لأيّ مخلوق من أيّ نوع أو أيّ وصف...».

«وبيت الشجعان».

يكفهرّ وجه الدبلوماسيّ. يترنّح ويكبو في اللفيفة، يتراخى أمام الدرابزين، يتدفّق الدّم من عينيه وفمه وأنفه، يحتضر من نزيف في الدّماغ.

الدبلوماسيّ (بالكاد يُسمع صوته): «يدحض القسم... معاداة أمريكا... تمّت إبادة المخلوق... أقصد لم يكن...» مات.

تنفجر جميع الأجهزة الموجودة في غرفة المراقبة واحداً تلو الآخر... تيّارات الكهرباء القويّة تشقّ الغرفة... التقنيّ عارٍ، جسده أسود محروق، يترنّح مثل إحدى شخصيّات «غسق الآلهة» ويصرخ: «ثَوتُها عَذيم! يا له من ثَوت!»[1] انفجار كهربائيّ آخر يحوّل التقنيّ إلى رماد.

لقد أثبتوا ليلاً

أن علَمَكم ما زال هنا...

---

(١) «صوتها عظيم! يا له من صوت!»

قائمة بعادات الإدمان.

أحقن اليوكوديل مرّة كلّ ساعتين. هناك مكان أستطيع أن أمرر فيه الحقنة في الوريد مباشرة، وتبقى مفتوحة مثل فم فاجر أحمر، منتفخ وفاحش، تتجمّع نقاط بطيئة من الدم والقيح بعد الحقنة...

اليوكوديل من مشتقات الكودئين- ثنائيّ هيدروكسيّ.

هذه المادّة أقرب إلى الكوكايين منه إلى المورفين... عندما يُحقن الكوكايين في الوريد تندفع متعة خالصة إلى الدماغ... بعد مضي عشر دقائق تحدث لك رغبة في المزيد... تُثار متعة المورفين في الأحشاء... تصغي إلى داخلك... لكن حقن الكوكايين في الوريد أشبه بالكهرباء في الدماغ، ينشّط موصلات متعة الكوكايين في الدماغ... مع الكوكايين لا توجد أعراض انسحاب. هذه هي حاجة الدماغ فقط - حاجة بلا جسد وبلا عاطفة. حاجة شبح ملموس. يستمر التوق إلى الكوكايين لعدة ساعات فقط، ما دامت قنوات الكوكايين منشطة. يشبه اليوكوديل خليط المورفين والكوكايين معاً. يمكن الوثوق باختراع الألمان لمادة شريرة بالفعل. اليوكوديل، مثل المورفين، أقوى من الكودئين بست مرات. الهيروين أقوى من المورفين بست مرات. الهيروين الدي-هيدروكسيّ يُفترض أن يكون أقوى من الهيروين العاديّ بست مرّات. يمكن تطوير مخدّر يبعث على الإدمان بحيث تسبّب كلّ حقنة منه في تحويلك إلى مدمن إلى الأبد.

المزيد حول عادات الإدمان.

أتناول حقنة وأضع يدي اليسرى تلقائياً على فتيل العاصب الشريانيّ. يشير لي ذلك أنّه عليّ أن أستخدم الوريد الصّالح الوحيد

الذي تبقّى في الذراع اليسرى. (تكون حركة العاصب الشريانيّ بطريقة تربط فيها الذراع التي تحمله). تنزلق الحقنة إلى الداخل عند أطراف مسمار اللحم. أتحسّس المكان. فجأة ينفجر خيط رفيع من الدم داخل المحقن، يبدو لوهلة واضحاً وصلباً مثل وتر أحمر.

يعرف الجسد أيّ أوردة يمكنك أن تحقن فيها، ويعبّر عن هذه المعرفة بالحركات العفوية التي تقوم بها وأنت تتهيأ للحقن... أحياناً تشير الحقنة إلى الموضع مثل عصا سحريّة تشير إلى الماء في الصخر... أحياناً يتعيّن عليّ انتظار الرسالة. وعندما تأتي، أعثر دائماً على وريد.

سحلب أحمر يزهر أسفل القطارة. تردّد طيلة ثانية كاملة ثمّ كبس على المضخّة وهو يتأمل السائل مندفعاً في الوريد كما لو امتصّه الظمأ السّاكن في دمه. تبقّى في القطارة تقزّح وطبقة دقيقة من الدم، وطوق الورق مشبعاً بالدّم مثل ضمادة. مدّ يده وسحب الماء من أجل القطارة. قام برشّ الماء، وفي نفس اللحظة ضربته الحقنة ضربة خفيفة وممتعة.

أنظر إلى سروالي المتّسخ، لم أغيّره منذ أشهر... تمرّ الأيّام عبر الحقنة كما لو انتظمت على خيط طويل من الدّم... نسيتُ الجماع وكلّ ملذات الجسد - شبح رماديّ محوره الجانك. يلقّبني الجماعة الإسبانيّون إل هومبري إنفيزيبل - الإنسان الذي لا يُرى...

عشرون تمرين ضغط كلّ صباح. تعاطي الجانك يزيل السمنة، لكنّه يبقي العضلات كما هي تقريباً. يبدو أن المدمن يحتاج إلى نسيج أقلّ... هل سيكون من الممكن عزل جزيئات الجانك التي تزيل السمنة؟

ضجيج أبيض متواصل في الصّيدليّة، كلامٌ حول السيطرة مثل هاتف غير مغلق... قضيتُ اليوم حتى الثامنة مساء بحثاً عن علبتين من اليوكوديل...

نفدت أوردتي ونفدت أموالي.

يتواصل السُّطل. البارحة ليلاً استيقظتُ عندما ضغط أحدهم على يدي. كانت هذه يدي الأخرى... أنام أثناء القراءة وتكتسب الكلمات معنى مشفّراً... أعاني من هوس بالشيفرات... يصاب الإنسان بعدّة أمراض فيها رسالة مشفّرة...

أحقن نفسي أمام دي.إل، أبحث عن وريد في كفّ قدمي الحافية والقذرة... المدمنون لا يستحون... لا يكترثون لنفور الآخرين. أشكّ إن كانت هناك ذرّة حياء في غياب الغريزة الجنسيّة... يتلاشى حياء المدمن مع مخالطيّته الاجتماعيّة اللا-جنسيّة المتّصلة هي أيضاً بالليبيدو... يتعامل المدمن مع جسده بطريقة غير شخصيّة كأداة لاستيعاب المادّة التي يحيا داخلها. يقيّم نسيجه بيدي تاجر خيول باردتين. «لا جدوى من محاولة الحقن هنا». تمرّ عينا سمكة ميّتتين عن وريد تالف.

تتعاطى نوعاً جديداً من الحبوب المنوّمة تدعى سونيريل... لا تشعر بأنك نعسان... تنام فجأة دون أن تتقلّب، تسقط مباشرة في الحلم... كنت في معسكر معتقلات طوال سنوات وعانيت من سوء التغذية...

الرئيس مدمن لكنّ منصبه لا يسمح له بأن يتعاطى بشكل مباشر. لذلك، يرتّب أموره عن طريقي... من وقت لآخر نتواصل، وأقوم بدَوري بشَحنه. يبدو هذا التواصل، لمن يتأمّل عن بعد، أشبه

بممارسات مثليّة، لكنّ الانفعال لا يكون جنسياً في صلبه، وتكون الذروة عندما يحدث الانفصال بعد أن ينتهي الشحن. الأيور المنتصبة تؤدّي إلى التواصل - على الأقل استخدمنا هذه الطريقة في البداية - لكن نقاط التواصل تبلى مثل الأوردة. الآن، عليّ في بعض الأحيان أن أدسّ أيري أسفل جفنه الأيسر. بالطبع يمكنني أن أشحن الرئيس بواسطة الشحن الإسموزي، الذي يوازي الحقن تحت الجلد، لكنّه يشبه الاعتراف بالهزيمة. يسبب ش.أ الاكتئاب المتواصل عند الرئيس، والذي يستمر أسابيع طويلة قد تنتهي حتى بكارثة نووية. ويدفع الرئيس ثمناً باهظاً على إدمانه غير المباشر. لقد تنازل طوعاً عن السيطرة وأصبح اتّكالياً مثل جنين قبل الولادة. يعاني المدمن غير المباشر من عدة أشكال من الرعب الذاتي، جنون بروتوبلازمي صامت، ألم رهيب في العظام. يزداد التوتر، طاقة خالصة بلا محتوى عاطفي تشق في النهاية جسده وتزلزله مثل إنسان لمس أسلاك عالية التوتر. في الحالات التي يكون فيها مصدر الشحن مفصولاً بشكل مفاجئ يعاني المدمن غير المباشر من نوبة تشنجات كهربائية تجعل عظامه تتنصل بعنف من جسده، ويموت بينما يجتهد الهيكل في التخلص من اللحم غير المحتمل والركض مباشرة إلى أقرب مقبرة.

العلاقة بين المدمن غير المباشر وبين مصدر الشّحن متوتّرة لدرجة أنّه يمكنهما فقط تحمّل الواحد للآخر لفترات زمنيّة قصيرة وغير منتظمة- أقصد باستثناء لقاءات الشّحن، والتي تعتّم فيها عملية الشّحن على أيّ تواصل شخصيّ آخر.

أقرأ في الجريدة... خبراً عن عملية قتل ثلاثيّة في باريس:

«تصفية حسابات». أواصل الانزلاق... «تعرّفت الشرطة على الكاتب.. بيبي أل-كوليتو.. الشهير بلقب التحبب 'الخرية الصغيرة'». هل هذا حقاً ما هو مكتوب؟... أحاول التركيز على الكلمات... تتباعد في فسيفساء لا معنى لها...

عُد إلى المنزل يا لازاروس

أثناء تحسّس الشريط الباهت في المنطقة الحدودية للمسات المجهولة، وهي منطقة غامضة فاترة وبائية ذات ثقوب مفتوحة من الثؤباء والسخافات، اكتشف لي أن المدمن الشاب الذي يقف في غرفته في العاشرة صباحاً عاد للتو من دورة للغوص في كورسيكا مدّتها شهران، ونظيف من الإدمان...

«جاء ليستعرض جسده الجديد»، قرّر لي، وأصابته رعشات المدمنين صباحاً. كان يعلم أنه يهذي - شكراً ميغويل - بمشهد حدث قبل ثلاثة أشهر في فندق ميتروبول عندما قضما تحت تأثير سُطل الإدمان قطعة من حلوى الإكليل تسببت في تسمّم قطّ بعد ساعتين، وقرر أنّ رؤية ميغويل في العشرة صباحاً كانت صعبة بما فيه الكفاية حتى من دون الجهد المضني لتصحيح خطأ- («هل نحن في مزرعة بحق الجحيم؟»)- يستلزم دمج صورة ميغويل المحدّثة بخلفية بالية، كمن يضع غرضاً وحشياً كبيراً ومزعجاً في الجزء العلويّ من الحقيبة.

«تبدو رائعاً»، قال لي ومسح أكثر علامات نفوره وضوحاً بمنديل متسخ، متأملاً سيلان الجانك من وجه ميغويل، متمعناً في أشكال

الرثاثة كما لو أن الرجل وملابسه تتنقّل منذ سنوات بين أزقّة الوقت الخلفيّة دون أن تصطدم ولو لمرّة واحدة بغسّالة فضائيّة...

عدا عن ذلك، إلى أن أنجح في تصحيح الخطأ، عُد إلى المنزل يا لازاروس، ادفع للرجل وعد إلى المنزل... ما حاجتي إلى لَحمك المُستعار أمام عينيّ؟

«ما أروع أن أراكَ نظيفاً... اصنع لنَفسك معروفاً». سبح ميغويل في الغرفة وسيّخ الأسماك بكفّ يده...

«عندما تكون هناك فإنّك لا تفكّر في الجانك على الإطلاق».

«أنت أفضلُ حالاً هكذا» قال لي، مداعباً على نحوٍ حالم نُدبة إبرة على ظهر كفّ يد ميغويل، وأصابعه تتابع، في التواءات بطيئة، تلال اللحم الناعم الأرجوانيّ...

حكّ ميغويل ظهر يده... نظر عبر النافذة... يتحرّك جسده بارتعاشات صغيرة، كهربائيّة، في الوقت الّذي اشتغلت فيه قنوات الجانك... جلس لي منتظراً. «التعاطي لمرّة واحدة لم يوقع بأحد حتى الآن يا فتى».

«أعرف ماذا أفعل».

هذا ما يقوله الجميع.

رفع ميغويل مبرد الأظافر.

أغمض لي عينيه: «هذا الأمر مضنٍ للغاية».

«أوه شكراً، كان ذلك عظيماً». نزل سرواله حتى كاحليه. وقف تحت شمس الصباح ملفوفاً بمعطف مسيخ من اللحم تحوّل من البنيّ إلى الأخضر إلى أن فقد لونَه، وذاب وصار يقطر على الأرض.

تحرّكت عينا لي داخل مادّة وجهه... ومضة قصيرة، رماديّة وباردة... «نظّفه» قال. «يوجد ما يكفي من القذارة».

«اه نعم، بالطّبع»، قال ميغويل وذهب لإحضار جارود.

أبعد يا لي كيس الهيروين.

عاش لي في وضع دائم من حالة «اليوم الذي أعقب اليوم التالي»، والذي اشتمل بطبيعة الحال على الاستراحات الحيويّة لإعادة تزويد اللهب بالوقود، اللهب الذي اشتعل في خلاصة مادّته الهلاميّة الورديّة الصّفراء الضاربة إلى البنيّ- وأقصوا عنه لحمه المحلّق. في البداية، كان جلده ناعماً، ناعماً جداً لدرجة أنّ ذرّات الغبار أو تيارات الهواء أو أي احتكاك بمعطف قطعه حتى العظم- بينما لم يكن هناك تأثير لأيّ ملامسة مباشرة للأبواب أو الكراسي. في جلده الناعم، البدائيّ، لم تلتئم الجروح... محاليق فطريّات طويلة وبيضاء تشابكت من حول العظام العارية. روائح عفونة لخُصى ضامرة لفّت جسده بجوّ ضبابيّ قاتم...

في العدوى الخطيرة الأولى التي أصابته، أومض ميزان الحرارة المشتعل، برصاصة زئبقيّة في دماغ الممرّضة فوقَعت صريعة بصرخة مشوّهة. ألقى الطبيب نظرة واحدة عليها وطرق دُرف النجاة الفولاذيّة. أمر بإبعاد السّرير المحترق بصاحبه من المستشفى على الفور.

«فليصنّع البنسلين بنفسه!» جأر الطّبيب.

لكنّ العدوى أحرقت العفونة... يعيش لي الآن بدرجات متفاوتة من الشفافيّة... ليس مختفياً تماماً، لكنه على الأقل لا يُرى. لم يجذب حضوره اهتمام أحد بشكل خاصّ... طغى حضور الآخرين عليه أو أنّهم أطلقوا سراحه بصفته انعكاساً، شبحاً: «خدعة إضاءة أو دعاية نيون».

الآن، بدأ لي يشعر بارتعاشات الزلزال الآخذة في الاقتراب

للنار الباردة، القديمة والأمينة. دفع روح ميغويل نحو الردهة، مع محلاق ناعم وصارم.

«يا إلهي!» قال ميغويل. «عليَّ أن أغادر»، غادر مسرعاً.

نيران وردية اللون من الهيستامين انفجرت من جوف لي المتوهج ولفّت لحمه النيء. (كانت الغرفة مقاومة للحرائق، ظهرت على الجدران الحديدية بثور وبقع مثل فوهات القمر). حقن جرعة كبيرة وحرّف برنامج مواعيده.

قرر زيارة زميله، الخائب جو، الذي تحول إلى مدمن أثناء إصابته بنوبة بانغ-أتوت في هونولولو.

(ملاحظة: نوبة بانغ-أتوت تعني حرفياً: «محاولة النهوض متأوّهاً...» تقع الوفاة أثناء كابوس... يحدث ذلك عند الذكور من أصل جنوب-شرق- آسيوي... يسجلون في مانيلا سنوياً اثنتي عشرة حالة وفاة تسببها الإصابة بنوبة البانغ- أتوت.

في أحيان كثيرة يعرف الضحايا أنهم موشكون على الموت ويعبّرون عن خوفهم من أن تلج أعضاؤهم التناسلية أجسادهم وتقتلهم. أحياناً يمسكون القضيب في نوبة صراخ هيستيرية ويطلبون المساعدة كي لا يهرب القضيب ويمزقهم. الانتعاظ، من النوع الذي يحدث أثناء النوم، يعتبر خطيراً بشكل خاص وتعرّض لنوبة فتاكة... ثمة شخص أوجد نظاماً عجيباً لمنع الانتعاظ أثناء النّوم. لكنّه مات جراء البانغ-أتوت.

كشفت الفحوص الدقيقة لضحايا البانغ أتوت عن غياب سبب عضويّ للوفاة. في أغلب الأحيان هناك علامات اختناق [سببها؟]؛ أحياناً يكون نزيف من البنكرياس والرئتين- ليس كافياً لحدوث الوفاة

وكذلك من عضو غير معروف. يعتقد المؤلّف أن سبب الوفاة يكمن في سوء مسار الطاقة الجنسيّة الأمر الذي أدّى إلى انتعاظ الرئة متسبباً في الاختناق. . . بعد أن شفي من المرض قال إن «رجلا صغيراً» كان يجلس على صدره ويقوم بخنقه.

[انظر مقالة كتبها د. نيلز لارسن بعنوان «رجال الحلم القاتل» في صحيفة «ساترداي إيفنينغ بوست» في الثالث من كانون الأوّل عام ١٩٥٥. كذلك مقالة إيرل ستانلي غاردنر لمجلّة *«ترو ماغازين»*].

عاش الخائب في ظل رعب الانتصاب على الدوام، ولذلك اطّردت عادة الإدمان عنده. (ملاحظة: هناك حقيقة معروفة حدّ الإرهاق، حقيقة مملة ومنهكة في طولها ألا وهي أن: من يقع في الإدمان نتيجة إصابته بعجز أياً كان، فإنه سيحصل، في أوقات الفقر والأزمات [ثمّة شيء من هذا القبيل ممتع أكثر من الحاجة] على حساب آخذ في الاطراد، بمتتالية هندسية، ومحشو بشكل شنيع).

تم إيصال قطب كهربائي إلى إحدى خصيتيه، وقد توهج بشكل خاطف وأيقظ الخائب على رائحة لحم محترق ومدّ يده إلى الحقنة المعبأة. تكور في وضعية جنينية وأدخل الإبرة إلى العمود الفقري. سحب الحقنة بتنهيدة لذة صغيرة. عندها فقط أدرك أن لي في الغرفة. دودة بزاقة تموجت من عين لي اليمنى وكتبت على الحائط بترطيب براق: «وصل البحار إلى المدينة وإنه يبتاع الوقت».

أنتظر قبالة صيدلية من المفروض أن تفتح عند الساعة التاسعة. فتيان عربيان صغيران يدحرجان حاويات النفايات نحو باب خشبي ثقيل مثبت بحائط مطلي بالأبيض. الغبار عند الباب محزّز بخيوط من البول. أحدهما يدحرج حاويات النفايات الثقيلة ومنحن فيما سرواله ملتصق بمؤخرته الفتية والنحيفة. يتأملني بنظرة حيوان محايدة

وهادئة. أستيقظ مرعوباً كما لو كان الفتى حقيقياً وفاتَني لقاء حددته معه في ساعات بعد الظهيرة.

«نتوقع تقليصات إضافية»، يقول المفتش في مقابلة مع مراسلكم. «وإلا»، يرفع المفتش إحدى ساقيه بحركة نوردية مألوفة، «فسوف يؤدي إلى آلام انخفاض الضغط الجوي، هكذا يسمونه؟ لكن ربما تمكنا من توفير خلية مناسبة لانخفاض الضغط».

يفتح المفتش سحاب سرواله ويبدأ بالبحث عن قمل العانة، يدهن مرهماً من صحن فخاري. من الواضح أن المقابلة انتهت. «هل سترحل؟» قال هاتفاً. «حسناً، كما قال أحد القضاة لزميله - كن عادلاً، وإن لم تنجح في أن تكون عادلاً فكن متعسفاً - الندم لا يمكنه أن يلاحظ الفظاظات العادية». يرفع راحة يده اليمنى المكسوة بالمرهم الأصفر ذي الرائحة الكريهة.

أسرع المراسل الأمين لإمساك اليد القذرة براحتَي يديه. «كان لي الشرف يا سيدي، الشرف الفظيع»، قال نازعاً قفازتيه، لفهما داخل كرة ورمى بهما إلى حاوية النفايات. «حساب المصروفات»، ابتسم.

غرفة ألعاب
حسن

طلاء مذهّب وقطيفة حمراء. حانة بطراز الروكوكو المظّهر بصدفة ورديّة. الجو مشبع بمادة شريرة عذبة مثل عسل فاسد. رجال ونساء يرتدون ملابس سهرة يجلسون ويحتسون مطارد القهوة في قش مرمري. يجلس مستقلّ من الشرق الأدنى عارياً على كرسي بار مكسو

بالحرير الوردي. يلعق العسل الدافئ من قدح بلوري بلسان أسود وطويل. عورته مصممة على نحو مثالي: قضيب مختون، شعر عانة أسود يلمع. شفتاه ضيقتان زرقاوان ضاربتان إلى اللون البنفسجي مثل شفتي القضيب الصغيرتين، عيناه فارغتان كعينَي حشرة ساكنة. المستقلّ لا يملك كبداً، إنه يتغذى على الحلويات فقط. مستقلّ آخر يدفع باتجاه الأريكة شاباً أشقر رفيع القامة ويعرّيه بمهنيّة.

«قف واستدر»، يقول بتخاطريّة تصويريّة. يربط يدَي الفتى إلى الخلف بشريط حريريّ أحمر. «الليلة سنفعلها للنهاية»، «لا! لا!» يصرخ الفتى.

«لا!لا!» يصرخ الفتى.

«نعم. نعم».

يقذف النيّاكون باتّفاق صامت. يفتح المستقلّ ستارة حديدية، يكشف عن مشنقة خشبية على خلفية شاشة تلمع من الصوان الأحمر. المشنقة موضوعة على فسيفساء أزتيكية.

ينهار الفتى المذهول مطلقاً صرخة رعب طويلة، يبول ويخرأ في ذعر. يشعر بالبراز الدافئ بين فخذيه. موجة هائلة من الدم الحار تؤدي إلى انتفاخ شفتيه وحنجرته. يتقلص جسده إلى وضعية جنينية ويُقذف مني ساخن في وجهه. يصب المستقلّ الماء الساخن والمعطر من وعاء مرمريّ، وبتعابير جديّة، يغسل مؤخرة الفتى وأيره، وينشفه بمنشفة زرقاء ناعمة. ريح دافئة تهب على جسد الفتى فيتبعثر شعره. يضع المستقلّ يده تحت صدر الفتى وينهضه على قدميه. يمسك مرفقيه المكبّلين ويدفعه عند أعلى الدرج نحو المشنقة. يقف قبالة الفتى ممسكاً حبل المشنقة بيديه.

ينظر الفتى في عيني المستقلّ الفارغتين مثل مرآتين سبجيتين،

برك من الدم الأسود، ثقوب عظيمة في جدران المراحيض التي تنغلق على طقوس *الانتعاظ الأخير*.

عامل قمامة مسنّ، وجهه أصفر وجميل مثل العاج الصينيّ، ينفخ في البوق المصنوع من معدن محدّب، ويستيقظ القواد الإسبانيّ وبه انتصاب. من بين الغبار والبراز وبطن جراء قطط ميتة تشقّ عاهرة طريقها، تحمل صرراً من أجنة مجهضة، أوقية مطاطية ممزقة، ضمادات ملطّخة بالدّم، براز مغلّف بصفحات مجلات هزلية ملوّنة.

ميناء هائل مياهه قزحية. بئر نفط مهجورة تفور في أفق الدخان. رائحة كريهة للزيت ومياه المجاري. أسماك قرش مريضة تسبح في المياه السوداء، تتقيأ الكبريت من أكبادها الفاسدة، تتجاهل إيكاروس الجريح النازف.

بطل أمريكا العاري مجنون بحب الذات، يصرخ: «ثقب مؤخرتي تحفة فنية عالمية! إني أضرط رائحة زكيّة وأتبرّز روثاً ذهبياً خالصاً! يندفق من أبري ماس رقيق في ضوء الصباح!» ينقضّ من المنارة التي بلا عيون، يستمني أمام المرآة السوداء، ينساب بميلانٍ بين الأوقية المطاطية المشفّرة، وفسيفساء من ألف صحيفة، يقطع مدينة غارقة مبنية من الطوب الأحمر ويغرق في وحل أسود بين علب الجعة والزجاجات الفارغة، أفراد عصابات مصبوبون في الباطون، مسدسات تمّ سحقها ولا قيمة لها للتملّص من مراقبة الخبراء البالستيين الشبقين. بخاصرتين متحجرتين ينتظر عرض التعري البطيء للتآكل.

يلقي المستقلّ حبل المشنقة على رقبة الفتى ويوقف بعناية العقدة الموجودة خلف الأذن اليسرى. يتقلّص عضو الفتى التناسلي، خصيتاه صلبتان. يلقي نظرة مباشرة ويتنفّس عميقاً. يمشي المستقلّ

بجانبه مداعباً عضوه التناسليّ بحركات هيروغليفية ساخرة. يطوّق الفتى من الخلف وبعد سلسلة من الهزّات والدّفع يلج مؤخرته. يستلقي فوقه ويتحرك بحوضه حركات دائريّة.

أسكتَ الضيوف أحدهم الآخر، يلكزون بعضهم بعضاً ويُقهقهون.

فجأة، يدفع المستقلّ الفتى وقد تحرّر من قضيبه. يضع يديه على حوض الفتى ويقوم بموازنته، يرفع يديه المصمّمتين كحروف هيروغليفيّة ويبلغ رقبة الفتى. رعدة تصيب جسد الفتى. ينتصب عضوه بثلاث اندفاعات تشدّ حوضه، ويقذف.

شرر أخضر ينفجر أمام ناظريه. ألم عذب كألم الأسنان ينطلقُ من عنقه إلى أسفل العمود الفقري حتى الفخذ، ينكمش مع جسده في تشنجات ممتعة. كامل جسده يعتصر في أيره. التشنج النهائي يقذف كمية كبيرة من الحيوانات المنوية ويمرّ مثل المذنّب عبر الشاشة الحمراء.

يسقط الفتى بامتصاص معويّ رقيق عبر دهليز من ماكينات الحظ والأفلام الجنسيّة. روث حادّ يخرج من مؤخرته. فساء يهزّ جسده الرقيق. صواريخ تنفجر في عناقيد خضراء فوق نهر رحيب. يسمع صوت محرّك زورق في شفق الغابة... تحت الأجنحة السّاكنة لبعوض الأنوفيلة.

يسحب المستقلّ الفتى من جديد إلى أيره. يتلوّى الفتى مثل سمكة الراموح. يعتلي المستقلّ ظهر الفتى ويتأرجح، جسده يتلوّى في موجات سائلة. يتدفّق الدم أسفل ذقن الفتى من فمه العذب المفتوح جزئياً، المتكدر بالموت. يسقط المستقلّ سقوطاً سائلياً متخماً.

حجيرة بلا نوافذ جدرانها زرقاء. ستارة وردية اللون متسخة تخفي الباب. براغيث حمراء تزحف على الجدران، تتجمهر في الزوايا. فتى عارٍ يتوسّط الغرفة يدقّ على عود بوترَين متتبعاً الأرابيسك على الأرضيّة. يتمدّد فتى آخر على السرير، يدخّن «الكيف» وينفث الدخان فوق أيره المنتصب. يلعبان بورق التارو لِيَرَيا من منهما سيلج الآخر. يغشّان. يتضاربان. يتدحرجان على الأرضيّة يجأران ويبصقان مثل دابتين. يجلس الخاسر على الأرضيّة ويسند ذقنه إلى ركبتيه ويلعق سناً مكسورة. يسقط الفائز على السرير ويتظاهر بالنوم. في كلّ مرة يقترب الخاسر، يقوم علي بِرَكلِهِ. يُمسك عليّ بكاحله، يطويه تحت إبطه، يضغط بيديه على ساقيه. يركل الفتى وجه علي باستماتة. يعلق كاحله الثاني. يقلب علي الفتى على ظهره. يتمدد أير الفتى على طول بطنه، حراً ونابضاً. يضع يديه خلف رأسه ويبصق على الأير. يطلق الفتى تنهيدةً عميقه عندما يولج علي أيره فيه. تلتصق الأفواه ببعضها في اصطكاك الأسنان والدم الملطّخ. تنبعث رائحة حادة لفتحة شرج تمّ إتيانها، قضيب دُق فيه كإسفين يشفط نوافير طويلة من السائل المنويّ من الأير الآخر. (من تجربة الكاتب: الأير العربي يميلُ إلى الشكل العريض وإلى هيئة الإسفين).

ساتير وفتى يونانيّ عار يركّبان أسطوانات الأوكسجين يرقصان الباليه بمزهريّة وحشيّة مصنوعة من المرمر الشفاف. يمسك ساتير الفتى من الأمام ويدوّره. يتلوّيان التواءات فجائيّة مثل السمك. يطلق الفتى من فمه دفقاً من فقاعات فضيّة. يُقذف بمنيّ أبيض إلى الماء الأخضر ويطفو بكسلٍ من حول الأجساد الملتويّة.

زنجيّ يرفع برقّة فتى صينيّاً جميلاً على أرجوحة شبكيّة. يدفع

بقدمي الصيني إلى الأعلى متجاوزاً رأسه ويجلس بنفسه على الأرجوحة الشبكية من جانبيها. يولج أيره في مؤخرة الفتى الصلبة والرشيقة. تتحرك الأرجوحة الشبكية رائحة غادية. يصرخ الفتى، يطلق تأوهاً عالياً غريباً للذة لا تُحتمل.

راقص جاوي يجلس على كرسي دوار خشبيّ مزيّن مثبّت في التجويف الموجود بين شطري مؤخّرة مصنوعة من الحجر الجيريّ. يشدّ إليه شاباً أمريكياً- شعره أحمر، عيناه خضراوان جليّتان- ويقوم بنيكه بحركات طقوسيّة. وجه الفتى مصوّب إلى الراقص الذي يتحرّك وهو جالس بحركات دائريّة، تمنح الكرسي مادّة سائلة. «ويييي!!» يصرخ الفتى ويقذف على صدر الراقص النحيل الأسمر. كتلة من المنيّ تمسّ طرف فم الراقص. يزج بها الفتى بطرف إصبعه إلى الفم ويضحك: «يا رجل، يا لها من مصّة!».

امرأتان عربيّتان بوجهين بهيميّين تعرّيان فتى فرنسياً أشقر قصير القامة. تأتيانه بواسطة أيرٍ مطاطي أحمر اللون، فيما الفتى يجأر ويعض ويركل وينهار بالبكاء وأيره منتصب منتعظ.

يتورّم وجه حسن الممتقع. تتورد شفتاه. يخلع بذلته المُحاكة من الحوالات البنكية ويلقي بها في خزنة مفتوحة تُقفل دون أن تصدر صوتاً.

«يا سادة! هنا صالة الحريّة!»، يصرخ بلكنة تكساسيّة مزيّفة. يعتمر قبعة هائلة على رأسه وينتعل جزمة رعاة البقر ويرقص رقصة مائعة مختتماً برقصة كان-كان غروتسكيّة على أنغام أغنية أمريكية.

«وليكن! لا ثقوب محرّمة!».

أزواج بأجنحة اصطناعية يتدلون من السقف، يتزاوجون في الهواء، يصرخون كالعقعق.

بهلوانات يساعدون بعضهم بعضاً على القذف في الهواء بلمسة مضمونة واحدة.

مهرجون يمصّون الواحد للآخر، متوازنين على عواميد هشّة منصوبة فوق كراسي تميل نحو الفراغ. من أعماق يكتنفها الضباب تهب ريح دافئة تحمل نكهة أنهار وغابات.

مئات من الفتية يسقطون من السطح، يتلوّون ويركلون. يتعلّقون على حبال بارتفاعات مختلفة، بعضهم قريب إلى السقف والآخر يبعدون مسافة سنتيمترات عن الأرض. فتية فاتنون من مالي وبالي، هنود من المكسيك بوجوه قاسية وساذجة ولثيّ حمراء. زنوج (أسنان، أظافر وشعر عانة مطليّة بالذهب)، فتية يابانيون ملِسون وبيض مثل الخزف الصينيّ، فينيسيّون يخرجون من لوحة لتيتسيانو، أمريكيّون بشعور مجعدة شقراء أو سوداء تنسدل على جباههم (يمشطها الضيوف برقّة)، بولنديون عابسون بنظرات حيوانية، فتية شوارع عرب وإسبانيون، نمساويون ورديو اللون ورقيقون برمزٍ يوحي بشعر عانة أشقر، فتية ألمانيون متبجحون بعيون زرقاء تلمع يصرخون: «هايل هتلر!» فيما تنفتح منصّة الإعدام من تحتهم. صُلبةٌ يخرؤون ويئنون.

السيّد محدث النعمة يلوك سيجاراً بفحش وبذاءة، متمدداً على شاطئ في فلوريدا ومحاطاً بغلمان شقر متبسّمين:

«أحد الأشخاص استورد اللاتا من الهند الصينيّة. فكّر في تعليق اللاتا ومفاجأة الأصدقاء في عيد الميلاد المجيد. قام بتجهيز حبلَين، واحد للتمدّد، والآخر حبل أصليّ. لكنّ اللاتا استفاق في حالة من العداء، ارتدى لباس سانتا كلوز وأتى بشخص بديل. بزغ الفجر. علّق الشخص الحبل وقام اللاتا، مثله مثل أي لاتا، بتعليق الحبل

الثاني. عندما يهوي الحابس يُشنق البديل ويقف اللاتا مع الحبل المطاطيّ البهلوانيّ. يحاكي اللاتا الشخص وهو يتلوّى ويختنق. يقذف ثلاث مرّات.

«هذا اللاتا الفتيّ ذكيّ ويعرف من أين تؤكل الكتف. أخذته ليعمل عندي كمُنجِز أعمال في أحد مصانعي».

قساوسة أزتيكيّون يجرّدون عباءة زرقاء من الريش عن جسد الفتى العاري. يمددونه على مذبح حجريّ، يضعون جمجمة بلوريّة على رأسه، يثبّتون نصفَي الكرة الخلفيّ والأماميّ بمسامير بلوريّة. ينساب شلال مياه فوق الجمجمة كاسراً عنق الفتى. يقذف في هيئة قوس قزح على خلفيّة الشروق.

رائحة بروتينيّة حادّة للمنيّ تملأ الجوّ. يداعب الضيوف صبية يرتعشون، يمصّون لهم، يعتلون ظهورهم مثل مصّاصي الدماء.

مرشدو سباحة عراة يحملون داخلهم رئات حديديّة وفيها صبية كسيحون.

صبية عميان يتحسّسون الطريق خارج فطائر ضخمة، انفصاميون منحطّون يندفعون من فرج مطاطيّ، حاملو أمراض جلديّة فظيعة يطلعون من مستنقع أسود (على سطح الماء تقضم أسماك خاملة روثاً أصفر).

رجل يرتدي ربطة عنق بيضاء وقميصاً فاخراً، عارٍ من الخاصرة وما تحتها باستثناء ربطتين سوداوين على قدميه، يتحدّث بأناقة إلى ملكة النحل (ملكات النحل هنّ نساء مسنّات يحطن أنفسهنّ بلفيف من المثليّين صغار السنّ. هذه عادة مكسيكيّة مشؤومة).

«لكن أين التماثيل؟»، يتكلّم من جانب واحد فقط من وجهه،

فالجانب الثاني مشوّه من عذاب مليون مرآة. يستمني بوحشيّة. لا تنتبه ملكة النحل لشيء وتواصل الحديث.

أرائك، كراسي، تبدأ القاعة بالاهتزاز الذي رجّ الضيوف إلى أشباح مشوّشة تصرخ في عذاب جنون الأير.

صبيان يستمنيان تحت جسر السكة الحديدية، والقطار يهزّ جسديهما ويجعلهما يقذفان متلاشياً في صفير يبتعد. ضفدع يصدر نقيقاً. يمسح الصبيان المنيّ عن بطون ضامرة سمراء اللون.

مقصورة في القطار: شابان مدمنان مريضان في طريقهما إلى نيويورك، يخلعان سروالهما في نوبة من الشهوة. يصبّن أحدهما أيره ويغرزه بحركات دائرية في مؤخرة الثاني. «جيييييي!» ينتشي كلاهما في نفس اللحظة وهما واقفان. يبتعدان عن بعضهما ويرتديان سروالهما.

«هناك طبيب عجوز في مارشال يكتب وصفة طبية لخلاصة الأفيون والزيت».

«بواسير أمي تنفجر في صرخة نازفة وجريحة، متشوقة لبعض الأفيون... افترض يا دكتور أنها أمك، وقد رشحت العلقات إلى مؤخرتها وأخذت تتلوّى هناك على نحو فاحش... يا ماما، عطّلي عمل الحوض، فأنت تثيرين التقزز».

«هيا نتوقف عنده ونأخذ منه وصفة طبية».

يخترق القطار ليل حزيران الداخن المضاء بالنيون.

صور لرجال ونساء، أولاد وبنات، حيوانات، أسماك، عصافير، إيقاع تزاوج الكَون يتدفّق في الغرفة، تيّار الحياة الأزرق. الأزيز الصّامت المهتزّ لعُمق الغابة، سكون المُدن الفجائيّ عندما

يذلل المدمن الصّعب. لحظة صمتٍ وسحر. حتّى المسافر دائم السّفر يهزّ شرايين يسدّها الكولسترول من أجل لمسة.

ينادي حسن صارخاً: «أنت السبب يا إي. جي! أفسدتَ حفلتي!».

ينظر إليه إي.جي، ووجهه بعيد مثل حجرٍ جيريّ. «افعلها من مؤخرتك أيها المائع الأسيويّ».

يندفع قطيع من النساء الأمريكيات في حالة هياج شهوانيّ. فروج تقطر من الحقول والمزارع والمصانع والمواخير والنوادي الريفيّة، من السّقف والضواحي، من الموتيلات واليخوت والحانات، يخلعن أزياء ركوب الخيل والتزلج، وأزياء السّهرة، والجينز، والمعاطف الفاخرة وفساتين الصيف والسراويل وبذلات السباحة والكيمونو. يصرخن ويجعرن ويعوين، يقفزن على الضيوف مثل كلبات في حالة هيجان جنسيّ أصابهنّ داء الكلب. يغرزن أظافرهنّ في الفتية المعلّقين في الهواء ويصرخن: «يا هومي! يا وغد! نِكني! نِكني!». يلوذ الضيوف بالفرار مذعورين، يتسللون بين الفتية المعلقين، يقلبون في طريقهم أجهزة المنفاس الفولاذيّة.

إي.جي: «أحضروا أصدقائي! أيتها الثعالات، فليحمني الرب!».

السيّد هايسلوب، سكرتير إي.جي، يرفع بصره عن كراسة الصور الهزليّة: «لقد تسيّل أصدقاؤك».

(عمليّة التسيّل تشمل تشظّر البروتين، وتحوّله إلى سائل واستيعابه داخل الوجود البروتوبلازميّ للآخرين. يرجح أن يكون حسن، متسيّل سيّئ السّمعة، المنتفع في هذه الحالة).

إي.جي: «أيها المتهرّبون الطّماعون! أين سنصل من دون

أصدقائنا؟! يا سادة، ظهورنا للحائط. الخطر يحوم حول أيورنا. سيّد هايسلوب، استعدّ لمقاومة الغازِيات. وزّع على الرجال أسلحة».

يستلّ إي. جي سيف قراصنة ويشرع في قطف رؤوس الفتيات الأمريكيات ويغنيّ بشبق:

خمسة عشر رجلا فوق صندوق رجل ميّت
يو هو وزجاجة رم
الشراب والشيطان فعلا المطلوب
يو هو وزجاجة رم.

السيّد هايسلوب، يشعر بالملل وعدم الاكتراث: «أوف! بدأ ثانية». يلوّح بعلم القراصنة بتوانٍ.

إي. جي، محاطاً بحشود الغازيات، يركن رأسه إلى الخلف ويُطلق صرخة خنزير. في نفس اللحظة يقتحم الغرفة رجال إسكيمو مثارين جنسياً، ينخرون ويصرخون، وجوههم متورّمة، عيونهم حمراء ملتهبة، شفاههم أرجوانية اللون، ويهجمون على النساء الأمريكيات.

(خلال فترة الصّيف القصيرة يتمتع رجال الإسكيمو بمَوسم للدورة النزويّة حيث تلتقي فيها القبائل وتترفّه بالجنس الجماعيّ. تتورّم وجوههم وتتورّد شفاههم).

حارس أمن يحمل سيجاراً يبلغ طوله نصف متر يمدّ رأسه عبر الحائط: «هل يوجد معرض وحوش هنا؟».

يعصر حسن يديه: «مسلخ! مسلخ ملوّث! واللّه لم أرَ قرفاً في حياتي مثل هذا!».

يدورُ حسن بسرعة باتجاه إي. جي الجالس على الصندوق، ببغاء على كتفه، رقعة على العَين، يحتسي الرم من إبريق كبير. يرقب الأفق من تليسكوب نحاسيّ هائل.

حسن: «أنتَ قحبة واقعيّة رخيصة! انصرف ولا تعد لتلوّث غرفة ألعابي!».

في حرم
جامعة إنترزون

حَمير، جمال، حيوانات اللاما، عربات، فتية يدفعون عربات البضائع بجهد كبير، عيونهم ناتئة مثل ألسنة مختنقة تنبض بكراهية حيوانيّة. قطعان من الخرفان والمعيز وبقر طويل القرون تمرّ بين الطلبة ومنصّة المحاضر. يجلس الطلبة على مقاعد حدائق صدئة، قواعد حجريّة، مقاعد المراحيض، صناديق، براميل نفط، جذوع أشجار، وسائد جلديّة مغبرة، فرش عفنة. يرتدون الجينز والجلابيات - الجوارب والسترات الضيّقة - يشربون عصير الذرة من جرار فخارية، والقهوة من العلب، يدخنون الماريجوانا بسجائر ملفوفة من ورق تغليف وبطاقات اللوتو... يحقنون الجانك بدبابيس واقية وقطّارات، يتصفحون استمارات السباقات والمجلات الهزلية ومخطوطات المايا...

يطلّ الأستاذ ممتطياً دراجته ويعلّق في عنقه قلادة جماجم. يصعد إلى المنصّة ويسند ظهره (رافعةً تهزّ بقرة تجأر فوق رأسه).

الأستاذ: ليلة أمس، ولج جيش السلطان بي. تشنّج ظهري أثناء خدمة ملكة المنزل... لا أنجح في التخلّص من العجوز. أحتاجُ إلى

كهربائيّ دماغ ليفصلها عن مشابكها العصبيّة ومن ثمّ رسول جراحة ليضع أمعاءها على الرّصيف في الخارج. عندما انتقلت ماما إليّ بأغراضها تظاهر السّاكن صاحب الأوسمة أنّه مسلوب.

يتأمّل جماجم الأسماك المعلقة حول عنقه ويتمتم أنشودة أمريكيّة تعود لسنوات العشرينات. «دفق من الحنين اجتاحني يا سادة، وسوف يخرج في الحال»... صبية يسيرون في منتصف المهرجان ويتناولون غزل البنات... يُمسك بعضهم بمؤخرات بعض في عرض التلصّص... يستمنون عند الدولاب الدوار ويرشقون المنيّ باتجاه القمر الذي طلّ أحمر ومدخناً فوق المسبَك في الجانب الثاني من النهر. يتدلّى زنجيّ من صفصافة أمام المحكمة القديمة... نساء ينشجن يقبضن على منيّه بأسنان فرجٍ...

«(يتفحص الزوج باشتباهٍ المبدول الصغير بعينين رماديتين كقميص صوف باهت... 'يا دكتور، أظنّ أنّه زنجيّ'.

يهزّ الطبيب كتفيه: 'يا بنيّ، هل تعرف مقولة: تحت القشرة تحتفي حبّة البازيلاء»).

«يحقن الدكتور باركر الهيروين في الغرفة الخلفية في الصيدلية، ثلاث نقاط للجرعة- 'منعش'، يقول متمتماً. 'إحساس ربيعيّ طوال الوقت'.

«بنسون ذو اليدين، المنحرف، يحتلّ مكاناً (كويرنسيا) في غرفة مراحيض المدرسة. (كويرنسيا هو مصطلح مأخوذ من مصارعة الثيران... حيث يحتلّ الثور بقعة داخل الحلبة ويمكث فيها فيما يُجبر مصارع الثيران على التوجه نحوه واللعب وفق قوانينه أو إغوائه بالتحرك- إما هذا أو ذاك). يقول الشريف بلارسن: 'يجب بشكل ما إخراجه من بقعته'... ولوتي العجوز التي نامت مدة عشر سنوات مع

ابنتها المتوفّاة المحنّطة تستيقظ مرتجفةً فجراً في إيست تكساس. . . نسور تحلّق فوق مياه مستنقع سوداء وجذع السرو. . .

«والآن يا سادة- وأرجو ألا يكون بيننا مخنّثون - هاها - وأن تكونوا جميعاً سادة محترمين انطلاقاً من الوفاق الخلائقيّ وما تبقّى هو أن تبرهنوا أنّكم ذكور بشريّون - تحظر حالات الانتقال إلى أيّ اتجاه في هذه القاعة المبجّلة. يا سادة، أظهروا أسلحتكم! لقد تم إرشادكم بشأن أهميّة الاحتفاظ بأدوات مشحّمة وجاهزة للاستخدام لأية عمليّة أماميّة أو خلفيّة».

الطلبة: «أي نعم!»، يفتحون سراويلهم منهكين. لوّح أحدهم بانتصاب هائل.

الأستاذ: «حسناً يا سادة، أين كنت؟ آه، نعم، لوتي العجوز. . . تستيقظ مرتجفة مع ساعة الشروق الرقيق والورديّ، ورديّ مثل شموع في كعكة عيد ميلاد طفلة، ورديّ مثل غزل البنات، ورديّ مثل صدفة، ورديّ مثل أير ينبض في ضوء جماع أحمر. . . لوتي العجوز. . . أه. . . إذا لم يتوقّف هذا الاسترسال وتستلم سريعاً لأمراض الشيخوخة وتلحق ابنتها بالفورمالديهايد.

«صقيع قافية *الملاح القديم* للشاعر كولريدج. . . أردت أن ألفت انتباهكم إلى رمزية الملاح نفسه».

الطلبة: «نفسه، يقول».

«. . . وفي نفس الوقت، أن ألفت انتباهكم إلى شخصيّته المنفّرة».

«أستاذ، هذا ليس لائقاً».

مئة أزعر شاب، مطاوٍ تصطك كأسنان تتحرّك باتجاهه.

الأستاذ: «رحماك!» يحاول مستميتاً أن يتنكر لامرأة عجوز

بكعب عال وشمسيّة... «لو لم تكن الخزرة التي بسببها لا أقوى على الانحناء لاستدرتُ وعرضت عليهم مؤخرتي، كما يفعل القردوح... عندما يهاجم قردوح قوي قردوحاً ضعيفاً عندها إما: ١) أن يعرض عليه الضعيف مؤخرة غير فاخرة، أعتقد أن هذه العبارة مناسبة، يا سادة، هاها، لجماع خامل أو: ٢) إذا كان القردوح من النوع البارز المدرّب فإنّه سوف يستدير ويهاجم القردوح الضعيف إذا نجح في أن يعثر على واحد كهذا».

امرأة عروض مدمّرة بأسمال تبدو كأنهم رقدوا فيها منذ زمن تتموج في شارع موحش يغمره ضوء النيون في شيكاغو... الوزن الساحق للأيام الميتة يربض في الجو مثل شبح مجسّم.

امرأة العروض (درجة حرارة معلّبة): «جدوا القردوح الأضعف!».

صالون حدوديّ: قردوح مثليّ يرتدي فستاناً أزرق لطفلة يغني باستكانة: «أنا القردوح الأضعف».

قطار شحن يفصل بين الأستاذ والشبان... بعد مروره يكون الجميع قد ربّوا كروشاً وتقلّدوا مناصب مسؤولة...

الطلبة: «نريد لوتي!».

الأستاذ: «لقد حدث هذا في بلاد أخرى، كما قلت قبل أن تقطعني بفظاظة إحدى شخصيّاتي المتعددة... فهي لا تجلب لي إلا المتاعب... أبدوا رأيكم في الملاح القديم، الذي يتمكّن، من دون الاستعانة بالكورير، العقاقير المهدئة، اللاسو أو سُترات المجانين، رغم ذلك، في شدّ وحتى تقييد جمهوره... ما سرّه؟ هه هه هه. وبخلاف من يُدعون بالفنانين في زمننا، فإنّه لا يوقف أي شخص عبثاً أو يثير الملل المفاجئ أو يُسبّب عشوائيّة... كلا، إنّه يوقف من هم

ملزمون بالإصغاء في أعقاب علاقة قائمة بين الملاح (القديم) وبين - أه- ضيف العرس. . . ».

«عملياً، ما يقوله الملاح ليس ذا أهميّة. . . قطعاً قد يكون خرفاً مضطرباً، ثرثاراً هاذياً. . . لكنّ شيئاً ما يحدث لضيف العرس، كما يحدث، إذا حدث في التحليل النفسيّ. لو سمحتم لي بالانحراف قليلاً عن الموضوع. . . أحد معارفي هو محلّل نفسانيّ وفي الجلسات لا يفعل شيئاً سوى التحدّث - يصغي المتعالجون بصبر أو معانة. . . يثير ذكريات، يروي نكات فظة (وقديمة) ويصل إلى طباقات من البلاهة حتى موظف المحافظة لا يجرؤ على أن يحلم بها.

من ناحية معيّنة، هو يبيّن أنّه لا يمكن تحقيق شيء في المستوى اللفظيّ. . . لقد طوّر أسلوبه بعد أن انتبه إلى أن الشخص المصغي - أي المُعالج - لا يفهم دماغ المتعالج. وإنّما العكس: يقرأ المتعالج -المتحدّث- أفكاره. . . أي أن المتعالج يردّ انطلاقاً من تصوّر فوق- حسيّ لأحلام وخطط المعالج بينما يقوم المعالج بالتوجه إلى المتعالج من الدماغ الأماميّ بشكل حصريّ. . . هناك رجال تحرٍّ يستخدمون هذه الطريقة - وهم معروفون بأنهم كثيرو الكلام ومملون جداً وغير قادرين على الإصغاء. . .

«يا سادة، خذوا مني حكمة: *بالإمكان معرفة الكثير عن شخص ما من خلال الكلام بدلاً من الإصغاء*».

تصل خنازير مندفعة ويصب الأستاذ اللآلئ في المذود. . .

«أنا أصغر من أن آكل قدميه»، يقول أسمن الخنازير. «وقدمان من طين، على أيّة حال».

حفلة إي.جي
السنويّة

يتوجّه إي.جي إلى الضيوف: «أيتها الفروج، أيتها الأيور، أيّها المُفحّجون على الجدار، أستضيف الليلة الرائد العالمي الشهير للأفلام الإباحية والدعايات التلفزيونية القصيرة. استقبلوا الوحيد الأوحد، مخرج الأفلام الإباحيّة العظيم!».

يشير إي.جي نحو ستارة مخمليّة حمراء يبلغ طولها عشرين متراً. برق يمزّق الستارة. يظهر مخرج الأفلام الإباحيّة العظيم. وجهه هائل، ساكن مثل جرة رماد في جنازة هنديّة لعشيرة الكيمو. يرتدي بذلة سهرة، عباءة زرقاء ونظارة أحاديّة الزجاجة زرقاء. عيناهِ كبيرتان ورماديتان، وبؤبؤان صغيران يبدوان كقاذف إبر. (وحدهم الواقعيّون نظراؤه قادرون على الصّمود في وجه نظرته). عندما يغضب مخرج الأفلام الإباحيّة العظيم يخلع النظارة أحادية الزجاجة عن عينه. ممثّلون رديئون عديدون ذاقوا غضبه الجليديّ: «انصرف من الاستوديو أيّها الرخيص! هل تفتعل بلوغ الذروة عندي؟! عند مخرج الأفلام الإباحيّة العظيم؟ بنظرة واحدة إلى خنصرك سأعرف إذا قذفت أم لا. يا غبي! حثالة أبله! زبّال وقح! بِع مؤخرتك وتذكّر أنّ العمل مع مخرج الأفلام الإباحيّة العظيم يتطلّب الصّدق والحسّ الفنيّ والإخلاص، وليس الخدع المبتذلة والتأوهات المزمّقة والرّوث المطّاطي وقناني الحليب خلف الأذن وحقن اليوهيمبا (اليوهيمبا هي مادّة مستخلصة من لحى شجرة تنبت في أفريقيا الوسطى، وتعتبر مثيرة للغريزة الجنسيّة الأكثر نجاعةً وأماناً، تعمل بواسطة توسيع الأوعية الدموية في الجلد عموماً، والأعضاء الجنسية بشكل خاص)!».

يقذف مخرج الأفلام الإباحيّة نظارته الأحادية. تتوارى عن الأنظار ثمّ تعود مرتدّة إلى عينه. يرقص على قدم واحدة ويتوارى في الضباب الأزرق البارد مثل هواء سائليّ...

على الشاشة: فتى أحمر الشعر وأخضر العينين، ذو جلد أبيض عليه بعض النمش... يقبّل فتاة سمراء نحيفة ترتدي سروالاً. تُلمّح الأزياء وتسريحة الشّعر أنهما يتواجدان في حانة وجوديّة يمكنها أن تتواجد في كلّ مدينة كبيرة في العالم. يجلسان على سرير منخفض مغطّى بملاءة حريريّة بيضاء. تفتح الفتاة سرواله بأصابع رقيقة وتُخرج الأير الصغير والصلب. شيء من السائل الزلق يلمع عند طرفه مثل لؤلؤة. تقوم بمداعبة الكمرة برقّة: «تعرّ يا جوني». يتعرّى بحركات سريعة وواثقة ويقف أمامها عارياً، بأيرٍ نابض. تشير بأن يستدير وينصاع مستديراً بحركة تحاكي عارضة الأزياء على المنصة، بيدٍ على الخاصرة. تخلع قميصها. نهداها عاليان وصغيران، حلمتاها منتصبتان. تخلع سروالها الداخليّ. شعر عانتها أسود ولامع. يجلس إلى جانبها ويمدّ يده نحو نهديها. توقفه.

«يا حبيبي، أريد أن ألعق شَرجَك»، تقول هامسة.

«لا، ليس الآن».

«أرجوك، أرغب في ذلك».

«حسناً. سأذهب لأغسل مؤخرتي».

«لا، أنا سأغسلها».

«أوف، إنها ليس متسخة».

«إنها كذلك. جوني، تعال معي».

تأخذه إلى الحمام. «هيا، انحن». يركع على ركبتيه ويميل إلى الأمام، فيما ذقنه على سجادة الحمام. «يا الله!» يقول. ينظر إلى

الوراء، ويبتسم إليها. تغسل له مؤخرته بالصابون والماء الدافئ وتحشر إصبعها في الداخل.

«يؤلمك؟».

«كلاااااا».

«إذاً، تعال يا حلو». تأخذه إلى غرفة النوم. يتمدد على السرير ويرفع قدميه متجاوزاً رأسه، ويشبك ساعديه خلف ركبتيه. تبرك هي على ركبتيها، تداعب فخذيه وخصيتيه وتمرّر أصابعها على جلد ما بين الخصيتين والثقب، تفصل بين شقّي مؤخرته وتنحني وتشرع في لعق فتحة الشّرج، محرّكةً رأسها حركةً دائريّةً بطيئةً، تدفع بأطراف الثّقب وتلعقُ عميقاً. يُغمضُ هو عينيه ويتلوّى. تلعق المنطقة الفاصلة، والخصيتين الصغيرتين المتماسكتين... لؤلؤة كبيرة تظهر عند طرف الأير المختون. فمها يغطّي الكمرة، تمصّها بشكلٍ إيقاعيّ من الأعلى إلى الأسفل ومن الأسفل إلى الأعلى. تتوقّف قليلاً في طريقها إلى الأعلى وتحرّك رأسها دائرياً. تداعب يدها خصيتيه، تنزلق بهما إلى الأسفل وتُدخل إصبعها الوسطى في مؤخرته. وبينما تنزل إلى قاعدة أيره وهي تمصّ، تهيّج البروستاتا بإصبعها. يكشّر ويضرط. الآن تمصّ أيره في هيجان. يأخذ جسده في الانكماش ويصل إلى ذقنه. في كلّ مرّة يصير الانكماش أطول.

«وييييي!» يصرخ الفتى. عضله مشدود وجسمه متوتّر ليُفرغ من أيره السائل المنويّ الساخن حتى يملأ فمها فتشربه في دفعات. يتيح لقدميه أن تسقطا على السرير محدثتين صوتاً. يقوّس ظهره ويتثاءب.

تحزم ماري قضيباً مطاطياً وتقول: «ستيلي دان الثالث من يوكوهاما». تداعب الجهاز. يُقذف الحليب إلى الجانب الثاني للغرفة.

«هل أنت متأكدة من أنّ الحليب مُبَسّر؟ لا أريدُ أن أصاب بجرثومة فظيعة كالجمرة أو الرعام أو الحمى القلاعية. . .».

«عندما كنتُ بشخصيّة ليز، المخنّث، في شيكاغو عملتُ مبيداً للحشرات. كنتُ أغازل الفتية الحسان لأنّ الضّرب مثل الرجال كان يثيرني. ذات مرّة أمسكتُ بفتى حديث السّن وقمتُ بإخناعه من خلال تمرين جودو فوق-صوتيّ أخذته عن عجوز سحاقيّة كانت راهبة زن. أوثقته وأزلت عنه ملابسه بموسى حلاقة وأتيته بستيلي دان الأول. من فرط إحساسه بالراحة كَوني لم أخصِه قذف على عتاد المبيد الحشريّ».

«وماذا حدث لستيلي دان الأول؟».

«مزّقته سحاقيّة رهيبة كانت أفضل من عرفت في القبض الفرجيّ. بفرجِها، أمكنها أن تسحق أنبوبة حديديّة. كانت تلك إحدى ألاعيبها في الصالون».

«وماذا حدث لستيلي دان الثاني؟».

«لاكته سمكة كانديرو جوعى في مؤخّرة بابون. هذه المرة لا أريد أن أسمع 'ويسي!'».

«لم لا؟ الأمر صبيانيّ جداً».

«أيها الفتى الحافي، اترك عنادكَ عند السيّدة».

ينظر إلى السّقف ويداه خلف رأسه وأيره ينبض. «ما العمل؟ ليس في مقدوري أن أخرأ وهذا الشيء داخلي. يا ترى هل بالإمكان الضّحك والقذف في نفس الآن. أتذكّر أنّه عندما كنّا، أنا وصديقي لو، سيّدين في نادي «جوكي كلاب» في القاهرة، لم يضحكنا شيء إلى هذا الحدّ. . فقد ضحكنا إلى درجة أننا بلنا في سراويلنا، وقال لنا النادل 'أيها الحشاشون اللعينون، انصرفوا من هنا'. إذا كنتُ

قادراً على الضّحك إلى درجة التبوّل حتماً يمكنني أن أقذف من فرط الضّحك. لهذا، متى بدأت أفرغ، اروي لي شيئاً مضحكاً. يمكنك معرفة ذلك مع الارتعاشات الأولى لغدة البروستاتا...».

وضعَت مسجلاً، بيبوب كوكاييني معدنيّ. تزيّت القضيب الاصطناعيّ، ترفع ساقَي الفتى عند رأسه وتُدخل القضيب الاصطناعيّ في المؤخرة بحركات لولبيّة بحوضها المرن. تلفّ ببطء على محور الأير. تحكّ حلمتيها الصلبتين بصدره. تقبّله من رقبته وذقنه وعينيه. أنزل يديه من ظهرها إلى إليَتيها جاذباً إياها أكثر نحو مؤخرته. تسرّع دورانها أكثر. ينتفض جسده في تشنجاتٍ اختلاجيّة. «أسرع من فضلك»، تقول له. «الحليب يبرد». لا يسمعها. تلصق فمها بفمه. يتحرك وجهاهما معاً. يرتطم منيّه بثدييها بلعقات خفيفة ودافئة.

يقف مارك عند عتبة المنزل. يرتدي كنزة سوداء. وجهه بارد، بهي ينبض بحب الذّات. عيناه خضراوان وشعره أسود. يرمق جوني بنظرة هازئة، رأسه يميل جانباً، يداه في جيبَي معطفه، رقصة باليه رشيقة لمُجرم. يهزّ رأسه ويسبقه جوني إلى غرفة النوم. تتبعهما ماري. «حسناً يا أولاد»، تقول وهي تجلس عارية على منصّة مغطاة بالحرير وتنظر إلى السرير. «هيا، باشِرا».

يبدأ مارك بخلع ملابسه بحركات مائعة، حوض يتلوّى يطلّ من الكنزة السوداء ويكشف عن جسد أبيض وجميل برقصة بطن ساخرة. جوني بلا تعابير على وجهه الجامد، أنفاسه سريعة وشفتاه جافتان. يتعرّى. ويُنزل كلسونه على الأرض. يركله مثل راقصة ملهى نحو الطرف الثاني للغرفة. الآن يقف عارياً، أيره منتصب ومشدود على آخره. ببطء، يجيل البصر في جسد جوني. يبتسم ويلعق شفتيه.

يبرك مارك على ركبة واحدة، يشد جوني إلى ظهره بذراع

واحدة، ينتصب ويلقي به إلى السرير بقوّة. يقع جوني على ظهره ويرتدّ جسده. يثب مارك ويمسك بكاحلَي جوني، ويلقي بقدميه فوق رأسه. تتقلّص شفتا مارك وتتداخلان بشدّة. «هيا أيها الفتى جوني». يُقلّص جسده، بتؤدة واستقرار مثل ماكنة مزيّتة، ويولج أيره في مؤخرة جوني. يُطلق جوني تنهيدة عميقة، ويتلوّى منتشياً. يُشبك مارك يديه خلف كتفي جوني جاذباً إياه إلى أيره المحشور عميقاً في مؤخرة جوني. يُطلق صفيراً هائلاً من بين أسنانه. يصرخ جوني مثل عصفور. يحكّ مارك وجهه بوجه جوني، ويختفي التشنّج. عندما يقذف بسائله في جسد جوني المتشنج يصير وجهه بريئاً وصبيانياً.

قطار يزمجر عبره بصوت صافرة... صافرة سفينة في الضباب، صواريخ جويّة تنفجر فوق بحيرات شاطئيّة دهنيّة... سلسلة من صور الأفلام الإباحيّة... دويّ مدفعيّ طقوسيّ يصدح في الميناء... صرخة تقطع رواق مستشفى أبيض... تواصل طريقها نحو شارع عريض ومغبر بين أشجار النخيل... تقطع الصحراء بصفير كالرصاصة (ضميم من أجنحة النّسور في الهواء الجافّ)، ألف من الفتية يقذفون في نفس الآن في المراحيض العموميّة، في مراحيض مدارس كدرة، في العلّيّات، في الأقبية، في بيوت الشّجر، في الدواليب الدّوارة، في البيوت المهجورة، في الكهوف الحجريّة، في زوارق التّجديف، في المرائب، في الحظائر، في أطراف المدينة الملوّثة خلف أسوار من طيّن (رائحة روث يابس)... غبارٌ أسود يهبّ على الأجساد البرونزيّة الضامرة... سراويل بالية تسقط عند الأقدام المشققة النازفة... (هنا تتعارك النسور على رؤوس الأسماك)... بحيرات في الغابة، أسماك شريرة تتلقّف سائلاً منوياً أبيض اللون يطفو على المياه السوداء، ذباب الرمل يلسع العجيزات البرونزيّة، قردة

صيّاحة تمرّ كريح بين الشّجر (أرض فيها أنهار بنيّة واسعة حيث تطفو عليها أشجار كاملة، أفاع براقة بين أغصان الأشجار، قرد الليمور يتأمل الشاطئ بنظرة حزينة)، طائرة حمراء ترسم الأرابيسك بخلاصة السماء الزرقاء، أفعى الجرس تلسع، أفعى الكوبرا تشب، يتمدد مؤخر عنقه، ويطلق سماً أبيض، رقاقات عقيقيّة ولؤلؤيّة تهطل مثل مطر بطيء وساكن في الهواء الصافي مثل الغليسرين.

يتحرك الوقت بشكل متقطّع مثل آلة كاتبة معطوبة، تقدّم الفتية في السنّ، الأفخاذ الفتيّة التي ترتجّ في انتشاء فتيّ آخذةٌ في التّرهّل، تتمدد على مقاعد مراحيض مهجورة، مقاعد حدائق عامّة، حائط حجريّ تحت شمس إسبانية، سرير مرتخٍ في غرفة مستأجرة (في الخارج حيطان حمراء لحيّ فقير وشمس شتائية صافية)... يهتزّون ويرتعشون بملابس داخليّة قذرة، باحثين عن وريد مع غثيان الصباح، يتمتمون ويسيل لعابهم في مقهى عربي - يتهامس العرب: «مجذوب» ويبتعدون (عند المسلمين المتديّنين تُطلق المفردة على نوع خاصّ من المجانين... يعاني من الصرع، من جملة ما يعانيه من اختلالات). «المسلمون يحتاجون إلى الدّم والمنيّ... انظروا، انظروا كيف يسري دم اليسوع في القذف الأخير»، يصرخ المجذوب... ينتصب صارخاً فيما الدم الأسود يندفع من انتعاظه الأخير. تمثال شاحب يقف ساكناً، كما لو نجح في اجتياز آخر أعظم الأسوار بنجاح، تسلّقه بوداعة وهدوء مثل فتى أراد الاصطياد في بركة مياه محظورة - لحظات ويصطاد سمكة سلور كبيرة - فيخرج العجوز من كوخه الأسود راكضاً شاتماً، وبيده مذراة فيما الفتى يضحك هارباً في حقول ميسوري - يرى نبتة حماض خضراء جميلة فيقطفها أثناء ركضه بحركة تنمّ عن عافية العظام والعضلات (تمتزج عظامه بأرض الحقل،

يستلقي ميتاً بجانب السور الخشبيّ وبندقيّة صيد بجانبه، دم تخثّر على إفراز أحمر اللون متجمد يتسرّب إلى الجذامات الشتائيّة لجورجيا)... سمكة السلور تتماوج من خلفه... يبلغ السور ويلقي بها إلى الطرف الثاني على العشب المحزز بالدّم... تهبط سمكة السلور، وهي تتلوّى وتختنق - يقفز عن السّور. يخطف السمكة ويتوارى أعلى شارع طينيّ مرصّع بالصوان بين أشجار البلّوط والبيرسمون التي تتساقط منها أوراق كستنائيّة في غروب خريفيّ، أوراق خضراء تقطر ندى في فجر صيفيّ، أوراق سوداء بخلفيّة سماء شتائيّة صافية... يصرخ العجوز عليه بالسباب. تتطاير أسنانه من فمه وتطلق صفيراً وهي تقطع رأس الفتى. يتقدّم إلى الأمام بقوّة، أوتار عنقه مشدودة مثل إطارات فولاذيّة، دفقة من الدم الأسود الجامد تندفع فوق السور وتسقط مثل مومياء هزيلة على العشب السّاخن. تنمو الأشواك بين ضلوعه، تتكسر النوافذ في كوخه، شظايا زجاج مغبر مغروزة في الطّين - تتراكض الجرذان على الأرضية ويستمني الفتية في غرفة نوم عفنة ومظلمة في ساعات الظهيرة المشمسة ويتناولون التوت البري الذي نبت من جسده وعظامه، أفواههم ملطخة بالعصير الأرجواني...

عثر العجوز المدمن على وريد... دم يزهر في الحقنة مثل وردة صينية... يدفع بالهيروين إلى مأواه فيما يد الفتى التي استمنت قبل خمسين عاماً تطل صافية من اللحم المنكوب، تروي المرحاض برائحة الجوز الحلو لشهوة الذكورة الفتية..

كم عدد الأعوام التي رُصِفت على إبرة الدم؟ يداه مرتخيتان في حضنه ويجلس متأملاً الشروق الشتائي بعينين مفسوختين من أثر الهيروين.

عجوز مثلي يتلوى على مقعد حجري في متنزه في مدينة مكسيكو ومراهقون من أصل هندي يمرون من جانبه، فيما الأذرع تطوق الأكتاف والضلوع، يتمطى جسده المحتضر في محاولة لمس أفخاذ أو عجيزات فتية، خصى متصلبة وأير يقذف.

يجلس مارك وجوني على كرسي هزاز أحدهما قبالة الآخر، جوني على أير مارك.

«جوني، هل كل شيء جاهز؟».

«أدِره».

ينقر مارك الكباسة ويبدأ الكرسي بالاهتزاز... يركن رأسه إلى الخلف، ينظر إلى جوني، وجهه بعيد... عيناه باردتان وساخرتان قبالة وجه جوني... جوني يصرخ ويتأوه... يتفسخ وجهه كما لو انصهر من الداخل... يصرخ جوني مثل القرد، يغمى عليه أثناء القذف، يسقط على صدر مارك مثل ملاك منته من الهيروين. يربت مارك على كتف جوني بذهن شارد... تتبدل الغرفة، وقد تحولت الآن إلى قاعة رياضة... الأرضية مطاطية رغوية مغطاة بالحرير الأبيض... حائط زجاجيّ... الشّمس الساطعة تملأ الغرفة بالنور الورديّ... جوني مقاد إلى الداخل، يداه مربوطتان، بين ماري ومارك. يرى جوني عود المشنقة فيرتخي بتنهيدة عميقة؟ يتدلى ذقنه واصلاً أيره وركبتاه مثنيتان. دفق من المنيّ يخرج على هيئة قوس شبه عمودي أمامه. فجأة يفقد مارك وماري صبرهما ويتأججان... يدفعان بجوني باتجاه منصة عود مشنقة مغطى بحزام وقاية عفن وقمصان متعرقة. يضبط مارك العروة.

«حان دورك»، يقول مارك ويدفع جوني إلى طرف المنصة.

ماري: «لا، لا، أتح لي أنا». تشبك يديها خلف ظهر جوني،

تلصق جبينها بجبينه، تبتسم إلى عينيه مباشرة وتخطو إلى الخلف، تشده من المنصة باتجاه الحيّز... وجهه طافح بالدم ومنتفخ... يمدّ مارك يده وبحركة خفيفة يطق رقبة جوني... يصدر صوت مثل عصا مكسورة في منشفة مبللة. ينتاب جسد جوني رعشة... تهتز إحدى قدميه مثل قدم عصفور عالق... يتدلى مارك على حبل ينزل من السقف ويحاكي اختلاجات جوني، يغمض عينيه ويدلي لسانه خارج فمه... ينتصب أير جوني وتوجهه ماري نحو فرجها بينما تتلوى أمامه برقصة بطن انسيابية تتأوه وتصرخ من اللذة... العرق ينساب على جسدها، شعرها يتدلى على وجهها بجدائل مبللة. «اقطعه يا مارك!»، تقول صارخة. يمد مارك يده التي تمسك مطواة وبحركة حادة يقطع الحبل، يمسك جوني الذي بدأ يسقط، يدعه يسقط على ظهره فيما ماري ما زالت تتلوى على أيره... تعض شفتي جوني وأنفه... تلعق عينيه محدثة أصواتاً... وتمزق كتلاً هائلة من خديه... الآن تلتهم أيره... يتوجه مارك إليها فترفع بصرها عن عضو جوني التناسلي شبه المأكول، وجهها يكسوه الدم، وعيناها تلمعان... يضع مارك كف قدمه على كتفها ويدفعها على ظهرها... يقفز فوقها ويلجها بجنون... يتدحرجان داخل القاعة من جانب إلى جانب، يتقلبان ويقفزان في الهواء مثل أسماك ضخمة معقوفة.

«دعني أشنقك يا مارك... دعني أشنقك... أرجوك يا مارك، دعني أشنقك!».

«بالطبع يا حبيبتي». يُنهضها على قدميها بوحشية ويضع يديها خلف ظهرها.

«لا يا مارك! لا!لا!لا!»، تصرخ، تخرأ وتبول في ذعر وهو

يجرها نحو المنصة. يتركها هناك مقيدة فوق كومة من الأوقية المطاطية المستعملة، يتوجه إلى الجانب الثاني ليهيّئ الحبل... يعود إليها حاملاً العروة على صينية فضية، يقوم بشدها على قدميها وربط العروة حول رقبتها. يغرز أيره فيها عميقاً وبرقصة فالس يقفز معها عن المنصة قفزة قوسية كبيرة في الهواء... «ويييييي»، يصرخ متحولاً إلى جوني. تنكسر رقبتها. تسيل موجة سائلة هائلة على جسدها.

يهبط جوني على الأرض، يقف متوازناً متأهباً مثل حيوان صغير. يركض في الغرفة. بصرخة اشتياق تُفجِّر الحائط الزجاجي يقفز في الهواء. يدور ويستمني، هابطاً آلاف الأمتار، ومنيّه يطفو بجانبه، يصرخ قبالة اللون الأزرق السماوي المتشظي، تتأجج الشمس الساطعة على جسده مثل البنزين، يواصل الهبوط بين أشجار البلوط والبرسيمون الضخمة، وسرو المستنقعات والكاجو، ويتحطم داخل نقش سائلي في ميدان مرصوف بالحجر الجيريّ. ينبت العشب والكرم بين الحجارة، وبراغي حديدية صدئة بسُمك متر تتغلغل الحجر الأبيض وتبقّعه بالصدأ ذي اللون البني الخرائيّ.

يرش جوني على ماري البنزين من إناء هنديّ سفيه لرماد الموتى مصنوع من حجر الجاد الكريم... يمسح جسده... يتعانقان، يتدحرجان على أرضية الغرفة تحت عدسة مكبّرة هائلة مثبتة في السقف... يتأججان بصرخة تفجّر الحائط الزجاجيّ، يتمرّغان في الفراغ، يتنايكان ويصرخان، ينفجران بالدم واللهب والسخام الأسود على صخور بنيّة تحت شمس صحراوية.

يركض جوني في القاعة، متألماً. صرخة أخرى تفجّر الحائط الزجاجيّ بينما يقف، تتمدد يداه وقدماه قبالة الشمس الطالعة، ودم يسيل من أيره... إنه إله مرمريّ أبيض يغوص عبر انفجارات صرعيّة

داخل المجذوب الذي يتمرّغ في الخراء والقمامة بجانب سور المدينة تحت شمس تلسع جلده المقشعرّ... هو فتى ينام لصق حائط المسجد، يقذف أحلاماً رطبة في فروج ورديّة وصدفٍ بحريّ أملس، يشعرُ بلذة وخز شعر العانة وهي تداعب أيره.

جون وماري يتواجدان في غرفة في فندق (في الخلفيّة موسيقى وداع). ريح ربيعيّة دافئة تهبّ على ستائر وردية باهتة من نوافذ مفتوحة... ضفادع تصدر نقيقاً في ساحات خالية تنبت فيها الذرة وأطفال يصيدون الأفاعي المخططة تحت ألواح حجريّة مكسّرة ملطّخة بالخراء ومخيّطة بخيوط سلك صدئة...

(نيون- أخضر كلوروفيليّ، بنفسجيّ، برتقاليّ- ينطفئ ويلوح).

بواسطة فرجاره يستلّ جوني سمكة كانديرو من فرج ماري... يضعها في زجاجة مسكال فتتحوّل الكانديرو إلى دودة قرمزيّة... يقوم بغسل فرجها بمادّة سائلة لتليين العظام، وأسنانها الفرجيّة تتدفّق إلى الخارج بخليط من الدّم والمثانة... الفرج يلمع، حيوي ولذيذ مثل أول العشب في الربيع... يلعق جوني فرج ماري، يفعلها بدايةً برويّة، وبانفعال متصاعد يفتح شفتَي الفرج ويلعق من الداخل شاعراً بوخز شعر العانة على لسانه المتورّم... يتمدد ذراعاها إلى الخلف، نهداها إلى الأعلى، تتمدد ماري على السرير مثبّتة بمسامير النيون... يعتليها جوني، أيره بأوبال متلألئة من مخفّف الاحتكاك تزيّن الشقّ المفتوح، ينزلق عبر شعر العانة ويلج فرجها عميقاً، يمتصّه لحم جائع. ينتفخ وجهه مضرجاً بالدّماء، تنفجر الأضواء الخضراء قبالة عينيه ويهوي في مشهدٍ خلاب بين فتيات يصرخن...

الشعر الرطب خلف خصيتيه يجف متحولاً إلى عشب في رياح

ربيعيّة دافئة. شقّ عميق في الغابة، كروم تتسلّق النوافذ. يتضخّم أير جوني، تخرج منه براعم سوداء. جذور درنة طويلة تزحف من فرج ماري، متحسسة طريقها باتجاه الأرض. يتفكك جسداهما في انفجار أخضر. ينهار الكوخ متحولاً إلى أطلال حجر مهشّم. تحوّل الفتى إلى تمثال حجري، تتفتح نبتة من أيره، تتباعد شفتاه محدثتين نصف ابتسامة لمدمن منته.

* * *

وقد خبأ بيغل الهيروين في بطاقة يانصيب.

جرعة واحدة فقط - غداً يبدأ العلاج.

الطريق طويلة. صحوات وكبوات كثيرة.

كانت رحلة طويلة في الطريق الحجرية إلى واحة أشجار النخيل حيث يتبرز الأولاد العرب في البئر ويرقصون الروك أند رول فوق رمال الشاطئ العضلية وهم يأكلون السجق الساخن ويبصقون أسناناً ذهبية.

بلا أسنان وضامرون من الجوع المتواصل، تبرز أضلاعهم لدرجة يمكنك أن تغسل ملابسك القذرة عليها، يأتون من جزيرة القيامة وينتقلون إلى الشاطئ على أقدام صلبة وهشّة مثل الدعائم، يهزون رؤوسهم في النوافذ الحمراء... يجبرهم النقص والعوز على بيع أجسادهم النحيفة.

ماتت أشجار النخيل نتيجة الالتهابات، البئر امتلأت بالبراز الجاف وفسيفساء من ألف جريدة: «روسيا تنفي... وزير الداخلية يعتبر الأمر في غاية الخطورة...».

انطلق الفخّ عند الساعة ١٢:٠٢. في الساعة ١٢:٣٠ خرج الطبيب لتناول المحار، وعاد في الساعة ٢:٠٠ ليربت ببشاشةٍ على

ظهر الرجل المشنوق. «ماذا؟ ألم تمت بعد؟ يبدو أن عليّ أن أزعجك. ها ها! لا يمكنني أن أسمح لك بأن تختنق بهذه الوتيرة - سوف أتلقى إنذاراً من الرئيس. من العار أن تخرج من هنا حياً على عربة الموتى. سوف تسقط خصيتاي من العار، وتتلمذت على يد أحمق متمرّس. واحد اثنين ثلاثة سحب».

تصمت الطائرة الشراعية مثل انتصاب، صمت كزجاج مدهون كسره لص شاب بيديّ سيدة عجوز وعيني مدمن منته. في انفجار صامت يخترق المنزل المهدم، يخطو فوق شظايا مدهونة بالزيت، ساعة حائط تدقّ بصوت عال في المطبخ، الهواء الساخن ينفش شعره، يتفجر رأسه بوابل من رصاص الصيد. ينقر الرجل العجوز ذخيرته ويلفّ بندقية الصيد... «يا رفاق، هذا ليس شيئاً كبيراً... السمك في البرميل... المال في البنك... فتى آخر، رصاصة واحدة في دماغه أسقطته في وضعية مقذعة... هيه! هل تسمعني حيثما أنت الآن؟».

«وأنا نفسي كنتُ شاباً يوماً ما، وسمعت صفارة المال السهل والنساء ومؤخرات الغلمان المشدودة، فلا تثرني لأني سأروي لك حكاية تجعل قضيبك ينتصب على طريق اللآلئ الوردية لفرج فتيّ أو على مؤخرة بنية لطيفة مغطاة بالمخاط تخفق بلحن على أيرك مثل مسجل... وعندما تبلغ لؤلؤة البروستات تتجمع ماسات حادة في خصيتي الفتى الذهبيتين، صلبتين مثل حجر الكلى، اعذرني لأنه كان عليّ أن أقتلك... الفرس العجوز لم تعد على حالها... لا يجب أن نخذل الجمهور... يجب إسقاطها في كل الوضعيات... مثل أسد عجوز يعاني من تجاويف في أسنانه ويحتاج إلى معجون أسنان غير عاديّ ليتمكن من مواصلة الافتراس. لا شكّ أنّ هذه الأسود

الطاعنة في السن التي تخرأ الدهون ستفترس الفتية في نهاية المطاف... ومن يمكنه أن يلقي اللوم عليهم... الفتية في مشفى سانت جيمس عذبون جداً وباردون جداً وبهيّون جداً... لا تتّهمني بالتخشّب الموتيّ... احترِم شيخوخة العجوز... قد تصبح أنت نفسك يوماً عجوزاً منيكاً. أوه... لا أظن ذلك... مثل المأبون الماجن حافي القدمين الذي امتلكه هاوسمان في «الفتى من شروبشاير» أنت أيضاً دخلت سريعاً في صومعة التغيير... لا يمكن قتل هؤلاء الفتية، لقد شنقوهم أكثر من مرة إلى أن أصبحوا ذوي مناعة مثل جرثومة السيلان المخصية جزئياً جراء البنسلين حيث تنتعش وتكتسب قوة هائلة وتكاثراً هندسياً... فاسمحوا لنا بالتصويت لمصلحة إعفاء تبرئة مقبول ووضع حد لهذا العرض البغيض الذي يجبي من أجله رطلاً من لحمه».

الشريف: «من أجل رطل سوف أرخي السروال حتى القدمين يا جماعة. اقتربوا. أمامكم عرض علمي جاد يتمحور حول مكانة ما هو لبّ الحياة. لهذا الكائن يوجد أير يبلغ طوله سبعة وعشرين سنتيمتراً، يا جماعة، ادخلوا وقيسوا بأنفسكم. رطل واحد فقط أو عملة ورقية شاذة من فئة ثلاثة دولارات حتى تروا فتى صغيراً ينتعظ ثلاث مرات على الأقل- لا أذلّ نفسي بالتعامل مع مخصيّ - ضدّ رغبته تماماً. وعندما تتصدّع رقبته بحدّة، فإن هذا الكائن سينتقل إلى حالة سكون مشدود ويقذف في كل الاتجاهات»..

يقف الفتى عند عتبة المشنقة وينقل وزنه من قدم إلى قدم: «أوف! كم من الأمور على المرء أن يخوض في هذا العمل! حتماً سيأتي عجوز مقرف ويلمس جسدك».

تنفتح المشنقة. يطلق الحبل لحناً مثل رياح تحدث صوتاً في

سلك، تتصدع رقبته بصوت طقطقة عال وواضح مثل آلة الغونغ الصينيّة.

يقطع الفتى الحبل بمطواة، يلاحق مثلياً يصرخ في منتصف الطريق. يغوص المثليّ بين مرايا ماكينات الألعاب وصناديق الفرجة يلعق ثقب مؤخرة زنجيّ يبتسم...

اختفاء تدريجي.

(ماري، جون ومارك، ينحنون للجمهور والحبال حول أعناقهم. ليسوا صغاراً في السن كما يبدون في الأفلام الإباحية... يبدون متعبين ومتبرّمين).

اجتماع المؤتمر الدولي لعلم النفس التكنولوجيّ

الدكتور «فينغرز» شايفر، خبير الجراحة الفصيّة، ينهض من مكانه ويصوّب نظرته الزرقاء الباردة نحو المشاركين في المؤتمر:

«يا سادة، يمكن للجهاز العصبي البشري أن ينحصر إلى عمود فقري مدمج ومختصر. يجب أن يتبع الدماغ والأمامي والوسطي والخلفي الغدنة وضرس العقل والزائدة الدودية... يا سادة إليكم منجزي العظيم: *الرجل الأمريكي المثاليّ المستكين*...».

نفخ في الأبواق: الرجل، عارياً، يرفعه حمّالان زنجيان يلقيان به على المنصّة بوحشيّة واحتقار. يتلوّى الرجل. يتحوّل لحمه إلى لزج شفاف ينجرف بعيداً في ضباب أخضر، كاشفاً عن حريش أسود وحشي. موجات من الرائحة الكريهة المجهولة تملأ الغرفة وتشق الرئتين وتقبض على المعدة...

يعصر شايفر يديه باكياً: «كلارينس! كيف أمكنكم أن تفعلوا هذا بي؟ ناكرو جميل! كلكم ناكرو جميل!!».

يتمتم المشاركون في المؤتمر في حالة من الفزع:

«أخشى أن شايفر تمادى بعض الشيء».

«ألم أحذركم...».

«ألمعي هذا الشايفر... ولكن...».

«الرجل سوف يفعل أي شيء من أجل الدعاية...».

«يا سادة، هذا الكائن، السليل غير الشرعي الذي لا يوصف لدماغ شايفر المنحرف، يجب ألا يرى النور... واجبنا تجاه الجنس البشري واضح...».

قال أحد الحمالين الزنجيين: «لقد فعلها ورأى النور».

«يجب القضاء على هذه الكائنات اللاأمريكية...» يقول طبيب من الجنوب سمين بوجه ضفدع كان يشرب الذرة من جرة مصنوعة من الصلصال. يخطو إلى الأمام ثملاً، ثم يتوقف، مرعوباً من حجم الحريش الهائل ومنظره المهدد...

«أحضر البنزين!» يقول صارخاً. «سنحرق ابن العاهرة كما يُحرق الزنوج المتكبرون!».

«أنا لا أجازف»، يقول الطبيب الشاب باتزان وهدوء شخص في نشوة ال.اس.دي٢٥. «أي مدّع عام يمتلك ذرة عقل يمكنه أن...».

اختفاء تدريجيّ.

«محكمة!».

النائب العام: «أيها السادة المحلفون، يدّعي هؤلاء 'السادة المتعلمون' أن المخلوق البشري البريء الذي قتلوه بعشوائية قد حوّل

نفسه فجأة إلى حريشة سوداء ضخمة وكان من 'واجبهم تجاه الجنس البشري' تدمير هذا الوحش قبل أن يتمكن، بأي وسيلة يمتلكها، من التكاثر...

«هل نأكل هذا الخراء؟ هل نصدق الأكاذيب المرتجلة كما لو كنا ثقب مؤخرة مجهولة ومزيّتة؟ أين هي هذه الحريشة العجيبة؟

«'لقد قضينا عليها'، يقولون بعجرفة... وأود أن أذكركم، أيها السادة المخنثون من هيئة المحلفين، أن هذا الوحش العظيم» - يشير إلى الطبيب شايفر- «ظهر، في عدة مناسبات سابقة، في هذه المحكمة بتهمة ارتكاب جريمة لا توصف هي اغتصاب الدماغ. بلغة بسيطة» - يضرب بيده على القضيب الحديدي لمقصورة المحلفين، ويرتفع صوته إلى صراخ - «بلغة بسيطة يا سادة، عملية جراحية فصيّة قسرية!».

ينقطع نفس هيئة المحلّفين... يموت أحدهم بنوبة قلبية... يسقط ثلاثة منهم على الأرض وهم يتلوّون في نُعاظ شهوانيّ.

يُشير النائب العام بإثارة: «أنه هو - وليس أيّ شخص آخر - هو الذي تسبب في تدهور مقاطعات كاملة في بلادنا الجميلة إلى مستوى بلاهة تجاوز كلّ الحدود.. هو الذي ملأ قاعات كبيرة صفاً صفاً، سريراً فوق سرير بمخلوقات عاجزة يجب تلبية كافّة احتياجاتها... 'العاطلون'، هكذا يصفهم بسخرية تشير إلى شرّ صرف... يا سادة! أقول لكم إنّ القتل الوحشيّ لهذا المخلوق لا يجب أن يمرّ بلا ردّ! هذه جريمة تهزّ الأبدان وتطالب بتحقيق العدالة مثل مثليّ جريح على الأقل!».

تندفع الحريشة بعصبيّة.

يصرخ أحد الحمّالين «إنّه جائع، ابن القحبة».

«سأغادر المكان».

موجة من الرعب الكهربائي تجتاح المشاركين في المؤتمر... يندفعون باتجاه المخارج وهم يصرخون ويخمشون...

السوق

بانوراما مدينة إنترزون. أنغام موسيقى افتتاح البارات... في بعض الأحيان عالية وواضحة ثم باهتة ومتقطعة مثل موسيقى تلوح في شارع عاصف... المدينة المركبة حيث تنتشر جميع الطاقات البشرية في سوق صامت واسع.

مآذن، نخيل، جبال، غابة... نهر بطيء تتحرك مياهه مع الأسماك الشريرة، متنزهات كبيرة تنمو فيها أعشاب برية حيث الفتية يتمددون فوق العشب ويتلهون بالألعاب المشفرة. ليس هناك بابٌ واحد مغلق في المدينة. يدخل أي شخص غرفتك في أي وقت. رئيس الشرطة هو صينيّ يسوك أسنانه ويستمع إلى تنديدات مجنون. بين الحين والآخر يُخرج السواك من فمه ويتأمل طرفه. يتمدّد محبّو موسيقى الجاز أصحاب الوجوه الملساء المسفوعة عند عتبات منازل ويفتلون رؤوسهم المنكمشة على سلاسل ذهبية، وجوههم فارغة فيها سكينة عمياء لكائنات بائسة.

خلفهم، عبر أبواب مفتوحة وطاولات ومقصورات وحانات ومطابخ وحمامات، أزواج متناكحون فوق صفوف أسِرَّة نحاسية، تقاطعات لألف أرجوحة، حشاشون يتأهبون لتلقّي حقنة، مدخنو الأفيون، مدخني الحشيش، وأناس يأكلون ويتحدثون ويستحمون في ضباب الدخان والبخار.

هناك طاولات القمار حيث الرهانات الغريبة العجيبة. من وقت لآخر يقفز لاعب صارخاً صرخة يائسة، بعد أن أعطى شبابه لرجل عجوز أو أصبح لاتا لخصمه. لكن هناك رهانات أهم شأناً من فقدان الشباب أو دور اللاتا، وهي رهانات لا يعرف ماهيتها سوى لاعبين في العالم.

كل المنازل في المدينة متّصلة بعضها ببعض. منازل ينمو العشب على أسطحها - مغوليون جبليون يومضون عند عتبات ينبعث منها الدّخان - منازل مصنوعة من البامبو وشجر السّاج، منازل مصنوعة من الطوب والآجر الأحمر، منازل باسيفكيّة وماوريّة، منازل في الشجر وعلى قوارب نهريّة، أكواخ خشبية بطول ثلاثين متراً تؤوي شعوباً كاملة، منازل من صناديق وحديد مموّج حيث يجلس رجال مسنّون يرتدون الأسمال ويسخنّون الطعام المعلّب، رفوف صدئة وعالية بفواصل خطيرة، أقيمَت على منصّات وأرجوحات تتحرّك في الفراغ.

بعثاتٌ تخرج إلى أماكن مجهولة بأهداف مجهولة. غرباء يصلون في عوّامات مصنوعة من صناديق شحن قديمة مربوطة بحبال تالفة، يخرجون من الغابة مترنّحين وعيونهم متورّمة ومقفلة من لسعات البعوض، من مسالك الجبل يهبطون بأقدام نازفة مشققة ويصلون إلى مشارف المدينة حيث تهبّ الريح المغبرة حيث يتواجد أشخاص يتغوّطون على طول الجدران الحمراء وحيث النسور تتعارك على رؤوس الأسماك. ينزلون إلى المتنزهات بمظلّاتٍ مرقّعة يرافقهم شرطيّ مخمور لينتظموا في مراحيض عموميّة رحيبة. دُوّنت المعلومات في بطاقات ممسمرَة نُستَخدم كورق تواليت.

روائح الطّهي من كلّ دول العالم معلّقة فوق المدينة، سديم

الأفيون، الحشيش، دخان الياغي الأحمر الرّاتينيّ، رائحة الغابة والمياه المالحة والنهر العفن والبراز اليابس والعرق والأعضاء التناسليّة.

مزامير جبليّة، موسيقى الجاز والبيبوب، آلات موسيقيّة مغوليّة أحاديّة الوتر، ساكسوفونات غجريّة، طبول أفريقيّة، آلات نفخ مزماريّة عربيّة...

وباء العنف أصاب المدينة، النسور تنقر جثثاً ملقاةً في الشوارع. مهقٌ يومضون في الشّمس. فتيةٌ يجلسون داخل الشّجر ويستمنون بكسلٍ. أشخاصٌ تنهشهم أمراض مجهولة يتأملون المارّة بعيون واعية وشريرة.

يتواجد المقهى في سوق المدينة. متابعو التجارة الأثريّة يحتالون بالإتروسكيّة، مدمنون لم يتم تصنيعهم بعد، تجار الهرمالين المقوّى، جانك خالص يقدّم السّكينة النباتيّة المتداعية، سوائل تستنهض اللاتا، أمصال تيتونيّة تطيل العمر، تجّار السّوق السّوداء للحرب العالميّة الثالثة مقدّرو مواهب تخاطريّة، مجبّرو عظام الرّوح، محققون في شكاوى لاعبي شطرنج متوسّطي المستوى وزورانيّين، منفذو أوامر تفتيش مكتوبة باختزاليّة فصاميّة تتّهم فيها المدّعى عليهم بالتّشويه الرّوحيّ الفظيع، بيروقراطيّون لأقسام شبحيّة، موظّفو دول بوليسيّة لم تتأسس بعد. قزم سحاقية طورت حملة بانغ-أتوت، انتعاظ الرئة الذي يخنق العدو القديم، بائعو صهاريج الأورغون وماكينات الاسترخاء والراحة، سماسرة ذكريات وأحلام رائعة - تم فحصها على الخلايا الحساسة لمصابي الهيروين - والتي يتاجر فيها مقابل مواد خام الرغبة، أطباء تخصصوا بالأمراض الراقدة في الغبار الأسود لمدن مدمّرة، سمّ متجمع في الدم الأبيض لدود بلا عيون

يتلمس الطريق نحو السّطح والمضيف الإنسانيّ، أمراض أرضية المحيط والغلاف الزمهريري، أمراض المختبر والحروب الذرية... مكان يلتقي فيه الماضي المجهول والمستقبل الناشئ في هزة صامتة لدقيقة... كينونات دوديّة تنتظر الواحد الأوحد...

(الفقرة التي تتناول المدينة والمقهى تم تأليفها تحت تأثير نشوة الياغي... الياغي، الأيوهاوسكا، البيلدا، والناتيما كلها أسماء هندية لبانيستيريا كابي، وهي كرمة تنمو سريعاً في منطقة الأمازون. انظروا النقاش حول الياغي في الملحق).

ملاحظات تم تدوينها تحت تأثير نشوة الياغي:

صور تسقط بطيئة وصامتة مثل الثلج... سكينة... كلّ الدفاعات تسقط... حريّة تامّة في الدخول والخروج... الخوف مستحيل... مادة زرقاء جميلة تتدفق إليّ... أرى وجهاً قديماً مبتسماً مثل قناع من جنوب المحيط الهادي... الوجه أزرق أرجواني مبقّع بالذهب...

وتأخذ الغرفة طابع ماخور شرقيّ بجدران زرقاء اللون ومصابيح باللون الأحمر. أشعر بنفسي تتحول إلى زنجيّة، اللون الأسود يغزو جسدي بسكينة... تشنجات الشهوة... تتغلّف ساقاي بمادة بولينيزية مدورة... كل شيء يرجف بحياة سريّة... الغرفة شرقيّة الطابع، زنجية، بولينزية، في مكان مألوف لا أستطيع تحديد موقعه... الياغي هو سفر حيزيّ/زمانيّ... يبدو أن الغرفة تهتزّ وتتحرّك. الدم وكينونات أعراق كثيرة: زنوج، بولينزيون، مغول جبليون، صحراويّون، شرقيّون متعدّدو اللغات، هنود، أعراق لم تُخصّب بعد ولم تولَد تمرّ عبر جسدك... هجرات، رحلات عجيبة

تقطع الصحارى والغابات والجبال (السكون والموت في وديان جبليّة مغلقة حيث تنمو فيها النباتات من الأعضاء التناسلية، تفقس القشريات الشاسعة داخلها وتكسرُ قشرة الجسم) يعبرون المحيط الهادئ في قارب كانو وصولاً إلى جزيرة القيامة...

(يخطر في ذهني أن يكون الغثيان الأولي للياغي حركة انتقال إلى حالة الياغي...).

كل رجال الطب يستخدمونه في ممارستهم للتنبؤ بالمستقبل، العثور على الأشياء المفقودة أو المسروقة، تشخيص وعلاج الأمراض، التعرّف على مرتكبي الجرائم.

لأن الهنود (سُترات المجانين للسيّد بوا -نكتة مهنيّة- لا شيء يثير جنون عالم الأنثروبولوجيا مثل «الإنسان البدائي») لا يعتبرون أيّ موت عرضياً، وهم لا يدركون اتجاهاتهم الذاتية المدمرة ويتعاملون معها بازدراء كـ «أبناء عمومتنا العراة» أو ربما يشعرون بأن هذه الاتجاهات تخضع للتلاعب في الرغبات الغريبة والعدائية أكثر من أي شيء، فأي حالة موت هي قتل. رجل الطب يبتلع الياغي وتنكشف له هوية القاتل. كما يمكن الافتراض، فإن مداولات رجل الطب خلال أحد هذه التحقيقات في حالة وفاة تثير مشاعر من عدم الارتياح بين الأعضاء.

«فلنأمل أن لا يفقد كيخبتوتل صوابه ويتّهمك بأنّك القاتل».

«تناول الكورير واهدأ. لقد سوّينا المسألة...».

«ولكن ماذا لو فقد عقله؟ الرجل لا يكف عن تعاطي الناتيما- لم يلامس الأرض منذ عشرين عاماً... أصغ إلى ما أقول يا رئيس، لا يمكنك أن تتعاطى مادة من هذا القبيل... فهي تطبخ العقول»...

«إذن، نعلن أنه غير مؤهّل...».

يخرج كيخبتوتل من الغابة ويقول إنّ الجماعة في إقليم تشبينو السفلي هم من فعلوها، الأمر الذي لن يفاجئ أحد... خذ الحكمة من فم العجوز بروجو يا عزيزي، إنّهم لا يحبون المفاجآت...

جنازة تمرّ من السوق. تابوت أسود - كتابة عربية مزيّنة بالفضّة عن جانبيه - يحمله أربعة أشخاص. موكب من المعزين ينشدون المزامير الجنائزيّة. كليم وجودي يمشيان بجانبهم يحملان تابوتاً، تطلع منه جثة خنزير يرتدي جلباباً. أنبوبة حشيش تخرج من فمه، أحد حوافره يحمل حزمة من صور بذيئة، عضادة معلّقة حول عنقه. مكتوب على التابوت: «هذا كان أنبل العرب». إنهم ينشدون بمحاكاة ساخرة نشيد الجنازة بلغة عربيّة زائفة.

يستطيع جودي أن يؤدّي خطاباً صينياً ملفّقاً سيقتلك ضحكاً - مثل دمية هستيرية تتكلّم من بطنِها. في الواقع، تسبب يوماً في أحداث شغب مناهضة للأجانب في شنغهاي أودت بحياة ٣٠٠٠ شخص.

«قفي يا غيرتي واحترمي المشرقيّين المحليّين».

«أعتقد أنّ على المرء أن يفعل ذلك».

«عزيزتي، أعمل على ابتكار رائع... فتى يختفي حالما يخرج ماؤك مخلفاً رائحة أوراق محترقة وأثر صوت لصافرات قطار يبتعد».

«هل مارست الجنس يوماً من دون جاذبيّة أرضيّة؟ يطير السائل المنويّ في الهواء مثل إكتوبلازما جميلة، والضيفات يُسَخّرنَ لحملٍ مقدّس أو حملٍ غير مباشر على الأقل... يذكّرني صديق قديم لي، أحد أكثر الرجال وسامة ممن عرفتهم في حياتي، ومن بين أكثرهم جنوناً حيث دمّرتهم الثروة. كان يتنقل في الحفلات مع مسدس ماء

ويقذف في النّساء العامِلات. وقد كسب بسهولة كل دعاوى الأبوة التي رُفعت ضدّه. لم يستخدم سائله المنويّ قطّ، هل تفهم؟».

اختفاء تدريجي...

«محكمة».

محام عن إي.جي: «أثبتت الفحوصات بشكل قاطع أنه لا صلة -إيه- لموكّلي -إيه- بما حدث مع المدعية الساحرة... لعلّها تنوي تقليد مريم العذراء والدخول في حمل مقدّس متهمةً موكّلي بالقوادة الشبحيّة... أتذكّر حالة في هولندا في القرن الخامس عشر حيث اتهمت امرأة شابة ساحراً مسناً ومحترماً باستحضار شبح كان -إيه- يمتلك معرفة جسدية للشابة المذكورة وقد تمخضت الظروف المؤسفة عن حمل. تم توجيه الاتهام للساحر بالبصبصة الجامحة والتورّط في الحدث قبل وأثناء وبعد وقوعه. ومع ذلك، حضرات السادة من هيئة المحلفين، لم نعد نثق -إيه- بمثل هذه الخرافات. وإنّ امرأة شابة تنسب حالتها -إيه- المثيرة إلى شبح، في عصرنا النورانيّ، ستوف تُعدّ رومانسية أو بلغة بسيطة كاذبة مقززة إيه إيه إيه...».

والآن ساعة النبيّ:

«مات ميلينس في السّهل الطيني. تفجير واحد مجاني للرئتين.

'أي أي، يا كابتن'، قال، وهو يضخّ عينيه على سطح السفينة، ومن سيضع السلاسل الليلة؟ أشاروا لنا أنه يجب اتخاذ الحيطة والحذر في هذه الليلة، فقد أخفقت الرياح الهابطة في الإتيان بأي شيء يستحق حمولة رصاصات صدئة. هذا الموسم ترتدي السنيوريتات وفق الموضة في الجحيم، وأنا تعبت اعتلاء أيور الغرباء الطويلة النابضة».

ثمّة حاجة إلى قطار الشّرق السريع للخروج من هنا من دون الاختباء، توجد في المنطقة ألغام كثيرة... كل يوم أحفر قليلاً ويستغرق وقتاً طويلاً...

جاك ملك الأشباح يهمس بكلام شبق في الأذن الوسطى...

شقّ طريقك نحو الحرية.

«*السيد المسيح*؟» يسخر القديس العجوز، الشاذّ البذيء، ويدهن كريم الترطيب من وعاء المرمر... «خنزير رخيص! هل تعتقد أنني سأذل نفسي باقتراف معجزة؟... هذا الشخص كان يجب أن يقف الكرنفال...

«'اقتربوا، أيتها الماركيزيّات، أيّها الخاضعون، وهاتوا معكم ماركيز الصّغير. يطيب الأمر للجميع، الصغار والكبار، البشر والوحوش، واجلبوا ماركس الصغير أيضاً. يناسب الصغار والكبار، والرجل والوحش... وحده فقط ابن الإنسان الشرعيّ سوف يعالج بيَد واحدة مرض السيلان عند الشاب - بلمسة وحسب، يا سادة - وبيده الأخرى سوف يصنّع الماريجوانا، بينما يمشي فوق الماء ومن مؤخرته يتدفّق النبيذ... حافظوا على بعد المسافة يا سادة، فقد تتعرضون للإشعاع من شحنة هذا الكائن'.

«متى تعرّفت إليه، يا عزيزتي؟... أذكر أننا كنا ننتحل شخصية- راقية- في سدوم، وهي مدينة دون المستوى... فظيعة. على كلّ، هذا المواطن، هذا المتجول المنيك القادم من ثقب مدينة ينعتني بالشاذّ المنيك أمام الجميع... قلت له: 'منذ آلف عام وأنا في صناعة الترفيه وبقيتُ نظيفاً على الدوام. عدا ذلك فأنا لا آكل الخراء من أي ابن قحبة ليس مختوناً'... في وقت لاحق، جاء إلى غرفة

تبديل الملابس وقدم اعتذاراً. . . تبين أنه طبيب شهير. وكان أيضاً من النوعيّة المحبوبة. . .

«*بوذا*؟ مدمن أيضيّ سيّئ السمعة. . . يصنّع لنفسه، هل تفهم؟ في الهند، حيث لا إحساس بالوقت، يصل المرء في كثير من الأحيان بتأخير شهر. . . 'الآن دعوني أرى، هل نحن في الموسم الثاني أم الثالث؟ لديّ لقاء في كتشبور بعد قليل'.

«وكلّ الحشاشين يجلسون مسترخين في وضعية اللوتس يبصقون على الأرض وينتظرون الرجل.

«يقول بوذا: 'ما لي وكلّ هذه الفوضى. والله سأصنّع مادتي بنفسي'.

«'يا رجل، لا يمكنك فعل ذلك. سوف يكشفون أمرك في ضريبة الدخل'.

«'لن يكشفوني. افهم، أنا أمتلك حيلة. من الآن أنا مقدّس'.

«'رائع يا رئيس، لقد أتقنت اللعبة'.

«الآن، ثمّة مواطنون يفقدون عقولهم عندما ينضمّون إلى البوذية الجديدة، وهؤلاء المحمومون لا يدرون كيف يداورونها. لا يمتلكون أسلوباً. . . إلى جانب ذلك، فإنّهم عرضة للقتل، مَن يريد شخصاً يلفّ حوله أفضل من الجميع؟ «هيه، جاك، هل تحاول أن تُفسد وقت الجمهور ؟. . .» إذاً يجب علينا أن نكون رائعين يا سادة. . . توجد هنا حالة من الأخذ والعطاء يا جماعة. نحن لا ندفع الأشياء إلى أرواحكم دفعاً، على عكس بعض الشخصيات الرخيصة التي لا اسم لها ولا مكان. نظّفوا المغارة للعمل. سوف أنفّذ عمليّة أيض للمخدرات وأبحر مع خطبة النار'.

«محمّد؟ هل تمزح؟ لقد كان من وَحي خيال الدائرة التجارية في

مكة المكرمة. رجل إعلام مصري سوف يتمم هذا الفصل بعد اعتزاله عمله.

«'سآخذ واحدة أخرى، يا غوس. ومن ثم، أقسم بالله، سأذهب إلى البيت وأستنير بسورة قرآنيّة... انتظر الطبعة الصباحية التي ستضرب السوق. سوف أفجّر «الصّور الموحّدة» وأفتحها على مصراعيها'.

«يرفع الساقي عينيه عن الريسينغ فورم: 'نعم. وسوف يكون عذابهم أليماً'.

«'أوه... نعم. إلى حدّ كبير. الآن يا غوس، سأحرّر لك شيكاً'.

«'أنت معروف كصاحب ورق الحوالات في مكة المكرمة. أنا لست جداراً، يا سيد محمد'.

«'اسمع يا غوس، لديّ اسمان أشتهر بهما، الأوّل محبّب. أنت تريد من الثاني؟ سوف أتلقّى الشريعة التي تتناول شأن السقاة الذين لا يديّنون المحتاجين منّا'.

«'وسيكون عذابهم أليما. لقد خسر العرب'. يقفز فوق البار. 'شطّبنا يا أحمد. خذ سُورك القرآنيّة وارحل. في الواقع، سوف أساعدك. ولا تعد'.

«'سوف أسوّي الأمر معك، يا مصاص الدماء يا كافر. سوف أسدّك وأجفّفك مثل ثقب مؤخّرة مدمن. أقسم بالله لأجفّفنّ شبه الجزيرة'.

«'لقد أصبحت قارّة...'.

«اخلط ما يقوله كونفوشيوس مع ليلى الحمراء والكلب الأشعث. لاو- تزي؟ حذفوه منذ زمن... ويكفي من هؤلاء

القديسين الوحيدين ونظرة المعاناة الفزعة كما لو كان شخص يأتيهم من دبر فيما هم يحاولون تجاهل الأمر. ولماذا يجب أن ندع بعضاً من كبار السن الرخيصين يخبروننا ماذا تكون الحكمة؟ 'منذ ثلاثة آلاف عام وأنا في صناعة الترفيه وبقيتُ نظيفاً على الدوام...'.

«أولاً، يتمّ حجر كل الحقائق مع القوادين الذكور وأولئك الذين يدنسون آلهة التجارة بلعب الكرة في الشوارع، ثم يخرج عجوز منيك أبيض الشعر مترنحاً ويمدّنا بغبائه الناض. ألن ننجح في التحرر من المجنون ذي الذقن الرمادي المختبئ في قمم الجبال في التبت، يجرّ نفسه من كوخ في منطقة الأمازون، يهجم عليك على حين غرّة؟ 'انتظرتك يا ولدي' ويصنع لنفسه صومعة من الذرة. 'الحياة مدرسة ويجب على كلّ تلميذ أن يتعلم درساً مختلفاً. والآن سأقوم بفتح مستودع مفرداتي...'.

«'أنا أهابه كثيراً'.

«'لا، لا شيء سيوقف المدّ'.

«'لا أستطيع إيقافه يا جماعة. انقذوا أنفسكم إن استطعتم'.

«'صدّقوني عندما أغادر الرجل الحكيم لا أشعر حتى بشيء. إنه يحوّل طاقتي الحية إلى هراءات ميّتة'.

«لقد حظيت بذلك بشكل استثنائيّ فلماذا لا أتدبّر نفسي مع الكلمة الحية؟ لا يمكن التعبير عن الرسالة مباشرة... ربما يمكن الإشارة إليها عبر فسيفساء من التراصفات مثل ملابس داخلية منسية في درج الفندق، فسيفساء يحدّده النفي والغياب..

«أظنّني سأطوي معدتي... قد أكون عجوزاً، لكنني ما زلت مشتهى».

(طيّ المعدة هو اسم لعملية جراحية لإزالة الدهون من المعدة

في الوقت نفسه يتم ثني جدار المعدة، وبالتالي خلق مشد للجسد يكون عرضة للانكسار، من كل مكان، وقذف أمعائك الفظيعة والمسنّة على الأرض... عارضات الأزياء النحيفات، هن الأكثر خطورة بالطبع. في الواقع، بعض العارضات اللواتي بالغن في الأمر يُطلق عليهن في المجال ذوات ال «ج.ل.و»- الجنس لليلة واحدة.

يصرح الطبيب النصاب قليل الكلام قائلاً: «السرير هو أخطر مكان للرجل مع عارضات الـ 'ج.ل.و')».

في غرفة في متحف أبيض يعج بأشعة الشمس، تماثيل عريّ وردية يبلغ طولها عشرين متراً. تمتمات مراهقين.

حاجز أمنيّ فضيّ... شقّ بعمق ألف قدم في أشعة الشمس المتلألئة. قطع خضراء من الملفوف والخس. عجوز منحرف يتلصص سراً فوق قناة الصرف الصحيّ على شبّان مسفوعين يحملون أداة القدّوم.

«يا عزيزي، أتساءل عما إذا كانوا يسمّدون بالفضلات البشرية. ربما يفعلون ذلك الآن».

يستلّ نظارات الأوبرا اللؤلؤية - فسيفساء أزتيكيّة في الشمس.

صفّ طويل من الفتيان اليونانيين يسيرون مع أطباق المرمر المليئة بالبراز، يفرغونها في بئر جيريّة.

تتحرّك حبيبات الغبار المتربة فوق الطوب الأحمر لبلازا دي توروس في فترة ما بعد الظهيرة.

مقصورات خشبية حول ينابيع ساخنة... أنقاض الجدران المدمرة في بستان من شجر الصفصاف. مليون فتى مستمنٍ استهلكوا المقاعد المستهلكة والملساء مثل معدن.

فتية يونانيون بيض كالرخام يمارسون الجنس بوضعيّة الكلب في رواق المعبد الذهبي العظيم. المستقلّ) عار ويقرع العود.

سار على طول السكّة بسترته الحمراء وقابل سامي، ابن حارس الرّصيف البحريّ، ومكسيكيّان.

قال: «هيه، يا نحيف، هل ترغب في نيكة؟».

«حسناً.. أجل».

على فرشة من القش المهترئ، سحبه المكسيكي على يديه وساقيه - فتى زنجيّ كان يرقص حولهما وهو يضرب على الطّبل. الشمس تنحدر من ثقب الحائط وتسلّط بقعة ورديّة اللون على أيره.

صحراء من اللون الورديّ تخجل في الأفق الأزرق الفاتح حيث أسلاك الحديد تنفجر في السماء الممزقة.

«كل شيء على ما يُرام». يصرخ اللّه من خلالك حمولة صدئة عمرها ثلاثة آلاف عام...

وابلٌ من الجماجم البلوريّة يفجّر الدفيئة إلى شظايا ضوء قمر شتائيّ...

خلّفت المرأة الأمريكية نفحة من السم وراءها في حفلة الحديقة الرّطبة في سانت لويس.

بركة مغطاة بالوحل الأخضر في حديقة فرنسية مدمرة. ضفادع ضخمة تعلو ببطء من الماء على منصة من الطين وتعزف على الكلافيكورد.

يدخل أحد الصّلبة إلى البار مندفعاً ويبدأ بتلميع حذاء القديس بأنفه الزيتيّ... القديس يركله في فمه. يصرخ، يدور ويخرأ على سروال القديس. ثم يركض إلى الشارع. ينظر القواد إليه نظرة مفكّرة...

ينادي القديس على المدير: «يا إلهي، يا آل، ما هذا المكان اللعين الذي تديره؟ سروالي الجديد من نوع جلد السمكة...».

«أنا آسف يا سيدي. لم أنتبه إليه».

(إن الصّلبة طبقة مرذولة في شبه الجزيرة العربية معروفون بدناءتهم. المقاهي الفاخرة مزوّدة بالصّلبة يلعقون مؤخرات الضيوف أثناء تناولهم الطعام - ثمة فتحات في مقاعد الجلوس والتي يتم توفيرها لهذا الغرض. المواطنون الذين يرغبون في الإذلال التام- واليوم صارت هذه النوعية رائجة، على أمل تعجيل المسألة - يطوّعون أنفسهم لجماع مثليّ غير فعّال مع معسكر كامل من الصّلبة... لا مثيل لذلك، يقولون لي... في الواقع، قد يصبح الصّلبة أثرياء ومتعجرفين وتزول دناءتهم الطبيعيّة. ما هو أصل المنبوذين؟ ربما يعود إلى طبقة أسسها كاهن ارتكب خطيئة. في الواقع، المنبوذون يؤدون وظيفة كهنوتية في تحمّل مسؤوليّة دناءة الإنسانيّة).

يتجوّل إي. جي في السوق مرتدياً برنساً أسود ويجثم نسر على كتفه. يتوقف عند طاولة يجلس إليها وكلاء.

«عليكم أن تسمعوا هذا. فتى من لوس أنجلوس يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً. قرر الأب أنه قد آن الأوان ليتذوق قطعة من المؤخرة. يتمدد الفتى على العشب ويقرأ كتب رسوم هزلية. يخرج الأب ويقول: 'يا بني، هاك عشرون دولاراً؛ أريد منك أن تذهب إلى عاهرة جيدة وتتذوق مؤخرتها'.

«ثمّ يتوجّهان إلى ماخور مخملي مترف، ويقول الأب: 'حسناً

لقد وصلنا. أنت من الآن وحدك. لذا دق الجرس وعندما تخرج المرأة ناولها العشرين دولاراً وأخبرها أنك ترغب في مؤخرة'.

«'تمام يا أبي'.

«'بعد مضي حوالي خمس عشرة دقيقة يخرج الصبي:

«'حسناً، يا بني، هل حصلت على مؤخرة؟'.

«'اهه، قلت للعاهرة التي فتحت لي الباب، إنني أريد أن أتذوق مؤخرة وناولتها العشرين. صعدنا إلى حجرتها، ثم تعرّت. فتحت نصلي وقصصت قطعة كبيرة من مؤخرتها، أحدثت فوضى فاضطررت إلى أن آخذ حذاءها وأضربها به على رأسها. في النهاية، نِكتُها فقط لإتمام الأمر'».

تبقى فقط العظام الضاحكة، اللحم على التلال ومن بعيد ريح الفجر وصافرة القطار. نحن لسنا غير مدركين للمشكلة، وحاجات جمهورنا لا تغيب عن أذهاننا حيث يقيمون، ومن يستطيع أن يكسر عقد احتكار تشابكياً مدته تسعة وتسعون عاماً؟

فصل آخر في مغامرات كليم سنايد، ثقب المؤخرة الخاص: «أدخل المكان، فأجد عاهرة تجلس إلى البار، وأقول بيني وبين نفسي: 'يا إلهي، إنها عاهرة من النوع الفاخر'. أعني أني أعرفها من قبل. لذلك لا أوليها أهمية في البداية، ثم أدرك أنها تضع ساقيها خلف رأسها وتدفعه إلى الأسفل لتغسل فرجها بأداة تخرج من أنفها على نحو لا يمكن إلا أن تلاحظ الأمر».

إيريس - صينيّة على زنجيّة - مدمنة على دي هيدرو أوكسي الهيروين - تحقن نفسها كل خمس عشرة دقيقة ولذلك تترك القطارات والإبر مغروزة في أنحاء جسدها الجاف. تصدأ الإبر في الجلد

الجاف الذي نما، هنا وهناك، بشكل كامل على المفاصل وكوّن دمامل ناعمة بنيّة ضاربة إلى الخضرة. على المنضدة أمامها ساماور الشاي وسلة كبيرة فيها عشرون رطلاً من السكّر البني. لم يرها أحد قط تأكل شيئاً آخر. إنها تسمع ما يقولون لها أو تتحدّث إلى نفسها لحظات قبل أن تحقن نفسها. ثم تصرّح تصريحاً واقعياً وباهِتاً يتعلّق بجسدها.

«ثقب مؤخرتي مسدود».

«فرجي فيه سوائل خضراء غامقة».

إيريس هي مشروع من مشاريع بينوي. «يمكن للجسم البشري أن يعيش من السكّر وحده، اللعنة... أنا على دراية بأن بعض زملائي المتعلمين، الذين يحاولون التقليل من شأن عملي العبقريّ، يدعون أنني أضع الفيتامينات والبروتينات في سكّر ايريس سراً... أدعو هؤلاء الحمقى المجهولون بالزحف من مبولاتهم وفحص سكر إيريس وشايها. ايريس هي فرج أمريكيّ صحيّ. أنكر بشكل قاطع أنها تغذي نفسها من السائل المنوي. ودعوني أغتنم هذه الفرصة لأقول إنني عالِم طيّب السمعة، ولستُ مشعوذاً أو مجنوناً أو أتظاهر بالمعجزات... لم أدَّعِ على الإطلاق أن إيريس يمكن أن تعيش بالتمثيل الضوئي فقط. لم أقل إنها تستطيع أن تستنشق ثاني أكسيد الكربون وتطلق الأكسجين - أعترف بأنني قد أغريتُ بإجراء تجربة في هذا الشأن لكنّ أخلاقيات مهنتي الطبية قيّدتني... باختصار، فإن الافتراءات الخسيسة من قبل خصومي الزاحفين حتماً ستعود إليهم مثل عودة الواشي إلى نفسه».

رجال ونساء
عاديّون

مأدبة غداء للحزب الوطني في شرفة تطل على السوق. سيجار، ويسكي، تجشؤات مهذبة... يذرع زعيم الحزب المكان جيئةً وذهاباً بجلابية وهو يدخن السيجار ويشرب الويسكي. ينتعل حذاء إنجليزياً باهظ الثمن، جوارب فاقعة، أربطة للجوارب، سيقان عضلية مشعرة - المظهر الكلي يعطي انطباعاً أنه رجل عصابة ناجح بلباس مثليّ.

م.ا (المُشير استعراضياً): «انظروا إلى هناك. ماذا ترون؟».

القائمقام: «هاه؟ لماذا، أرى السوق».

م.ا: «لا، لا يمكنك أن ترى الرجال والنساء. الرجال والنساء العاديون يمارسون مهامهم اليومية العادية. يديرون حياة عاديّة. هذا ما نحتاج إليه...».

فتى في الشارع يتسلق على درابزين الشرفة.

القائمقام: «لا، نحن لا نريد شراء أي واقٍ ذكريّ مستخدم! افصِل!».

م.ا: «انتظر!... تعال، يا صغيري. اجلس... خذ سيجاراً. تناول مشروباً». يحوم حول الفتى مثل قطّ مُثار.

م.ا: «ما رأيك في الفرنسيين؟».

«هاه؟».

م.ا: «الفرنسيون. الأوغاد المستعمرون الذين يمُصونكم حتى النخاع».

«انظر يا سيد. مصّي حتّى النخاع يكلّف مئتي فرنك. لم تتغير

أسعاري منذ عام الطاعون عندما مات جميع السياح، حتى الاسكندنافيون».

م.ا: «هل ترى؟ هذا فتى شوارع صرف».

القائمقام: «بالتأكيد لا يفوتك يا رئيس».

«م.ي. لا يفوته شيء».

م.ا: «الآن انظر، يا صغيري، دعنا نصوغ الأمر بهذه الطريقة: لقد حرمك الفرنسيون من حقك الطبيعيّ».

«هل تقصد التمويل الوديّ؟... لديهم خصيّ مصريّ بلا أسنان يقوم بالمهمّة. يعتقدون أنّه أقلّ مقاومةً، دائماً ينزل سرواله ليريك حالته: 'انظري، أنا مجرد خصيّ عجوز يحاول تمويل إدمانه. سيدتي، وددتُ أن أعطيك تمديداً بشأن تلك الكلية الاصطناعية، لكن لدي عمل أقوم به... افصلوها يا شباب'.

يكشف عن لثته في زمجرة واهية... 'ليس عبثاً أدعى بنيلي حاجزة الرّهن'.

«إذاً، فصلوا أمّي، السيدة العجوز القديسة، وقد تضخمت واسودّت وفاحت رائحة نتنة في السوق من بولها واشتكى الجيران للجنة الصحة وقال أبي: 'بإذن اللّه. لن تتبول ما أكسبه في البالوعة'.

«المرضى يثيرون اشمئزازي. عندما يبدأ مواطن بإخباري عن سرطان البروستات أو عن حاجزه المتعفّن الذي يفرز القيح، أقول له: 'هل تظن أنه يعنيني أن أسمع عن أمراضك؟ إطلاقاً'».

م.ا: «حسناً. افصل. أنت تكره الفرنسيين، أليس كذلك؟».

«يا سيّدي، أنا أكره الجميع. يقول الدكتور بينوي الأمر له علاقة بالأيض، إنه في دمي... إن العرب والأمريكيين يمتازون به بشكل خاص... الدكتور بينوي يقوم بإعداد هذا المصل».

م.ا: «بينوي هو وكيل غربي ومتسلل».

القائمقام ١: «يهودي فرنسي جامح...».

القائمقام ٢: «يهودي شيوعي زنجي بخصيتي خنزير ومؤخرة سوداء».

م.ا: «اسكت، أيها الأحمق!».

القائمقام ٢: «عذراً يا رئيس. للتو عدت من أداء مهمة في ثقب الحمام».

م.ا: «لا تقترب من بينوي» (جانباً: «أتساءل ما إذا كانوا قد اقتنعوا. لا تعرف أبداً إلى أي مدى هم سذج...»). «سراً، إنه ساحر أسود».

القائمقام ١: «يقيم جنيّ في منزله».

فتى الشوارع: «اااه... حسناً، لدي موعد مع زبون أمريكي رفيع المستوى. أنيق حقيقي».

م.ا: «ألا تستحي من بيع مؤخرتك لقضيب غريب غير مؤمن؟».

فتى الشوارع: «حسناً، إنها وجهة نظر. كيّف نفسك».

م.ا: «وأنت كذلك».

يخرج الفتى.

م.ا: «أقول لكم إنهم حالة ميؤوس منها. لا أمل منهم».

القائممقام ١: «ما هذا المصل؟».

م.ا: «لا أعرف، ولكنه يبدو خطيراً. من الأفضل أن نثبت ماسح اتجاهات تخاطريّ على بينوي. لا يمكن الوثوق بالرجل. قد يفعل أي شيء تقريباً... أن يحوّل مجزرة إلى حفلة جنس جماعي...».

القائمقام ١ : «أو إلى مزحة».

القائمقام: «بالضبط. متطفل على الفن... بلا مبادئ...».

ربة منزل أمريكيّة (تفتح علبة مسحوق غسيل): «لماذا لا يكون للعلبة عين كهربائية فتنفتح عندما تراني وتقدم نفسها للأوتوماتيكيّ البارع فيضعها في الماء... منذ يوم الخميس فقد الأوتوماتيكيّ السيطرة، وضع يديه على جسدي ولم أحسب لهذا الأمر في تركيبه... وقد بدأت وِحدة تصريف القمامة بإلقاء أغراض عليّ والخلاط القذر يحاول أن يندس تحت ثوبي... أصبت بزكام فظيع، وأصيبت أمعائي بالإمساك... سوف أدخل ذلك في تركيبة الأتوتوماتيكيّ البارع كي يعدّ لي حقنة ممتازة».

رجل مبيعات: (دمج بين حيوان لاتا عدواني ومرسل جبان): «أذكر أنني كنت أسافر مع ك.ي، رجل الأفكار الأكثر إثارة في صناعة الأجهزة.

«'فكر بالأمر!' يقول لي. 'فرازة كريما في مطبخك!'.

«'ك.ي.، مجرّد التفكير في ذلك يدوّخني'.

«'قد يحدث الأمر بعد خمسة، ربما عشرة، أو عشرين عاماً... لكنّه آتٍ'.

«'سأنتظر يا ك.ي. ولا يهم كم من الوقت سأنتظر. عندما تُقرأ الأرقام الأولى بصوت عال في الأعلى سأكون هناك'.

«كان ك.ي. هو من ابتكر طقم الأخطبوط لمراكز التدليك ومحلات الحلاقة والحمامات التركية، والتي يمكن للزبون من

خلالها تلقّي حقنة ممتازة، وتدليكاً غير أخلاقي، وغسل شعر مع قص أظافر وإزالة البثور السوداء. يمكن للأطباء المنشغلين استخدام طقم قام بابتكاره ويدعى الطبيب-العجيب، والذي يمكنه أن ينتزع الزائدة الدوديّة ويقلع ضرس العقل ويقصّ البواسير ويختن. عملياً، ك.ي. هو وكيل مبيعات ذريّ إذا نفدت من عنده مجموعات الأخطبوط، فإنه قد يبيع طقم الطبيب-العجيب لمحل الحلاقة فيجد مواطن ما نفسه فجأة مقصوص البواسير...

«'يا يسوع، يا هوميروس، أي مكان لعين تدير هنا؟ للتو ولجَت فيّ مجموعة كاملة'.

«'عذراً يا سَي، أردت فقط أن أعطيك الحقنة مجاناً بمناسبة عيد الشكر.. يبدو أن ك.ي. باعني الطقم الخطأ مرة أخرى...'».

عاهر: «يا إلهي.. كم على المرء أن يجرّب في هذه التجارة! لن تصدّقوا المقترحات التي أتلقاها... إنهم يريدون اللعب باللاتا، يريدون التمازج مع البروتوبلازما خاصّتي، يريدون الاستنساخ، يريدون مصّ أورغوناتي، يريدون الاستيلاء على تجاربي السابقة وإبقائي مع ذكريات قديمة تثير اشمئزازي...

«ألج مواطناً وأقول في نفسي: 'أخيراً هناك فرد سويّ'، لكنّه يبلغ الذروة ويتحوّل إلى سلطعون مروع... قلت له: 'جاك، أنا لا أطيق هذه الحركات... احتفظ بها لغيري'. هناك أشخاص دون المستوى. عجوز فظيع آخر يجلس هناك ويتواصل تخاطرياً ويقذف في سرواله. شيء مقرف!».

يتراجع الفتية المتسكعون في حالة من الفوضى المطلقة إلى حافة الشبكة السوفيتية حيث يشنق القوزاق الموالين وفي الخلفية أنغام

نحيب هائجة، ويسير الفتية في الجادة الخامسة ليقابلهم «جيمي نزهة» الذي يمتلك مفاتيح المملكة في جيبه من دون أي قيود. . .

لم أنت شاحب أيها اللوطي الحلو؟ رائحة علقات ميتة في علبة صدئة تعلق في الجرح المفتوح، وتمتص الجسم والدم وعظام اليسووووع، وتتركه مشلولاً من الخصر إلى الأسفل.

يا فتى، أحضِر نماذجك إلى الوالد الثري الذي خضع للامتحان قبل ثلاث سنوات، ويعرف كل الإجابات حول نهائيّات كأس العالَم محدّدة النتيجة مسبقاً.

يتتبع مهرّبو الخدّج بقرة في مخاضها. يعلن المزارع عن حمله التعاطفي، يتدحرج في البراز صارخاً. يتصارع الطبيب البيطري مع هيكل عظمي لبقرة. يطلق المهربون النار بعضهم على بعض، ويتفادون الجرارات وصوامع الغلال ومخازن البذور ومخازن التّبن ومذاود الحظيرة الحمراء الشاسعة. يولد العجل. قوات الموت تذوب في الصباح. يركع فتى المزرعة في وقار - حلقه ينبض في الشمس المشرقة.

يجلس المدمنون على درج المحكمة، في انتظار الرجل. العنصريون ذوو الأعناق الحمراء بقبعات رعاة البقر السوداء وسراويل الجينز الباهتة، يربطون زنجياً إلى عمود كهرباء حديدي قديم ويصبّون فوقه البنزين الحارق. . . المدمنون يركضون إلى هناك ويشمون دخان اللحم المحترق عميقاً إلى رئاتهم. . . وقد شعروا بالراحة بالفعل. . .

موظف المقاطعة: «كنت جالساً قبالة متجر جِد في كانتليك وقضيبي منتصب مثل جذع الصنوبر تحت سروال الجينز وينبض في

الشمس. . . ثم، يمر الدوك سكرانتون العجوز، لا مثيل له في الوادي. يعاني من تضخّم البواسير وكلّما أراد أن يلجوا فيه كان ينقل ثقب مؤخرته إلى طرف ما يقارب متراً من الأمعاء. . . إذا كان يجلس في مكتبه وشعر بالرغبة، فإنه يُلقي قطعة من الأمعاء من مكتبه لتصل إلى عاصمة روي وهي تتحسس باحثةً عن قضيب مثل دودة عمياء. . . يرى الدوق سكرانتون العجوز قضيبي مثل كلب صيد متيقظ ويقول لي: 'لوكاس، أستطيع أن أقيس نبضك من هنا'».

يحارب براوبك وسيوارد الشاب خصاة الخنازير في الحظائر والأقفاص وأوجار الكلاب النابحة. الخيول الصاهلة تكشف عن أسنان كبيرة صفراء، البقر يخور، الكلاب تعوي، القطط المتزاوجة تصرخ مثل الأطفال، حظيرة من الخنازير الضخمة، شعرها منتصب، تطلق هتاف ضرطة كبيرة. سقط براوبك المُقَلقَل تحت سيف سيوارد الشاب، وهو عبارة عن حفنة من أمعاء زرقاء تنبعث من جرح طويل. يقطع سيوارد قضيب براوبك ويمسك به وهو ينبض في الشروق الوردي والمدخن.

يصرخ براوبك. . . عجلات مترو الأنفاق تبصق الأوزون. . .

«تراجعوا إلى الخلف يا سادة. . . إلى الخلف».

«يقولون إن شخصاً ما دفعه».

«كان يسير مترنحاً، كم لو أنه لم يكن يرى جيداً».

«أعتقد أنه شرب كثيرا».

انزلقت ماري الحاضنة السحاقية على أرضية الحانة على فوطة صحية ملطخة بالدم. . . لوطيّ يزن مئة وخمسين كيلوغراماً يسحقها حتى الموت وهو يصهل بشكل مرضيّ.

يغني بطريقة مرعبة:

إنّه يدوس على محصول عناقيد الغضب،
وقد سحب سيفه الرهيب، وأطلق برقاً ورعداً.

يسحب سيفاً خشبياً مذهّباً ويقص الهواء. يطير مخصره وينغرز مع الصفير في لوح الأسهم.

يلتقي سيف مصارع الثيران العجوز مع العظام ويتسرب مع الصفير إلى قلب إسبونتينو، مثبّتاً بسالته الناقصة في المنصة.

«يسافر هذا اللوطيّ الأنيق من كانتليك في تكساس، إلى نيويورك، وهو اللوطيّ الأكثر أناقةً من بينهم جميعاً. تلتقطه نساء عجائز من النّوع الذي يتغذّى على اللوطيّين صغار السّن، يفترسن العجائز الواهيات والبطيئات بدلاً من الجري وراء فريسة أخرى. نمرات مسنّات أكلهنّ العثّ يتحوّلن إلى آكلات لوطيّين... لذا فإن هذا المواطن، كونه لوطياً متطفلاً على الفنّ وماكراً، يبدأ في صنع المجوهرات. كلّ عجوز ثريّة في نيويورك الكبرى ترغب في أن يُعدّ من أجلها طقماً من المجوهرات، وهو يكسب المال، يرتاد «٢١»، «إل موروكو»، «نادي ستورك»، لكنّه لا يمتلك وقتاً لممارسة الجنس، ويهتمّ بسمعته طوال الوقت.

يبدأ بالمراهنات على سباقات الخيل، وهو أمر من المفترض أن يكون رجولياً، وحده اللّه يعلم السبب، ويعتقد أنه إذا حضر السباقات فإنّ ذلك سيشكّل دعماً له. لا يوجد كثر من اللوطيّين الذين يراهنون على سباقات الخيل، ومن يفعلون ذلك يخسرون أكثر من غيرهم، هم مقامرون فاشلون يغرقون في سلسلة من الخسارات، ويأخذون

الحيطة والحذر عندما يفوزون... هذا هو نمط حياتهم... الآن كل طفل يعرف أن هناك قانوناً واحداً للمقامرة:

الفوز والخسارة يأتيان في سلاسل متتابعة بغير انقطاع. عندما تكسب تغامر للنهاية وعندما تخسر تنكمش (لقد عرفت مرة لوطياً وضع يده على الخزينة - لكنه لم يصرف الألف برمّتها على الفوز في نفس اللحظة. إمّا فوز أو خسارة... لا، بل صرف صاحبنا دولاراً في كلّ مرّة..).

«لذلك فإنّه يخسر ويخسر ويخسر أكثر. ذات يوم، كان على وشك أن يضع مجوهرة عندما خطر في باله الأمر البديهيّ... 'بالطبع، سأبدلها لاحقاً'. الكلمات الأخيرة الشهيرة. في ذلك الشتاء، تمّ رهن ما كان مخصصاً للمجتمع الراقي من الماس والزمرد واللؤلؤ والياقوت المرصع بالنجوم واستبدالها بنسخ مثليّة مطابقة...

«إذاً، ليلة افتتاح الميتروبوليتان، تظهر ساحرة عجوز كانت تظنّ أنها تتألّق في تاجها الماسيّ. تقترب قحبة عجوز أخرى وتقول لها: 'ما أذكاكِ... تبقين الأشياء الحقيقيّة في المنزل... أقصد أنّ التحرّش بالقدر، مثلنا، أمر جنونيّ'.

«'أنت مخطئة يا عزيزتي. إنّه حقيقيّ'.

«'ولكن يا حبيبتي، هو ليس... أعني أسألي صائغك... حسناً اسألي أي شخص وحسب. هاااااااا'.

«(لوسي برادشينكل انظري إلى حجرك الزمرّد). كل هؤلاء الساحرات العجائز يتفحّصن مجوهراتهنّ مثل مواطن اكتشف أنّه مصاب بالجذام.

«'ياقوتتي حمراء مثل دم الدجاج!'.

«'أحجاري الكريمة السّوداء!' القحبة العجوز تزوجت مرات عديدة بآسيويين وإسبانيين ولا تعرف لهجتها من مؤخرتها...

«'ياقوتتي المرصّعة بالنجوم! الأمر فظيع'، تصرخ عاهرة رفيعة المستوى.

«'أقصد أنّ هذه الأحجار الكريمة كلّها من متجر وولوورث...'.

«'هناك شيء واحد يجب القيام به. سأقوم بالاتصال بالشرطة'، تقول إحدى العجائز الصريحات المستقلات، وتذرع الغرفة بصوت كعبها المنخفض وتتصل بالشرطة.

«هكذا، يُسجن اللوطي لمدة عامين؛ وهناك يلتقي بعاهر رخيص ما، ويشتعل الحب بينهما أو على الأقل نسخة مطابقة منه تقنع الأطراف بالأمر. كما شاءت الاستمراريّة يُسرّح الاثنان من السّجن في نفس الوقت تقريباً، ويقيمان في لوور إيست سايد في نيويورك... يطبخان في الشقة ويعملان في وظائف متواضعة وقانونيّة... لأوّل مرة يعرف براد وجيم معنى السعادة.

«تتدخل قوى الشر... لوسي برادشينكل تحضر لتقول إنّها صفحت عن كلّ شيء. إنها تثق في براد وتريد أن تدبّر له استوديو. بالطبع سيضطر إلى الانتقال إلى حي راقٍ... 'المكان فظيع، يا عزيزي، وصديقك...' هناك عصابة لصوص تريد جيم ليقود السيّارة. هذه خطوة تعزيزيّة له، هل تفهم؟ العرض من مواطن لا يعرفه جيم تماماً.

«هل سيعود جيم إلى الجريمة؟ هل سيخضع براد لمداهنات مصاصة دماء عجوز، لفكّي المفترس؟... وغني عن القول أن قوى الشر تُهزَم وتخرج وهي تجأر وتغمغم مهدّدةً.

«'الرئيس لن يعجبه هذا'».

«'لا أعرف لماذا أهدر وقتي معك، أيها الشاذّ الصغير الفظ الوضيع'».

«يقف الاثنان عند نافذة الشقة، يلفّ الواحد منهم الآخر بذراعيه، وينظران إلى جسر بروكلين. الرياح الربيعية الدافئة تنفش عقيصات شعر جيم الأسود وشعر براد الحريري الناعم.

«'حسناً يا براد، ماذا لدينا للعشاء؟'.

«'اذهب إلى الغرفة الأخرى وانتظر'. يدفع جيم من المطبخ بمرح، ويرتدي المئزر.

«العشاء سيكون فرج لوسي برادشينكل مقلياً بشكل خفيف في فوط صحيّة. يأكل الاثنان في سعادة فيما ينظر الواحد في عيني الآخر. الدم يسيل على ذقنيهما».

فجرٌ أزرق كاللهب يعبر المدينة. تخلو الفناءات الخلفية من المثليين وتلفظ حفر الرماد الموتى المقَلنسين...

أغنية: «هل يمكنك أن تريني الطريق إلى تيبيراري، يا سيدتي؟».

فوق التلال وبعيداً لبلو غراس...

تتدحرج جمجمة تصرخ عند الدرج الخلفي وتقضم أير زوج خطاء يستغل آلام الأذنين عند زوجته ليفعل ما هو غير مريح. البحار الشاب قليل الخبرة يتوشّح بعاصفة جنوبيّة، ويضرب زوجته حتى الموت في الحمام...

بينوي: «لا تأخذ الأمر على محمل الجد يا فتى... الجميع يرتكب حماقات صغيرة».

شايفر: «أقول لك لا يفارقني الشعور... بأن ثمة في الأمر شرّاً».

بينوي: «هراء، يا صغيري... نحن علماء... علماء صرف. بحث نزيه، وملعونٌ من يصرخ: ' توقفوا هذا كثير!' مثل هؤلاء الناس ليسوا إلا مُفسدين للفرح».

شايفر: «نعم، نعم، بالطبع... وعلى أية حال... لا أستطيع التخلص من تلك الرائحة الكريهة في رئتيّ».

بينوي (بعصبية): «لا أحد منا يستطيع... لم أشم أي شيء مثلها في حياتي. أين كنت؟ أوه نعم، ماذا لو حقنّا الكورير في شخص يعاني من نوبة هوس حادّة وزدنا رئةً حديديّة؟ قد ينهار الشخص على الفور، غير قادر على تفريغ التوترات في النشاط الحركي، مثل جرذ الغابات. سبب مشوّق للوفاة، ماذا؟».

شايفر لا يصغي. يقول باندفاع: «تعرف، أعتقد أني سأعود إلى العمليات الجراحية قديمة الطراز. جسم الإنسان ضعيف بشكل فاضح. والفم والشرج أيضاً معرّضان للخلل، فلماذا لا يكون هناك ثقب متعدد الغايات للإدخال والإخراج؟ يمكن أن نغلق الأنف والفم، نملأ المعدة، نُحدث ثقباً هوائياً مباشرة إلى الرئتين حيث كان يجب أن تكون في المقام الأول...».

بينوي: لُماذا لا توجد كتلة واحدة متعددة الغايات؟ هل حدّثتكَ ذاتَ مرة عن الرجل الذي علّم مؤخّرته الكلام؟ كان بطنه يعلو ويهبط، هل تفهم، ويضرط الكلمات. لم أسمع مثل هذا الأمر في حياتي.

«كان كلام مؤخرته مثل تردد الأحشاء. يصيبك في الأسفل كما لو كنتَ مجبراً على التغوّط. تعرف كيف تدفع الأمعاء الغليظة فتشعر بالبرودة في الداخل، فتدرك أنّ كل ما عليك القياك به هو الإسهال؟ لقد أصابك هذا الكلام في الأسفل بصوت فوّار، سميك وراكد، صوت أمكنك أن تشمّه.

«'لقد عمل هذا الرجل في كرنفال هل تفهم؟ وقد اعتُبر مُقامِقاً مجدداً. وكان أيضا مضحكاً، في البداية. أطلق على عرضه اسم «الثقب الأكبر»، وكان عرضاً مضحكاً بشكل هستيريّ، صدّقني. لقد نسيت معظمه ولكنه كان عرضاً ذكياً. كقوله مثلا: 'هيه، أما زلتَ هناك في الأسفل أيها الشيء الطاعن في السنّ؟'.

«'لا! كان علي أن أقضيَ حاجتي'.

«بعد مدّة من الزّمن، بدأت المؤخّرة تتكلّم من تلقاء نفسها. كان الرجل يحضر العرض من دون تجهيزات وكانت مؤخرته ترتجل الكلام وفي كلّ مرّة تَسخر منه.

«ثم نمّت المؤخرة نوعاً من السنانير الصغيرة المعقوفة التي تشبه الأسنان وبدأت في تناول الطعام. في بادئ الأمر، ظن الرجل الأمر لطيفاً وأنشأ حوله عرضاً، لكن المؤخرة مزّقت سرواله وبدأت تتكلّم في الشارع، صارخةً إنها تريد مساواة في الحقوق. كما أنها صارَت تخمر، وتصرخ في نوبات من البكاء إن أحداً لا يحبّها وإنها تريد أن يتم تقبيلها تماماً مثل أي فم آخر. أخيراً، تحدثت المؤخرة بلا انقطاع ليلاً ونهاراً. أمكنك سماع الرجل يصرخ فيها أن تخرس، يضربها بقبضته، يغرز الشموع فيها، لكن من دون جدوى. قالت له المؤخرة: 'أنت من سيخرس في النهاية. ليس أنا. لأننا لا نحتاج إليك هنا أكثر. يمكنني أن أتكلّم وآكل وأخرأ'.

«بعد ذلك بدأ يستيقظ في الصباح وحول فمه هلام شفاف مثل ذيل الشرغوف. هذا الهلام هو ما يسمّيه العلماء بالأنسجة غير المتمايزة، والتي يمكن أن تنمو في أي مكان في جسم الإنسان. كان يزيلها من فمه، والقطع تلتصق بيديه مثل هلام البترول المشتعل وتنمو هناك، تنمو في أي مكان عليه تسقط عليه، وهكذا أُغلِق فمه في النهاية، وكان رأسه سيُستأصل بالكامل عفوياً - (هل تعلم أن هناك حالة طبية تحدث في أجزاء من أفريقيا وفقط بين الزنوج حيث يقطع إصبع القدم الصغير بشكل عفوي؟) - باستثناء العيون، هل تفهم. شيء واحد لم يكن بإمكان الأحمق أن يفعله - أن يرى. كان بحاجة إلى عينين. لكن الاتصالات العصبية حُجبت ورشحت وضمرت حتى لا يتمكن الدماغ من إعطاء الأوامر. كان محاصراً في الجمجمة مفصولاً. أمكنك لبعض الوقت أن ترى المعاناة الصامتة والعاجزة للدماغ، أخيراً حتى الدماغ يبدو أنه مات، لأن العينين انطفأتا، ولم يكن هناك إحساس فيهما أكثر من عين سلطعون في طرف المجسّات.

«يمرّ الجنس عبر الرقابة في الأغنية الشعبية وفي الأفلام من الدرجة الثانية، ينحشر بين الدوائر الرسمية، لأنّ هناكَ مسافة بينها دائماً، يُسلّم العفونة الأمريكية الأساسية، ينفجر في كل اتجاه مثل دمامل متفجرة تسيل منها أنسجة غير متمايزة تتحول إلى أشكال الحياة سرطانية متفسخة، وتتخذ شكل صور عشوائية شنيعة. بعضها يبدو مثل أنسجة قضيب منتصبة، أما الأخرى فتشبه الأحشاء، بالكاد مغطاة بغشاء ومجموعات مكونة من ٣ و ٤ عيون، تهجينات من الفم وثقب المؤخرة، أعضاء بشرية تمازجت وبدأت تنمو في المكان الذي سقطت فيه.

«النتيجة النهائية للتمثيل الخلوي الكامل هي السرطان.

الديمقراطية سرطانية، ومكاتبها هي السرطان. العمل المكتبيّ يتجذر في كلّ مكان في الدولة، وتتحول إلى مرض خبيث مثل مكتب شؤون المخدّرات، وتنمو وتنمو ودائماً تتكاثر وتنتج المزيد من نوعها، وإذا لم تتم السيطرة عليها أو استئصالها، فإنها تخنق المضيف. إنها كائنات حية طفيلية (من جهة ثانية، يمكن للتعاونيّة أن تعيش من دون الدولة. وهذه هي الطريق التي يجب اتباعها. بناء وحدات مستقلة تلبّي احتياجات الأشخاص المشاركين في عمل الوحدة. تعمل مكاتب الدولة على أساس مبدأ اختلاق الحاجة لتبرير وجودها. البيروقراطية مؤذية مثل السّرطان، إنها تحوّلٌ عن الاتجاه التطوري البشري للإمكانيات والاختلافات غير المحدودة، والعمل العفوي المستقل، نحو التطفل الكليّ مثل الفيروس.

«(يُعتقد أن الفيروس هو تفسّخ شكل حياتيّ أكثر تعقيداً. قد يكون في وقت من الأوقات قادراً على العيش بشكل مستقلّ. أما اليوم، فقد تقلّص إلى الحدّ الفاصل بين المادّة الحيّة والمادة الميتة. يمكن للفيروس أن يعطي إشارات حياة فقط داخل المضيف، ومن خلال استغلال حياة الآخرين - أي التخلي عن الحياة نفسها، السقوط في اتجاه آليّ غير عضوية، غير مرن، تجاه المادة الميتة).

«عندما ينهار مبنى الدولة ستموت مكاتبها. فهي عاجزة ولا تتناسب مع الوجود المستقل مثل دودة شريطية مشرّدة، أو فيروس قتل المضيف.

«في تيمبكتو، رأيت ذات مرة فتى عربياً استطاع أن يعزف على المزمار بمؤخرته، وأخبرني الشواذ أنه كان بالفعل مستقلاً في السرير. أمكنه تشغيل اللحن صعوداً ونزولاً على أجزاء العضو ولامس أكثر المواقع حساسية جنسياً، المختلفة، بالطبع، من شخص

إلى آخر. كانت لكل عشيق من عشاقه أغنية خاصة مثالية له أوصلته إلى الذروة. كان الفتى فناناً رائعاً في كل ما يتعلّق بتحسين التركيبات الجديدة والذروات الخاصة، بعضها ذات نغمات تبدو متنافرة مجهولة تخترق بعضها البعض فجأة وتتحطم بتأثير عذب ومذهل ومثير».

نظم فاتس تيرمينال مجموعة من قردة البابون من الدراجات النارية.

تجمّع الصيادون لتناول وجبة الفطور في «سوارم بار»، وهو مكان يجتمع فيه المنحرفون الأنيقون. يدور الصيادون مثل النرجسيين المعتوهين بسترات جلدية سوداء وأحزمة مرصعة، يلوون عضلاتهم لإثارة إعجاب اللوطيين. الجميع يضع ضبانات كبيرة على أعضائهم الذكوريّة ليكبروا حجمها. بين الحين والآخر يطرح أحدهم لوطياً على الأرض ويبول عليه.

إنهم يرتشفون شراب النّصر، المكوّن من الباريغوريك، عقار الذباب الإسبانيّ، الرم الأسود الثقيل، وبراندي نابليون والحرارة الكامنة. الشراب مقدّم من بابون ذهبي هائل أجوف يجثم في ملامح الرّعب، يحاول انتزاع رمحٍ بين ضلوعه. تضغط على خصيتي البابون ويخرج الشراب من قضيبه. من وقت لآخر تبرز المشهيات الساخنة من مؤخرة البابون بضراط مزعج للغاية. عندما يحدث هذا يهدر الصيادون بضحك بهيميّ، ويصرخ اللوطيون ويرتعشون.

زعيم الصيادين هو الكابتن إيفرهاند، الذي طُرِد من الجيش البريطاني بعد أن نشل كلسوناً في لعبة ستريب-بوكر. الدراجات النارية تميل جانباً، تقفز، تنقلب. قردة البابون تبصق، تصرخ، تخرأ وتتضارب مع الصيادين. دراجات نارية بلا راكبين تدور وتلف في

الغبار مثل حشرات مشلولة، مهاجمة البابون والصيادين. . .

يشقّ زعيم الحزب طريقه بانتصار عبر الجماهير العاتفة. رجل عجوز محترم يخرأ أمامه ويحاول التضحية بنفسه تحت عجلات السيارة.

زعيم الحزب: «إياك أن تضحّي بجسدك المجفف القديم تحت عجلات سيارتي البويك الجديدة ذات السّقف المكشوف مع الإطارات البيضاء والنوافذ الهيدروليكية وجميع لوازمها. إنها خدعة عربية - انتبه إلى مؤخرتك، إيفان، احفظها للتّسميد. . . نحيلك إلى قسم الحفظ، هناك يمكنك أن تحقق هدفك الكبير. . .».

ألواح الغسيل أزيلت، وأرسلت الملاءات إلى الغسيل لتنظيف بقع الذنب - إيمانويل يتنبأ المجيء الثاني للمسيح. . .

هناك فتى في الطرف الثاني للنهر له مؤخرة مثل الخوخ. للأسف لم أُجِد السباحة وخسرت كليمنتيني.

يجلس المدمن والإبرة جاهزة لرسالة الدم، فيما الرجل النصاب يجسّ نبض المدمن بأصابع إكتوبلازمية متعفنة. . .

اختفاء تدريجيّ.

ساعة الصحة النفسية للدكتور بيرغر.

الفنيّ: «الآن اسمع، سأقولها مرة أخرى، وسأقولها ببطء. 'نعم'». يومئ برأسه. «وافعلها وأنت تبتسم. . . تبتسم». يكشف عن طقم أسنانه في محاكاة ساخرة بشعة لإعلان معجون أسنان. «'نحن نحب فطيرة التفاح، ونحب بعضنا بعضاً. الأمر بهذه البساطة' - وأريده أن يبدو بسيطاً، شعبياً، ريفياً. أبد بقرياً، حسناً؟ هل تريد لوحة المفاتيح مرة أخرى؟ أم السطل؟».

البقريّ؟».

الفنيّ: «أبدُ كبقرة».

التابع - برأس بقرة -: «موووو مووووو».

الفنيّ (متراجعاً): «هذا كثير!! لا! أبدُ كشخص بسيط ولطيف».

التابع: «خاضع؟».

الفنيّ: «حسناً، ليس بالضبط خاضعاً. هذا المواطن ليس محتالاً ما يكفي، يحتاج إلى رجة خفيفة... أنت تعرف هذا النوع. ما بعد إزالة جهاز الإرسال والاستقبال التخاطريّ. يبدو كرجل خدمة... أكشن، تصوير».

التابع: «نعم، نحب فطيرة التفاح». يقرقر بطنه عالياً ولمدّة طويلة. أشرطة من اللعاب معلقة من ذقنه...

يرفع الدكتور بيرغر بصره عن أوراقه. يبدو وكأنه بومة يهودية بنظارات سوداء، الضوء يؤذي عينيه: «أعتقد أن هذا التابع غير مناسب. قم بإزالته».

الفنيّ: «حسناً، يمكننا أن نقطع هذا الصوت من المسار الصوتي، نلصق بالوعة في فمه و...».

الدكتور بيرغر: «لا... إنه غير مناسب». ينظر إلى التابع بنفور كما لو ارتكب زلّة فظيعة مثل البحث عن سرطان البحر في غرفة استقبال سيدة العالم.

الفنيّ (غاضباً ومذعناً): «أحضروا اللوطيّ المتعافي».

يتم إحضار المثليّ... يسير عبر أشكال غير مرئية من المعدن الساخن. يجلس أمام الكاميرا ويرتب جسمه في وضعية تمدد ريفيّة.

تترتب العضلات في مكانها مثل أعضاء مستقلة لحشرات مبتورة. غباء فارغ يطمس وجهه وينعّمه...

«نعم»، يومئ ويبتسم، «نحن نحب فطيرة التفاح ونحب بعضنا بعضاً. الأمر بهذه البساطة». يومئ ويبتسم ويومئ ويبتسم و-

«اقطع!...» يصرخ الفنيّ. يقاد المثليّ المتعافي الى الخارج، يومئ ويبتسم.

«أعيدوا التشغيل».

يهزّ المستشار الفنيّ رأسه نافياً: «شيء ما ينقص. للدقّة، تنقص الصحة».

بيرغر (يقفز على قدميه): «مستحيل! إنه التجلّي الصحّيّ!...».

المستشار الفنيّ (بجديّة متكلّفة): «حسناً، إذا كان لديك ما ينيرني حول هذا الموضوع، فسأكون سعيداً جداً لسماعك، يا دكتور بيرغر. إذا كنت قادراً بعقلك اللامع على حمل المشروع بمفردك، فلا أرى سبباً لحاجتك إلى مستشار فني على الإطلاق». يخرج، يده على خصره، وينشد برفق: «سأكون هنا عندما ترحلين».

الفنيّ: «أدخلوا الكاتب المتعافي... ماذا تلقّى؟ البوذية؟... أوه، إنه لا يستطيع التحدث. لماذا لم تقل ذلك مباشرة؟» يتحول إلى بيرغر: «لا يمكن للكاتب أن يتحدث... تحرّر فائض، يمكنك القول. بالطبع يمكننا أن ندبلج صوتَه...».

بيرغر (بحدة): «لا، هذا لن يحدث على الإطلاق... أحضر شخصاً آخر».

الفنيّ: «هذان الشخصان ربيباي. استثمرت مئة ساعة إضافة فيهما ولم أتلقَّ أيّ تعويض بعد...».

بيرغر: «ثلاث نسخ من استمارة ٦٠٩٠».

الفنيّ: «تخبرني كيف أتسجّل؟ الآن اسمع يا دكتور، قلتَ لي ذات مرة شيئاً: 'التحدّث عن المثليين الصحيين، يشبه التحدّث عن مواطن يعاني من تليّف الكبد بصفته مواطناً صحياً'. هل تذكر؟».

بيرغر: «أوه نعم. صياغة ممتازة، بالطبع» يتمتم بخبث. «أنا لا أدعي أنني كاتب». يبصق الكلمة بكراهية بشعة تُفزع الفنيّ وتجعله يتراجع...

الفنيّ (جانباً): «لا أستطيع تحمّل رائحته. مثل أنسجة مستنسخة فاسدة... مثل ضراط نبتة تفترس البشر... مثل نحنحة شايفر» (محاكاة ساخرة للأسلوب الأكاديمي) «ثعبان غريب... ما أقصده يا دكتور: كيف يمكن أن تتوقع جسداً صحياً بدماغ مغسولة؟ بطريقة أخرى: هل يمكن للتابع أن يكون صحياً في حالة تغيّبه بواسطة توكيل؟».

بيرغر (يقفز): «الصحة عندي!... كل الصحة! ما يكفي منها لكلّ العالم المنيك!! أنا أشفي الجميع!».

ينظر الفنيّ إليه بحذر. يمزج بيكربونات الصودا ويشربها ويتجشأ براحة يده. «عشرون عاماً وأنا القديس المعذّب من عسر الهضم».

لوي الحبوب مغسول الدماغ يقول: «أنا أحبّ الأغبياء... أعشقهم... بيني وبينكنّ يا بنات، أستخدم ستيلي دانس يوكوهاما، وأنتنّ ألم تكنّ لتستخدمنه؟ داني بوي لا يخذل أبداً. عدا ذلك الأمر صحيّ أكثر بهذه الطريقة ويجنّب كل الاحتكاكات الفظيعة التي تترك المرء مشلولاً من الخصر فما دونه. للنساء سوائل سامّة...».

«فأخبرته، قلت: 'يا دكتور بيرغر، لا تظن أنك تستطيع أن تُسقط عليّ نظريّتك المبتذلة حول غسيل الدماغ. أنا أقدم لوطيّ في ثقب مؤخرة البابون العلوي'».

تبدل المغلفات في ملهى للأمراض الجنسيّة حيث تضع الفتيات المزيفات المرض عليك لمصلحة الماخور ويفتقرن إلى الصحّة، بفتيات العدوى الفاسدات حتّى خرّام ثقوب أيري النّاقص. من أطلق النار على أير أبي الحنّاء؟ يُسقط مسدّسي الأمين العصفور وتتجمّع قطرة دم في منقاره...

اصفرّ اللورد جيم في ضوء قمر صباح ذابل حزين مثل دخان أبيض على مادة زرقاء، وقمصان تسوط رياح الربيع الباردة على منحدرات جرف جيريّ في الجانب الآخر من النهر، ماري، والفجر متشظٍّ إلى قطعتين مثل ديلينجر الفارّ في طريقه إلى سينما البيوغراف. رائحة النيون ورجال عصابات ضامرون، والمجرم الفاشل يستجمع قواه ليسطو على مراحيض بالأجرة ويستنشق الأمونيا من دلو... «سطو»، يقول. «سوف أخصي أقصد أسطو».

زعيم الحزب (يصبّ كأساً أخرى من الويسكي): «إن أعمال الشغب التالية تنطلق مثل لعبة كرة القدم. لقد استوردنا الآلاف من اللاتا الأصليّة من الهند الصينية... كل ما نحتاج إليه هو قائد واحد للوحدة بأكملها». عيناه تكتسحان الطاولة.

النائب: «لكن، أيها الرئيس لمَ لا نهيّج واحداً ويقلّده الجميع بشكل متسلسل؟».

فنانة مونولوج تتموّج في أرجاء السوق: «ماذا يفعل اللاتا عندما يكون بمفرده؟».

زعيم الحزب: «هذه نقطة تقنية. علينا التشاور مع بينوي. شخصياً، أعتقد أنه يجب على شخص ما متابعة العملية بأكملها».

«لا أعرف»، قال لعدم وجود النقاط المطلوبة والتصنيفات الضرورية لتأمين اللقاء.

«ليس لديهم مشاعر»، قال الدكتور بينوي، وهو يقطع مريضه إلى أشلاء. «انعكاسات وحسب... إنني أحفّز على خلق التّشتت».

«سن القبول هو عندما يتعلمون التحدث».

«ليت مشاكلك تكون صغيرة مثلهم، كما يقول متحرّش جنسيّ بالأطفال لآخر».

«إنه لأمر مشؤوم حقاً يا عزيزي، عندما يبدأ الشّبيه في قياس ملابسك وركلك...».

خنثى مجنونة تحاول انتزاع سترة رياضة عن فتى هارب.

«إنها سترتي الكشميرية»، تصرخ...

«إذاً، يقيم علاقة مع لاتا، يريد أن يهيمن على شخص ما هذا الشيء العجوز السخيف... اللاتا يحاكي جميع تعبيراته وأسلوبه ويمتص ببساطة شخصيته مثل دمية مُقامِق شريرة... 'لقد علمتني كل ما هو أنت عليه... أحتاج إلى صديق جديد'. المسكين بوبو لا يستطيع الإجابة بنفسه، لأنه بلا ذات».

المدمن: «ها نحن في هذه المدينة بلا هيروين وقد تبقى لنا شراب السعال».

الأستاذ: «كوبروفيليا... يا سادة... يمكن أن نسميّها... رذيلة الوفرة...».

«أعمل منذ عشرين عاماً في أفلام ولم أصل يوماً إلى قاع تزييف هزة الجماع».

«مدمنة قحبة شدّت بواسطة كلاّب طفلها الذي لم يولد بعد... النساء لسنَ رائعات يا هذا».

«أعني هذا الجنس الواعي على مستوى الموت... ربما من الأجدر أن تتولى أمر المسائل القديمة...».

«وفي ذروة الشهوة تقول لي: 'هل لديك قالب أحذية إضافيّ؟'».

«تحدّثني كيف قام أربعون عربياً بجرّها إلى مسجد واغتصابها، كما يظهر، بشكل متسلسل... على الرغم من أنّهم يتدافعون طوال الوقت - حسناً، اذهب إلى آخر السّطر يا عليّ. أيها الظرفاء، إنها، حقاً، أكثر قصّة مقيتة سمعتها في حياتي. كان ذلك بعد أن اغتصبني موكب من الدببة في حالة هياج».

تجلس مجموعة من القوميّين البغيضين قبالة جبل طارق، تسخر من المخنثين وتهذر كلاماً باللغة العربية... دخل كليم وجودي المشهد وهما يرتديان مثل رأسماليين في جدارية شيوعية.

كليم: «جئنا لنتغذى على تخلّفكم».

جودي: «على حد تعبير الشاعر الخالد، 'لنسمن على حساب هؤلاء المغاربة'».

قوميّ: «خنزير! قذر! ابن كلب! ألا تدرك أن شعبي جائع؟».

كليم: «هكذا أحب أن أراهم».

يسقط القوميّ ميتاً مسموماً بالكراهية... يندفع الدكتور بينوي راكضاً: «تراجعوا، أعطوني هواءً». يأخذ عينة دم. «حسناً، هذا كل ما يمكنني القيام به. عندما تحين ساعة الرحيل، فلا شيء يمكن عمله».

شجرة عيد الميلاد المنحرفة المتنقلة تحترق على أكوام القمامة في المنزل حيث يستمني الفتية في مراحيض مدرستهم - تشنجات

صبيانية على مقعد المرحاض القديم المصنوع من خشب السنديان المملّس كالذهب. . .

النوم لفترة طويلة في وادي النهر الأحمر حيث أنسجة العنكبوت ممدودة على نوافذ سوداء وعظام فتى. . .

زنجيان لوطيّان يتصايحان.

اللوطي الأول: «اخرسي أيتها القحبة المريضة الرّخيصة. . . اسمكِ لو الكريهة في هذه التجارة».

المونولوجيست: «الفتاة ذات الأربية المثيرة».

اللوطي الثاني: «مياو مياو». يرتدي فانيلة منمّرة ويضع مخالب حديديّة. . .

اللوطي الأوّل: «أوه أوه. سيّدة مجتمع». يهرب عبر السوق وهو يصرخ، وخلفه المتخنّث يتأوه ويهدر. . .

يطرح كليم أرضاً مريضاً مصاباً بشلل تشنجي ويأخذ عكازاته. . . يحاكي بسخرية الارتعاش وسيلان اللعاب. . .

ضوضاء شغب في الخلفية - ألف كلب هستيري.

تُطرق مصاريع نوافذ المتاجر مثل المقصلة. المشروبات والصواني معلقة في الهواء بينما يهرول الزبائن إلى الداخل مذعورين.

جوقة من اللوطيين: «جميعنا سنُغتصب. أعرف ذلك، أعرف ذلك». يسارعون إلى الصيدلية ويشترون صندوقاً من الفازلين.

زعيم الحزب (يرفع يده بشكل دراميّ): «صوت الشعب!».

الصّراف بيرسون يظهر من خلال العشب القصير المقصوص ويمسك به قائد الكارما المبتذل الذي يختبئ في فناء شاغر مع أفاعي الرباط ليشمّها ويكتشفها الكلب المفهوم. . .

يخلو السوق إلا من سكير عجوز ذي جنسية غير محددة قد

أغمي عليه ورأسه في المبولة. يهيج مثيرو الشغب في السوق وهم يصرخون «الموت للفرنسيين!» ويمزق السكير إلى أشلاء.

سالفادور حسن (يتلوى عند ثقب القفل): «انظروا فقط إلى تلك التعبيرات، الكائن البروتوبلازمي الكامل- كلهم متشابهون تماماً». يرقص رقصة المتسيّلين.

منحرف يئنّ يهوي على الأرض في هزة الجماع. «يا اللّه، إنها مثيرة للغاية. مثل مليون أير ساخن وينبض».

بينوي: «أردت أن أخضع هؤلاء الفتية لفحص دم».

رجل مبهم بشكل مهدد، ذقنه رمادي ووجهه رمادي وجلابيته بنية وباهتة، ينشد بلهجة خفيفة لا يمكن تحديدها عنها ودون أن يحرك شفتيه: «يا جميلات، جميلات كبيرات رائعات».

تنتقل فرق الشرطة ذات الشفاه الرفيعة والأنوف الكبيرة والعيون الرمادية الباردة إلى السوق من جميع المداخل. يضربون مثيري الشغب ويركلونهم بوحشية باردة ومنهجية.

تم إلقاء القبض على مثيري الشغب وأخذهم في شاحنات. تُرفع المصاريع ويتوجه مواطنو إنترزون إلى الساحة الزلقة بالدم المليئة بالأسنان والصنادل.

الصندوق البحري التابع للرجل الميت موجود في السفارة، ويقوم نائب القنصل بإبلاغ والدته.

لا صباح... الفجر... لم يعد موجوداً... لو كنت أعرف لأخبرتك بكل سرور. في كلتا الحالتين هي خطوة سيئة للجناح الشرقي... لقد عبر من باب خفيّ... ليس هنا... يمكنك أن تفتشي في أي مكان... أن أفتش بنفسي... يوم الجمعة.

(ملاحظة: مساطيل متقدّمون في السنّ بوجوه منتهية من أثر الجانك الرماديّ، سوف يُذكرون... في العشرينيات من القرن العشرين اكتشف تجار صينيون عديدون أن الغرب ليس أهل ثقة، وأنه كاذب وخاطئ، أوقفوا التجارة، وعندما كان يأتي مدمن أبيض ليشتري، كانوا يقولون له: «لا تتكلّم... احضر يوم الجمعة»).

إسلام م.ض.
وأحزاب إنترزون

كنتُ أعمل في منظمة تُعرف باسم «إسلام م.ض.»، المموّلة من قبل إي.جي، القواد سيّئ السمعة الذي صدم المجتمع الدوليّ بعمله اللاأخلاقيّ عندما ظهر في الحفل الذي أحياه الدوق دي فنتري متخفياً بهيئة قضيب يمشي مغطى بواقٍ ذكريّ ضخم، وقد زُيّن بشعار إي.جي. «لن يمرّوا».

قال الدوق: «مذاق رديء يا صاحبي».

ردّ إي.جي: «بمؤخرتك مع فازلين إنترزون». يشير التلميح إلى فضيحة الفازلين، التي كانت لا تزال وقتها في حالة يرقيّة. غالباً ما تشير إجابات إي.جي البارعة إلى الأحداث المستقبلية. إنه سيد الكَبح المؤجّل.

سلفادور حسن أوليري، تاجر المَشيمات، متورط أيضاً في الموضوع. أي أن إحدى شركاته الفرعية قدمت مساهمات ماليّة غير محددة، وإحدى شخصياته الفرعية مرتبطة بالمنظمة بصفة استشارية دون أن يلتزم بأي شكل من الأشكال بسياسات أو أعمال أو أهداف إسلام م.ض. يجدر أيضاً ذكر اسمَي الأخوين كليم وجودي

إرجوت، اللذين أبادا جمهورية حسن بالقمح السام، أحمد الجثّة، وهال ملتهب الكبد، تاجر الخضروات والفاكهة.

أعضاء الحزب هم حشد من الملالي والمفتين والحسينيين القضاة والعلويين والشيوخ والسلاطين والمقدّسين على أنواعهم وممثلين عن كل حزب عربي يمكن تصوره وهم من يحضرون الاجتماعات الفعلية التي تمتنع عنها الأحزاب العليا بحكمة. على الرغم من تفتيش المندوبين بعناية عند الباب، إلا أن هذه التجمعات دائماً ما تتوج بأعمال شغب. غالباً ما يُرشّ المتكلمون بالبنزين وإحراقهم حتى الموت، أو يقوم شيخ صحراء فظ بسحب مسدس آلي كان قد خبأه في بطن خروفه الأليف ويرش خصومه. يختلط الشهداء القوميون بالقنابل اليدوية في مؤخراتهم مع المجتمعين وينفجرون فجأة، مما يؤدي إلى خسائر فادحة... في أحد الاجتماعات ألقى الرئيس رع رئيس الوزراء البريطاني على الأرض ونفذ فيه فعلاً مشيناً بالقوّة. تم بث المشهد بثاً حياً مباشراً على شاشات التلفزة للعالم العربي بأكمله. وصلت هتافات الفرح إلى ستوكهولم. في إنترزون قانون يحظر عقد اجتماعات لإسلام م.ض. في نطاق خمسة أميال من حدود المدينة.

إي.جي - هو في الواقع من أصل شرقيّ غامض - في مرحلة من مراحل حياته كان مثل سيد إنجليزي. تضاءلت لهجته الإنجليزية مع سقوط الإمبراطورية البريطانية، وبعد الحرب العالمية الثانية أصبح أمريكياً بموجب قانون الكونغرس. إي.جي هو عميلٌ مثلي أنا، ولكن لم يعرف أحد يوماً لحساب من يعمل. يشاع أنه يمثل مجلس الحشرات العملاقة من مجرة أخرى. أعتقد أنه في الجانب الوقائعيّ

(الذي أمثله أنا أيضاً)؛ بالطبع يمكن أن يكون عميل المتسيّلين (يتضمن برنامج التميّع الدمج النهائي للجميع ليكونوا شخصاً واحداً، وذلك من خلال عملية الامتصاص البروتوبلازمي). لا يمكنك أبداً الوثوق بأحد في هذه التجارة.

ما قصة غلاف إي. جي؟ لعوب دولي ومخادع عملي لا يضرّ. كان إي. جي هو من وضع سمكة البيرانا في بركة سباحة ليدي ساتون-سميث، ومزج مشروب البنش في حفلة عيد الاستقلال في السفارة الأمريكية بالحشيش والياغي واليوهيميا التي أحدثت طقس عربدة. عشرة مواطنين شهيرين - أمريكيين، بطبيعة الحال - توفوا لاحقاً من العار. الموت من العار هو إنجاز خاص بالأمريكيين وهنود قبيلة الكواكيوتل - آخرون يقولون ببساطة «*اللعنة!*» أو «*هكذا هي الحياة*» أو «لقد اغتصبني اللّه الجبار».

في اجتماع جمعية مكافحة الفلوريد في فرع سينسيتي رفع الأعضاء كأس الانتصار في مياه الينابيع النقية، وعلى الفور سقطت جميع أسنانهم.

«وأقول لكم، أيها الإخوة والأخوات من جمعية مكافحة الفلوريد، لقد انتصرنا اليوم انتصاراً ساحقاً من أجل النقاء ولن نتراجع... أقول: فلتُزل الفلوريدات الأجنبية القذرة! سنجعل هذه الأرض العادلة حلوة ونظيفة مثل مؤخرة صبي مشدودة... سوف ننشد الآن نشيدنا 'دلو البلوط القديم'.

يضاء رأس البئر بأضواء الفلورسنت التي تلعب فوقها بألوان صندوق الموسيقى البشعة. أعداء الفلوريد يمرون بالبئر وهم يغنون ويرشفون من دلو البلوط القديم واحداً واحداً...

عبث إي. جي بالماء، ومزجه مع كرمة أمريكا الجنوبية التي تذيب اللثة.

(أسمع عن هذه الكرمة من منقب الذهب الألماني العجوز الذي مات من تبولن الدم في باستو، كولومبيا. من المفترض أنها تنمو في منطقة بوتومايو. لم أعثر عليها. لم أحاول جاهداً. أخبرني المواطن نفسه عن حشرة أشبه بجندب كبير يعرف باسم كسيوكوتيل: «هذا مثير للشهوة الجنسية القوية حيث إنه إذا طار عليك ولا تنجح في نيل امرأة فوراً فسوف تموت. لقد رأيت الهنود يركضون ويحاولون الهروب منه حتى لا يلمسهم». لسوء الحظ لم أنجح في نيل الكسيوكوتيل. . .).

في ليلة افتتاح أوبرا نيويورك متروبوليتان، أطلق إي. جي- بحماية طارد الحشرات- سرباً من كسيوكوتيل.

السيدة فاندربيلي تضرب حشرات الكسيوكوتيل بمضرب الذباب: «أوه!. . . أوه! أووووووه!» صراخ، كؤوس تنكسر، ملابس تتمزق. صعود متزايد من همهمات وصرخات وأنين وشكوى ولهاث. . . رائحة كريهة لمنيّ وفروج وعرق ورائحة عفنة لمستقيمات مخترقة. . . الماس والفرو وفساتين السهرة والسحلب والبدلات والملابس الداخلية ملقاة على الأرضية مغطاة بكتل متعرجة، مسعورة، متدفقة من الأجساد العارية.

ذات مرة حجز إي. جي (سنة مسبقاً) طاولة في مطعم شي روبرت، حيث الذواق العظيم والجليدي يكتئب في أعظم مطبخ في العالم. نظرته سامة وازدرائية إلى درجة أن العديد من الزبائن كانوا

يسقطون أرضاً ويبولون في سراويلهم في محاولات متشنجة للتملّق.

وهكذا وصل إي.جي مع ستة هنود بوليفيين يمضغون أوراق الكوكا بين الوجبات. وعندما يميل روبرت، بكل جلاله الرفيع على طاولتهم، يرفع إي.جي بصره ويقول: «يا فتى! أحضر لي بعض الكاتشب».

(البديل: يُخرج أي.جي زجاجة من الكاتشب ويرش منها على أرقى المأكولات).

ثلاثون ذواقاً يتوقفون عن المضغ في الحال. أمكن سماع تهافت السوفليه. أما بالنسبة إلى روبرت فقد أطلق صوتاً غاضباً مثل فيل جريح، ركض إلى المطبخ وسلح نفسه بساطور اللحوم... تمتم ساقي الخمور بصوت شنيع، وجهه تحول إلى لون أرجواني قزحيّ غريب... كسر زجاجة من الشمبانيا... ١٩٢٦... بيير، رئيس النادلين، خطف سكيناً لتقطيع العظام. لاحق الثلاثة إي.جي في المطعم بصراخ همجيّ غاضب. انقلبت الطاولات، سقطت أنواع النبيذ الفاخر التي لا مثيل لها على الأرض... صيحات تنفجر في فضاء المطعم «حاكموه!». ذواق مسنّ له عينان مجنونتان تنزفان دماً مثل عيني قرد الرباح يحضر حبل مشنقة من نسيج ستارة مخملية حمراء... إي.جي، الذي رآهم يحشرونه والذي كان في خطر وشيك من تقطيع أوصاله، لعب بورقته الرابحة... ألقى رأسه إلى الخلف وأطلق صيحة خنزير. تندفع مئة من الخنازير الجوعى التي كان قد جهزها في الوقت إلى المطعم، تتمرغ في وجبات المطبخ الراقي. يصاب روبرت بسكتة دماغية ويسقط على الأرض حيث تأكله الخنازير: «الأوغاد المساكين لا يفهمون بالقدر الكافي كي يقدروا ما حصلوا عليه»، يقول إي.جي.

يحضر بول، شقيق روبرت، من إحدى مؤسسات المجانين المحلية ويستولي على المطعم ويقيم فيه ما يسميه بـ«المطبخ التجاوزي»... بشكل غير محسوس تراجعت جودة الطعام حتى أصبح يقدم القمامة، ولم يحتجّ الزبائن خوفاً من سمعة شي روبرت.

عيّنة من قائمة الطعام:

شوربة بول الجمل الصافي مع ديدان الأرض المغلية

فيليه سمك السيف الذي نضج في الشمس
بصلصة ماء الكولون ومزخرف بالقراص

مشيمة خديج فاخرة
مقلية بزيت محرك،
مقدمة مع صلصة حارة من صفار البيض الفاسد
وبق الفراش المجروش

جبنة الليمبرغر المحلاة ببول مرضى السكري
مغمّسة في حرارة معلبة مسعرة...

يموت الزبائن بهدوء من التسمم الغذائي... ثم يعود إي. جي من الشرق الأوسط مع حاشية اللاجئين العرب. يتناول لقمة ويصرخ: «قمامة، اللعنة! اطهوا هذا المواطن المتحاذق داخل قمامته!».

وهكذا نمت أسطورة إي. جي المضحك، المحبوب غريب

الأطوار... اختفى في البندقية... يتصاعد الغناء والهتافات المرضيّة من سان ماركو وحانة «هاري».

ثمة حكاية قديمة ساحرة في البندقية حول هذا الجسر، يبدو أن بعض بحارة البندقية أبحروا في رحلة حول العالم وأصبح الجميع شواذاً وقد ولجوا في الفتى مساعد الملاحين... عند عودتهم إلى البندقية استدعت الضرورة أن تمشي النساء على هذا الجسر، رئاتهن معلقة في الخارج، لإثارة رغبات هؤلاء المواطنين المريبين. فأتوا بكتيبة من قوات الهجوم وأرسلوها إلى ساحة سان ماركو على الفور.

«يا بنات، نحن في ع.ح.ن.: عملية حتى النهاية! إذا لم تسعفكن أثداؤكن فأخرجن فروجكن وأربكن هؤلاء اللوطيّين».

«يا غيرتي هذا صحيح. هذا كله صحيح. لديهم شق فظيع بدلاً من هذا الشيء اللذيذ!».

«لا أستطيع أن أحتمل ذلك».

«يكفي لتحويل الجسد إلى حجر».

كونه خراءً شريراً حقيقياً لم يعرف بولس كم كان صادقاً عندما قال عن الرجال الذين يأتون رجالاً إنهم يفعلون ما هو غير مريح. غير مريح هي العبارة السليمة. لا يوجد هناك من يريد أن يصادف أيراً في طريقه إلى المهبل، وعندما يتوق المواطن إلى ولوج شق، فإنه يدخل فجأة إلى شرير يفعل بمؤخرته ما هو غير مريح.

يندفع إي.جي عبر سان ماركو ضارباً الحَمام بسيف قصير: «يا أبناء القحبة!» يصرخ... يتراخى على متن مركب النقل، وهو بناء وحشي من الذهبي والوردي والأزرق مع أشرعة مخملية أرجوانية. وهو يرتدي زياً بحرياً غير مناسب لبحار، مغطى بالجديلة والشرائط والميداليات، متسخاً ومزقاً، أزرار المعطف في الأماكن

الخاطئة. . . يتجه إي. جي صوب نسخة ضخمة من جرة يونانية يعلوها تمثال ذهبي لفتى منتصب القضيب. يلف خصيتي الفتى وتخرج دفعات من الشمبانيا من فمه. يمسح فمه وينظر من حوله.

«أين هم المجدّفون النوبيّون، اللعنة؟» يصرخ.

يرفع سكرتيره بصره عن كتاب هزلي: «يقذفون. . . يطاردون فرجاً».

«متهرّبون جشعون! وما المرء بلا نوبيّين؟».

«لم لا تأخذ جندولاً؟».

«جندولاً؟» يصرخ إي. جي. «لقد جاهدت من أجل هذه القحبة فهل يجب عليّ أن أركب جندولاً؟ سيد هيسلوب، اطو الشراع وخزّن المجاذيف. . . سأنتقل إلى الخطة الاحتياطية».

هزّ هيسلوب كتفيه مستسلماً. يضغط على لوحة التحكم. . . الأشرعة تسقط، تنجذب المجاذيف داخل مركب النقل.

«وقم بتنشيط العطر، حسناً؟ القناة رائحتها كريهة».

«أي عطر؟ الغاردينيا؟ الصندل؟».

«كلا. الأمبروزيا».

يضغط السيد هيسلوب على زر آخر وتلفّ سحابة كثيفة من العطور مركب النقل.

يصاب إي. جي بنوبة من السعال. . . يصرخ: «شغّلوا المراوح». «أنا أختنق!».

يسعل السيد هيسلوب في منديل. يضغط على زر تتحرك المراوح وتخفف من رائحة الأمبروزيا.

يصعد إي. جي على منصة مرفوعة عند الموجّه. «تشغيل!» يبدأ المركب في الاهتزاز. «أفانتي، اللعنة!» يصرخ إي. جي ويعبر

المركب القناة بسرعة فائقة، يقلب الجنادل التي تعجّ بالسياح، ويكاد يصطدم بسفينة ركاب، ينحرف من جانب القناة إلى الجانب الآخر (تغسل الأمواج الأرصفة وتبلل المارة)، يحطم أسطولاً من الجنادل الراسية ويرتطم أخيراً بالرصيف ويعود ويدور في منتصف القناة. . . عمود من الماء يبلغ ارتفاعه ستة أمتار ينفجر من ثقب في بدن المركب.

«زوّد المضخات بالطاقم يا سيد هيسلوب. إنها تشفط المياه».

يترنح المركب فجأة ويلقي بإي. جي في مياه القناة.

«غادروا السفينة، اللعنة! لينقذ كلّ فرد روحه!».

اختفى في موسيقى المامبو.

افتتاح مدرسة اسكوالا أميغو، وهي مدرسة للفتيان الجانحين من أصل أمريكي لاتيني، أقيم بمساهمة إي. جي، بحضور الطلاب والصحافة. يصعد إي. جي إلى المنصة بخطوات مخفقة يلف العلم الأمريكي حول جسده.

«بكلمات الأب فلاناغان الخالدة: لا يوجد شيء اسمه فتى سيّئ. . . أين التمثال، اللعنة؟».

الفنيّ: «هل تريده الآن؟».

إي. جي: «ماذا تظنني أفعل هنا؟ هل يمكنني أن أكشف عن التمثال في غيابه؟».

الفنيّ: «حسناً. . . حسنا. لحظة».

يتم سحب التمثال بواسطة جرار ووضعه أمام المنصة. يضغط إي. جي على زر. تنطلق التوربينات تحت المنصة، وترتفع إلى أنين يصم الآذان. الرياح تهب على الستائر المخملية الحمراء قبالة

التمثال. تتشابك الستائر حول الطلاب في الصف الأمامي... غيوم من الغبار والقمامة تسوط الحضور. صفارات الإنذار تخبو ببطء. يتخلص الطلاب من الستائر... الكل ينظر إلى التمثال في صمت لاهث.

الأب غونزاليز: «والدة الرب!».

مراسل من «التايم»: «لا أصدق ذلك».

من *ديلي نيوز*: «مجرد شاذّ».

جوقة من الصافرات يطلقها الصبيّان.

يستقر الغبار ويظهر نصب ضخم من الحجر الوردي اللامع. فتى عار يركن إلى رفيقه النائم بنيّة واضحة لإيقاظه بواسطة الناي. يد واحدة تمسك الناي، والأخرى تمتد إلى قطعة من القماش ملفوفة حول جسد النائم. نتوءات كبيرة تظهر من تحت القماش. يضع كلا الصبيّين زهرة خلف الأذن، تعابير وجهيهما متطابقة، حالمة ووحشية، منحرفة وبريئة. يتصدر العمل الإبداعي هرماً من الحجر الجيري الذي كُتب عليه بحروف من الفسيفساء الخزفية - وردية وزرقاء وذهبية - شعار المدرسة: «*معه ومن أجله*».

ينطّ إي. جي إلى الأمام ويفتح زجاجة الشمبانيا على أرداف الصبي الأنيقة.

«وتذكروا يا أولاد، أن هذا هو المكان الذي جاءت منه الشمبانيا».

سيرينادا مانهاتن:

إي. جي وحاشيته يدخلون إلى ناد ليليّ في نيويورك. يقود إي. جي بابوناً أحمر المؤخرة مربوطاً بسلسلة ذهبية. يرتدي إي. جي

سروالاً من الكتان المخمليّ بالإضافة إلى سترة من الكشمير.

المدير: «انتظر لحظة. انتظر لحظة. ما هذا؟».

إي. جي: «هذا كلب إيليريني. زبدة الحيوانات التي يمكن للمرء أن يتعلّق بها. سوف يرفع من مستوى فخّك».

المدير: «أشك في أنه قرد بابون أرجواني المؤخرة ويجب أن يبقى في الخارج».

متذلّل: «ألا تعرف من يكون هذا؟ إنه إي. جي آخر المبذّرين الكبار».

المدير: «فليأخذ وغده أرجوانيّ المؤخرة وتبذيره إلى مكان آخر».

توقّف إي. جي أمام نادٍ ليليّ آخر وألقى نظرة إلى الداخل. «مثليّون أنيقون وقحاب مسنّات. اللعنة! وصلنا إلى المكان الصحيح. لوطيّون أنيقون وقحاب متقدّمات في السنّ، «هيا يا بامبينو!».

يغرز إي. جي عموداً ذهبياً في الأرض ويربط البابون إليه. يبدأ بالحديث بنبرة أنيقة بينما كان المتذللون يدخلون.

«رائع!».

«وحشيّ!».

«جنّة مطلقة!».

يضع إي. جي في فمه حامل سجائر طويلاً مصنوعاً من مادّة مرنة بشكل فاحش. كان يتأرجح ويتموّج كما لو مُنح حياة حشرة كريهة.

إي. جي: «وهكذا استلقيتُ على بطني بارتفاع ثلاثين ألف قدم».

بعض من المثليين المجاورين يرفعون رؤوسهم مثل حيوانات تستشعر الخطر. يقفز إي. جي. على قدميه ويجأر.

«يا أحمر المؤخرة يا مصاص الأيور!» يصرخ. «سأعلمك معنى أن تخرأ على الأرض!» يسحب سوطاً من مظلته ويسوط البابون في مؤخرته. يصرخ البابون ويقتلع العمود من الأرض. يقفز على الطاولة المجاورة ويعتلي امرأة عجوزاً تموت فوراً بالسكتة القلبية.

إي.جي: «عذراً يا سيّدتي. مسألة انضباط كما تعرفين».

كان في حالة سعار، يسوط البابون في أرجاء الحانة. يصرخ البابون ويئنّ ويخرأ مذعوراً، يقفز على طاولة البار وينزل عنها يتعربش الستائر ويتأرجح على الثريّات...

أي.جي: «إمّا أن تتعلّم كيف تتصرّف وتخرأ كما يجب أو لا تخرأ إطلاقاً».

متذلل: «اخجل من نفسك! تثير غضب إي.جي على هذا النّحو بعد كلّ ما فعله من أجلك!».

أي.جي: «جاحد! جميعهم جاحدون! وصدّقوا المثليّ العجوز إذا قال هذا الكلام!».

بالطبع لا أحد يصدق هذه القصة. يدعي إي.جي أنه «مستقل»، بكلمات أخرى: «لا تتدخّلوا». لكن لم يعد هناك شيء اسمه «مستقلون»... إنترزون تعجّ بالحمقى على مختلف أنواعهم وأشكالهم لكن لا يوجد فيها مستقلّون. مستقلّ في مستوى إي.جي هو أمر لا يمكن استيعابه.

حسن هو متسيّل سيئ السمعة ويشتبه في كونه مخبراً سرياً - «باللّه يا جماعة»، يقول بابتسامة تبدّد المخاوف، «أنا مجرد سرطان عجوز مزهر وعليّ أن أتكاثر». يتبنّى لهجة تكساسية ترتبط بـ«دراي

هول داتون»، مبادر التنقيب عن البترول من دالاس، وينتعل جزمة ويعتمر قبعة رعاة البقر طوال الوقت داخل المنزل وخارجه. عيناه غير مرئيتين وراء نظارات سوداء، وجهه ناعم وخال مثل الشمع ويرتدي بذلة خيطت من الأوراق النقديّة البنكية عالية القيمة لم يحن وقت صرفها بعد. (الأوراق النقدية البنكيّة هي في واقع الأمر عملة نقديّة، ولكن يجب صرفها قبل المتجارة فيها... هذه الأوراق قد تصل إلى مبلغ مليون دولار للورقة النقديّة الواحدة).

«إنها تتكاثر عليّ بلا توقف»، يقول بخجل... «يبدو الأمر... لا أعرف كيف أقول ذلك. يبدو الأمر كما لو أنني عقرب أمّ تحمل تلك الأوراق الصغيرة على جسدها الدافئ وتشعر بها وهي تنمو وتكبر... يا إلهي، آمل أنّي لا أثير مللكم بهذا».

سلفادور، المعروف باسم سالي بين أصدقائه - يحتفظ دائماً ببعض «الأصدقاء» من حوله ويدفع لهم لقاء الساعة - تعافى مادياً في تجارة خدج البقر في الحرب العالمية الثانية. (التعافي يعني أن تصبح ثرياً. تعبير يستخدم من قبل رجال النفط في تكساس). صورته موجودة في ملفات «قسم المخدرات والغذاء الصافي»: رجل ذو مظهر ثقيل يبدو محنّطاً كما لو حقنوه بالبارافين تحت الجلد، وهو سلس ولامع وخال من البثور. عين واحدة بلون رمادي ميت، مدورة كالمرمر، وفيها عيوب وبقع هي لون رمادي ميت، مستديرة كالرخام، مع عيوب وبقع مسدودة. وعينه الأخرى سوداء ومتقدة، عين حشرة لا تحلم. عادة ما تكون عيناه محجوبتين من وراء نظارات سوداء. إنه يبدو شريراً وغامضاً - فحركاته وسلوكياته ما زالت غير مفهومة - مثل الشرطة السرية في دولة اليرقات.

في لحظات الانفعال، ينزلق سلفادور إلى التحدث بلغة إنكليزية

غير سليمة. في مثل هذه اللحظات تشير لكنته إلى أصل إيطالي. يقرأ ويتحدث الأتروسكية.

مجموعة من المحققين المحترفين كرّسوا حيواتهم في تدريس ملف سلفادور الدوليّ... تمتد أعماله عبر العالم في شبكة مرنة وغير قابلة للحل للشركات الفرعية والشركات الواجهة والأسماء المستعارة. وقد امتلك ٢٣ جواز سفر وتم ترحيله ٤٩ مرة - إجراءات ترحيله معلقة في كوبا وباكستان وهونغ كونغ ويوكوهاما.

سلفادور حسن أوليري، الملقب بصبي الأحذية، مارفي المقلوب، ليري المشيمة، أحمد صاحب الفازلين، وغيرها من الألقاب الموجودة في خمس عشرة صفحة من ملفه، لأول مرة يواجه القانون في مدينة نيويورك حيث كان يتجول مع شخصية معروفة لدى الشرطة المحلية بلقب «ويلسون المنتحب البدين»، وهو مدمن على الحبوب المهدئة ويكسب رزقه من ابتزاز الفيتيشيين في متاجر الأحذية. وقد اتُّهم حسن «بالتآمر وانتحال صفة ضابط شرطة». لقد تعلم قواعد الابتزاز جيداً: أولاً- ت.م. ش- تخلّص من الشارة، وهو ما يتوافق مع ح.ع.س.ط -حافظ على سرعة طيران. بكلمات اليقظ: «إذا تورطت يا حبوب، تخلص من الشارة حتى لو اضطررت إلى ابتلاعها». لذا لم يوقفوه بشارة مزورة. شهد حسن ضد ويلسون، الذي حُكم عليه بالسجن «لمدة غير محددة». (وهي أطول مدة ممكنة بموجب قانون نيويورك لارتكاب جنحة. ظاهرياً هو حبس إلى أجل غير مسمى، لكن عملياً يعني السجن مدة ثلاث سنوات في جزيرة ريكر). تمّ رفض ملف حسن لعدم أهميّته العامّة، وقال حسن: «كنتُ سأسجن لمدة خمسة أعوام في الداخل لو لم ألتق بضابط شرطيّ لطيف». في كلّ مرة يتمّ القبض عليه، يتعرّف حسن على ضابط

شرطة لطيف. يشتمل ملفّه على ثلاث صفحات تعجّ بالألقاب، والتي تشير إلى ميله إلى التعاون مع القانون. تطلق الشرطة على ذلك لقب «اللعب». يسمّيه آخرون تسميات أخرى كثيرة.

فتح متجراً للجنس في يوكوهاما، تاجر بالجانك في بيروت، عمل قواداً في بنما. أثناء الحرب العالمية الثانية غيّر اتّجاهه واشترى محلبة في هولندا وخلط الزبدة مع شحم السيارات، سيطر على سوق الفازلين شمال إفريقيا، وفي النهاية جمع ثروته من المتاجرة بخدج العجول. ازدهر وتوسّع، وملأ السّوق بالأدوية المخلوطة والسلع الرخيصة المقلدة من كل نوع. طارد أسماك قرش مغشوشة، أدوية مخفّفة، مظلات معطّلة، مضادات حيويّة فاسدة، أمصال ولقاحات انتهت صلاحيتها وقوارب إغاثة مسربة.

كليم وجودي، وهما راقصا فودفيل قديمان، يتعاملان مع الوكلاء الروس الذين تتمثل وظيفتهم الوحيدة في إظهار الولايات المتحدة في ضوء سلبي. عند اعتقاله بتهمة ممارسة اللواط في إندونيسيا، قال كليم للقاضي المحقق:

«لا يبدو الأمر كما لو أنه شذوذ. في النهاية هم مجرد غرباء حمقى».

ظهرا في ليبيريا وهما يرتديان قبعات رعاة البقر السوداء وحمالات البنطلون الحمراء:

«عندها أطلقت النار على الزنجي العجوز وقد سقط على جانبه فيما ساقه في الهواء».

«نعم، لكن هل أحرقت زنجياً مرّة؟».

دائماً يتجولان في المناطق العشوائية ويدخنان السيجار الكبير:

«يجب إحضار بعض البلدوزرات إلى هنا يا جودي. لتزيل كل هذا الخراء».

حشود مرضيّة تلحق بهما على أمل أن يشهدوا فضيحة أمريكية في ذروتها.

«ثلاثون عاماً في صناعة الترفيه، ولم أصادف شيئاً كهذا. عليَّ أن أجرد منطقة عشوائية، أحقن نفسي بالهيروين، أتبول على الحجر الأسود وأنا أرتدي بدلة خنزير وأصلي بعد نداء المؤذن للصلاة... هل صرتُ أخطبوطاً؟» يقول كليم متذمراً.

إنهما يتآمران لخطف الحجر الأسود بمروحية، واستبداله بحظيرة خنازير. تم تدريب الخنازير على إطلاق الضراط الهتافيّ عند ظهور الحجاج. «نحن نحاول تدريب هؤلاء الأوغاد على الغناء: 'ثلاثة هتافات عند رفع العلم'، ولكن فشلنا».

«اشترينا هذه الحنطة عن طريق علي وونغ شابولتيبيك في بنما. أخبرنا أنه من الصنف الممتاز وقد ترك فتى فنلندي بضاعته عند المدام... 'كانت بمثابة أمّ لي' قال، وكانت هذه كلماته الأخيرة... اشترينا البضاعة بحسن نية من القحبة. وضعنا لها عشر رزمات من الهيروين».

«هيروين بجودة عالية من حلب».

«مخلوط بسكر الحليب للحفاظ على الصحة».

«إذا حصلت على حصان هدية ألن تنظر إلى مؤخرته؟».

«أليس صحيحاً أنه عندما وصلتم إلى حسن أعددتم مأدبة للقائد وقدمتم الكسكسي المصنوع من الحنطة؟».

«لقد فعلنا ذلك بكل تأكيد. تعرف أن هؤلاء المواطنين كانوا

منتهين من الماريجوانا لدرجة أنهم فقدوا صوابهم في منتصف المأدبة... أنا، فقط تناولت الخبز والحليب... القرحة كما تعلم».

«وأنا أيضاً».

«بدأوا يركضون جميعاً وهم يصرخون بأنهم يحترقون وقد مات معظمهم في صباح اليوم التالي».

«ومات البقية بعد ذلك بيوم».

«ما الذي يمكنهم أن يتوقعوه بعد أن أفسدوا أنفسهم بالرذائل الشرقية؟».

«الأمر المضحك أن هؤلاء المواطنين تحولوا إلى سود وسقطت أرجلهم».

«نتيجة رهيبة لإدمان الماريجوانا».

«هذا ما ظننته أيضاً».

«لذلك تحدثنا مباشرة مع السلطان العجوز الذي يعرف بصفته لاتا. وبعد ذلك كل شيء صار سهلاً مثل الإبحار في بحر ساكن».

«ولكنك لن تصدق ذلك فقد طاردتنا بعض العناصر الساخطة وصولاً إلى الرصيف».

«أزعجهم إلى حد ما عدم وجود الساقين».

«ورؤوس مضروبة».

(الأرغوت هو مرض يصيب الفطريات ينمو على الحنطة المتضررة. خلال العصور الوسطى كانت أوروبا تهلك دورياً من تفشي الأرغوت، والذي كان يسمى «نار سانت أنتوني». كانت الغنغرينا تنتشر، فتسودّ الأرجل وتسقط).

يقومون بتفريغ شحنة من المظلات المعطلة على سلاح الجو

الإكوادوري. مناورات: يتدفق فتية مظلات متموجة مثل الأوقية الذكرية الممزقة التي تنثر دماء فتية على الجنرالات غليظي القوام... أثر صوت رهيب مع اختفاء كليم وجودي على جبال الأنديز في الطائرة النفاثة...

الأهداف الدقيقة لإسلام م.ض. مجهولة. وغني عن القول أن كل شخص مشارك له مصالح مختلفة وكلهم يعتزمون الغدر في مرحلة ما.

يحرّض إي.جي على إبادة إسرائيل: «مع كل هذا الشعور الصعب المناهض للغرب، فإنه يجد صعوبة في توفير وسائل متعة عند الشبان العرب. الوضع يكاد لا يطاق... إسرائيل تشكل مصدر إزعاج صريحاً». قصة تغطية نموذجية لإي.جي.

يبدي كليم وجودي اهتماماً بتدمير حقول النفط في الشرق الأدنى لتعزيز قيمة استثماراتهما الفنزويلية.

يكتب كليم نشيداً قصيراً وفق لحن «كرواد» (بيغ بيل برونزي):

ماذا ستفعلون عندما تجفّ حقول النفط؟
سأجلس هناك وأرقب العرب يموتون.

يطلق سلفادور شاشة سميكة من التمويل الدوليّ، على الأقل من ذوي الرتب المنخفضة في التنظيم، لحجب نشاطاته المتعلقة بعمله كمتسيّل... ولكنه، أثناء تعاطي الياغي، تحدث بحرية أمام أصدقائه.

«تعاملوا مع إسلام م.ض. كطعام شهيّ جاهز»، قال وأدّى

رقصة المتسيّلين... ثم انطلق يغني بطبقة صوت عالية فاقداً القدرة على كبح نفسه:

إنّه يهتزّ على الحافة
دفعة واحدة ويغرق في القاع
هيه ماما، استعدّي للحداد.

«حسناً، هؤلاء المواطنون استفادوا من خدمات يهودي من بروكلين تخفّى في هيئة العودة الثانية لمحمد... في الواقع، قام الدكتور بينوي بإنقاذه بعملية قيصيرية من رجل مقدس في مكة...

«إذا لم يخرج أحمد... سندخل ونخرجه».

هذا العميل المزروع يتم قبوله بلا أي شكوك بين العرب السذج.

يقول كليم: «هؤلاء العرب قوم لطيف... قوم جاهل لطيف».

هكذا، أعطى هذا المزيف دروساً يومية في الشريعه على الراديو: «تحية لجمهور أصدقاء الراديو، هذا هو أحمد، نبيكم الودود... اليوم أود أن أتحدث عن أهمية الوسامة والقبل المنعشة في كل الأوقات... يا أصدقاء، استخدموا أقراص كلوروفيل جودي ولا تقلقوا».

الآن: كلمة حول أحزاب إنترزون...

يتضح على الفور أن حزب التصفية، باستثناء رجل واحد، مكوّن بالكامل من المغفلين، لكن حتى الاستيعاب النهائي، فإنه ليس واضحاً من يخدع من... يميل المتسيّلون إلى كافة أشكال الانحراف، وخاصة الممارسات السادو-ماسوشية...

عادةً ما يكون المتسيّلون على علم بالنتيجة. أما المرسِلون، من جهة أخرى، فهم مشهورون بجهلهم بطبيعة وحالة الإرسال، وبأخلاقهم الهمجية والصّالحة، وبخوفهم من أي حقيقة. وحده تدخّل الوقائعيين منع المرسلين من وضع آينشتاين في مؤسسة وتدمير نظريته. يمكن القول إن ثلّة من المرسلين تعرف ما تفعل، وهؤلاء المرسلون الكبار هم أخطر الرجال في العالم وأكثرهم شراً...

في البداية، كانت تقنيات الإرسال خاماً. فليختفِ المؤتمر الإلكتروني الوطني في شيكاغو. يرتدي المشاركون في المؤتمر معاطفهم... يتحدث الخطيب إليهم بصوت وتيريّ مثل صوت بائعة:

«في الختام، أريد أن أقول كلمة تحذير... إن النتيجة المنطقية لأبحاث الدماغ هي المقاومة الحيوية، أي التحكم في الحركة البدنية، والعمليات العقلية، والتفاعلات العاطفية والانطباعات الحسية الظاهرية عن طريق الإشارات البيوكهربائية المحقونة في الجهاز العصبي للفرد».

«بصوت أعلى ومضحك أكثر!» يهرب المشاركون بشكل فوضوي في سحب من الغبار.

«بعد وقت وجيز من الولادة يقوم الجراح بتركيب وصلات في الدماغ. يمكن توصيل جهاز راديو مستقبل صغير والسيطرة على الفرد من أجهزة إرسال تتحكم بها الدولة».

يستقرّ الغبار في الهواء الساكن للقاعة الفارغة والرحبة- رائحة حديد ساخن وبخار. مشعاع يطلق صوتاً من بعيد... يعدّل الخطيب أوراقه ويهفّ عنها بقايا الغبار...

«جهاز المقاومة الحيوية هو نموذج أولي للتحكم في توارد الخواطر أحادي الاتجاه. يمكن أن يكون الأفراد عرضة لجهاز

الإرسال عن طريق المخدرات أو غيرها من دون تركيب أي جهاز... هل سمع أحدكم عن مخطوطات المايا؟ أعتقد ما يلي: الكهنة - والذين يشكّلون حوالي واحد في المئة من السكان - استخدموا بث توارد أحادي الاتجاه بهدف توجيه العمال لما يشعرون به ومتى... على المرسل بطريقة توارد الخواطر أن يبث طوال الوقت. لكن لا يمكنه أن يستقبل، لأن الاستقبال يعني أن شخصاً آخر لديه مشاعر خاصة به يمكنه أن يوقف تواصل الإرسال. يجب على المرسل أن يبث كل الوقت، لكنه لا يستطيع إعادة شحن نفسه بواسطة الاتصال. عاجلاً أم آجلاً لن تبقى لديه مشاعر ليبثها. لا يمكن أن تحمل مشاعر وأنت وحيد كوحدة المرسل - وأنت تدرك أنه يمكن أن يكون هناك مرسل واحد فقط في مكان/زمن واحد... وأخيراً تنطفئ الشاشة... لقد تحول المرسل إلى حريشة ضخمة... عندها يتحرّك العمال باتجاه شعاع الإرسال ويحرقون الحريش وينتخبون مرسلا جديدا بإجماع يعكس الإرادة العامة... كان شعب المايا محدوداً بسبب عزلتهم... الآن يمكن لمرسل واحد أن يسيطر على كوكب الأرض... *كما ترون، لا يمكن أن تكون السيطرة وسيلة لأي هدف عملي... لا يمكنها أن تكون وسيلة لأي شيء إلا لسيطرة إضافية... مثل الجانك..*».

يشغل «المنقسمون» مكانة وسطيّة. يمكن في الواقع أن نطلق عليهم لقب المعتدلين... يُطلق عليهم لقب «المنقسمون» لأنهم ينقسمون، حرفياً. يقطعون لحمهم إلى قطع صغيرة، وينمّون نسخاً مطابقة لهم داخل العلقة. من المحتمل- ما لم تتوقف عملية التقسيم، أنه في نهاية المطاف لن تكون هناك سوى نسخة واحدة من جنس

واحد على هذا الكوكب: أي شخص واحد في العالم بملايين الهيئات المنفصلة... هل هذه الهيئات مستقلة فعلاً، ويمكن أن تطور مع الوقت مزايا متنوعة؟ أشك. يجب إعادة شحن النسخ المطابقة من الخلية الأم بشكل دوري. هذا بند من بنود إيمان المنقسمين الذين يعيشون في خوف دائم من ثورة النسخ المطابقة... يعتقد بعض المنقسمين أنه يمكن إيقاف العملية قبل وقوع الاحتكار من قبل إحدى النسخ المطابقة. يقولون: «فقط دعوني أزرع بعض النسخ في المكان، حتى لا أكون وحيداً في السفر... ويجب علينا أن نراقب بشكل صارم التقسيم غير المرغوب فيه...». في نهاية المطاف كل نسخة مطابقة - عدا عن نسختك - غير مرغوب فيها». بالطبع إذا بدأ أحدهم بملء المنطقة بالنسخ المطابقة، فالجميع يعلم ما يحدث. عندها يعلن المواطنون الآخرون «شلوبيت» (مذبحة جماعية لجميع النسخ المطابقة). ولتفادي إبادة نسخهم المطابقة، يقوم المواطنون بصبغها وتشويهها وتغيير شكلها باستخدام قوالب الوجه والجسم. وحدهم المهملون والوقحون يغامرون بتصنيع النسخ المطابقة.

قائد أمهق قميء، هو نتاج سلسلة طويلة من الجينات المرتدة (فم صغير بلا أسنان يحوطه زغب أسود، جسم سلطعون ضخم، مخالب بدلاً من الذراع، عيون عند أطراق السيقان) جمع ٢٠,٠٠٠ نسخة مطابقة.

«بقدر ما يمكن للعين أن ترى، لا شيء غير النسخ المطابقة»، يقول، ويزحف على شرفة منزله ويتحدث بصوت حشريّ غريب. «لستُ مضطراً إلى الاختباء كأيّ أحمق، وأربّي نسخي المطابقة في بالوعة المجاري وأهرّبها في زي سبّاكين ورجال التوصيل... لا

يمكن لأي جراحة تجميليّة أو ألوان بربرية وعمليات تبييض أن تشوه الجمال الباهر لنسخي المطابقة، فهي تظهر عارية في الشمس ليراها الجميع، بجمال جسدها ووجهها وروحها البراق. لقد صنعتها من هيئتي وأمرتها بالتكاثر بمتسلسلة هندسيّة لأنها سترث الأرض».

تم استدعاء ساحر محترف لجعل النسخ المطابقة للشيخ أراكنيد عقيمة للأبد... وبينما كان الساحر يستعد لإطلاق مثبط-أورغونات، قال له بينوي: «لا تتعب بنفسك. سوف يمحو فيروس الأتاكسيا عشّ هذه النسخ المطابقة. لقد درست علم الأعصاب على يد الأستاذ فينغربوتوم في فيينا... وكان يعرف كل عصب في الجسم. شيء رائع... كانت نهايته سيئة. انفجرت بواسيره بينما كان في سيارة الدوق دي فينتري واشتبكت بالعجلات الخلفية. خرجت أحشاؤه، وعلى المقعد المنجّد بجلد الزرافة بقيت قشرة فارغة... حتى العينان والدماغ اقتُلعا محدثَين صوتاً رهيباً. يقول الدوق دي فينتري إنه سيحمل هذا الصّوت المروع إلى ضريحه المشيّد».

بما أنه لا توجد طريقة مؤكدة للكشف عن نسخ مطابقة مقنّعة (على الرغم من أن كل منقسم له أسلوب يعتبره معصوماً) فإن المنقسمين زورانيّون بشكل هستيري. إذا تجرأ أحد المواطنين على التعبير عن رأي ليبرالي، فإن مواطناً آخر سيهزأ على الدوام: «من تكون أنت؟ نسخة مطابقة باهتة لزنجيّ نتن؟».

عدد المصابين في العراكات التي تقع في الحانات مذهل. في الواقع، الخوف من النسخ المطابقة للزنوج - التي قد تكون شقراء وزرقاء العيون - قد أفرغ مناطق بأكملها. فالمنقسمون مثليون سراً وعلانية. منحرفون مسنّون وأشرار يقولون للفتية: «إذا ذهبتم مع النساء فلن تنمو نسخكم المطابقة». والمواطنون لا يتوقفون عن إلقاء السحر

على مزارع النسخ المطابقة للآخرين. صرخات من نوع: «اسحري مزرعتي يا ساحرتي!» يتبعها ضجيج، يرنّ باستمرار في الحيّ السكنيّ... يميل المنقسمون عموماً إلى ممارسة السحر الأسود، ولديهم صيغ لا تعد ولا تحصى ذات نجاعة متفاوتة المستويات لتدمير الخلية الأم، والمعروفة أيضاً باسم الأب البروتوبلازمي، عن طريق تعذيب أو قتل النسخة المطابقة... لقد توقفت السلطات في نهاية الأمر عن محاولة للسيطرة على جرائم القتل والإنتاج غير المرخّص للنسخ المطابقة لدى المنقسمين. لكنها تشنّ غارات قبل الانتخابات وتدمر مزارع ضخمة من النسخ المطابقة في المناطق الجبلية في إنترزون حيث يختبئ منتِجو النسخ المطابقة غير القانونيين.

يمنع منعاً باتاً ممارسة الجنس مع نسخة مطابقة ويمارَس الأمر بشكل شبه عالمي. في حانات المثليين يتزاوج المواطنون علناً مع نسخهم المطابقة. يدس رجال الأمن رؤوسهم في غرف الفنادق قائلين: «هل توجد نسخة مطابقة هنا؟».

الحانات التي تعجّ بعشاق النسخ المطابقة متدنّي المستوى يعلّقون لافتات عليها علامات تتألف من فاصلتين على النحو التالي: لا تُقدّم الخدمة لأصحاب الـ...

يمكن القول إن المنقسم العادي يعيش أزمة متواصلة من الخوف والغضب، غير قادر على تحقيق الرضا الذاتي النزيه للمُرسلين أو الفساد الطليق للمتسيّلين... ومع ذلك، فإن الأحزاب ليست منفصلة في الممارسة بل تمتزج في كل التراكيب.

الوقائعيون مناهضون للمتسيّلين، مناهضون للمنقسمين، وفوق كلّ شيء مناهضون للمرسلين. نشرة المركز الوقائعي حول موضوع

النسخ المطابقة: «يجب أن نرفض الحل السهل لإغراق الكوكب بـ'النسخ المطابقة المرغوبة'. هناك شك كبير حول ما إذا كانت هناك أي نسخ مطابقة مرغوبة، مثل هذه المخلوقات التي تشكل محاولة التملص من العمليات والتغيير. وحتى أكثر النسخ المطابقة ذكاءً، وكمالاً وراثياً من المحتمل أن تشكل تهديداً فظيعاً على الحياة على هذا الكوكب...».

ن.خ.- نشرة خاصة- التسيّل: «لا يجب أن نرفض نواتنا البروتوبلازمية أو ننكرها، ونكافح في كلّ وقت من أجل الحفاظ على أقصى قدر من المرونة من دون الوقوع في مستنقع التسيّل...».

نشرة مؤقتة وجزئية: «نؤكّد أننا لا نعارض البحث التخاطري. في الواقع، قد يكون التخاطر إذا تم استخدامه وفهمه بشكل مناسب هو طريقة الدفاع الأفضل ضد أي شكل من أشكال الإكراه المنظم أو الاستبداد من جانب جماعات الضغط أو مدمني السيطرة الفردية. إننا نعارض، كما نعارض الحرب الذرية، استخدام مثل هذه المعرفة في الإكراه، السيطرة، استنزاف، استغلال أو إبادة فردانية مخلوق حي آخر. التخاطر بطبيعته ليس عملية أحادية الاتجاه، ويجب اعتبار محاولة إنشاء عملية تخاطرية أحادية الاتجاه بمثابة شر غير مطلق...».

ن.ن.- نشرة نهائية: «سيتم تعريف المرسل بشكل سلبي. منطقة ضغط منخفض، فراغ يرضع. سيكون مجهول الهوية على نحو تهديديّ، بلا وجه، بلا لون، سيولد - على الأرجح - مع أقراص ناعمة من الجلد بدلاً من العيون. على غرار الفيروس، سيعرف وجهته دائما. لا يحتاج إلى عيون».

«ألا يمكن أن يكون هناك أكثر من مرسل واحد؟».

«أوه نعم، سيكون هناك الكثير منهم في البداية. ولكن ليس لفترة طويلة. بعض المواطنين الحساسين سوف يعتقدون أنه يمكنهم إرسال شيء يثقف ويهذب، لكنهم لا يدركون أن الإرسال في حج ذاته شرير. سيقول العلماء: 'الإرسال مثل قوة ذرية... إذا تم تسخيره بشكل صحيح'. في هذه المرحلة، يقوم فنيّ شرجيّ بخلط بيكربونات الصودا ويضغط على المفتاح الكهربائي الذي يحوّل الأرض إلى غبار كوني ('تجشؤ... سوف يسمعون هذه الضرطة على المشتري')... سوف يخلط الفنانون بين الإرسال والإبداع. سيجتمعون ويصرخون: وسيط جديد، حتى يتوقفوا عن التذمّر... سوف يجادل الفلاسفة في الغايات والوسائل دون أن يفهموا *أن الإرسال لا يمكنه أبداً أن يكون وسيلة لأي شيء إلا للمزيد من الإرسال، مثل الجانك*. حاولوا استخدام الجانك كوسيلة لشيء آخر... سوف يتحدث بعض المواطنين المدمنين على سيطرة «الكوكا كولا» و«الأسبرين» عن سحر شر الإرسال. لكن لن يتحدث أحد عن أي شيء طويلاً. المرسل، لا يحب التحدث».

المرسل ليس كائناً بشرياً... إنه فيروس بشريّ. (كل الفيروسات هي خلايا تالفة تعيش بشكل طفيلي... لديها ألفة خاصة للخلية الأم؛ لهذا تبحث خلايا الكبد التالفة عن مكان التهاب الكبد الوبائي، إلخ. لذلك، كل نوع لديه فيروس رئيسي: هو الصورة التالفة لهذا النوع).

تتغير الصورة المهشّمة للنوع البشري دقيقة بدقيقة ومن خلية إلى خلية... الفقر والكراهية والحرب المجرمين- رجال الشرطة، البيروقراطية، الجنون، جميعهم أعراض الفيروس البشري.

يمكن اليوم عزل الفيروس البشري وعلاجه.

يتواجد مكتب موظف المقاطعة في مبنى ضخم مشيد من الطوب الأحمر ويُعرف باسم «المحكمة القديمة». في الواقع، هناك قضايا مدنية نوقشت فيها، لكن الإجراءات فيها لا تنتهي إلى أن يموت أحد الأطراف أو يتنازل عن القضية. يرجع ذلك إلى العدد الهائل من الملفات المتعلقة بكل شيء على الإطلاق، وإلى حقيقة كون الملفات غير مرتبة بشكل متعمد، حيث لا يستطيع أحد غير موظف المقاطعةومساعديه العثور عليها، وكثيراً ما يقضي سنوات في البحث، وفي الواقع، لا يزال يبحث عن المواد المتعلقة بدعوى التضرر التي تم تسويتها خارج المحكمة في عام ١٩١٠. أجزاء كبيرة من دار المحكمة القديمة تهدمت تماماً، وأجزاء أخرى خطيرة للغاية بسبب الانهيارات المتكررة. يوكل موظف المقاطعة البعثات الأكثر خطورة لمساعديه، الذين فقد العديد منهم حياتهم أثناء تأدية الخدمة. في عام ١٩١٢، حوصر مئتان وسبعة مساعدين في انهيار الجناح الشمال- شمال شرقي.

عندما يتم رفع دعوى ضد أي شخص في إنترزون، يتواطأ محاموه ضده لتحال القضية إلى دار المحكمة القديمة. وبمجرد حصول ذلك، يخسر المدعي القضية، لذلك فإن القضايا الوحيدة التي تحال إلى المحكمة القديمة هي تلك التي يفتعلها غريبو الأطوار والزورانيون الذين يتوقون إلى «جلسة استماع علنية»، والتي نادراً ما تحدث لأن وسائل الإعلام البائسة والجوعى هي فقط من تبعث مراسلاً من طرفها إلى دار المحكمة القديمة.

تقع دار المحكمة القديمة في بلدة ثقب الحمامة، خارج المنطقة

الحضرية. سكان هذه البلدة والمنطقة المحيطة بها من المستنقعات والغابات معروفون بالغباء الشديد والممارسات الهمجية التي رأت السلطات أنه من الأنسب عزلهم في حجز محاط بجدار مشيد من الطوب الحديدي المشع. رداً على ذلك، يلصق المواطنون المناشير المكتوب عليها: «*أيها المدنيون لا أرانا اللّه وجوهكم إذا غربت الشمس!*» وهي خطوة زجرية لا لزوم لها، لأن لا شيء سوف يجعل المدنيين يصلون إلى بلدة ثقب الحمامة إلا الظرف الطارئ.

قضيّتي ملحّة. يجب على لي أن يقدم إفادة فورية بأنه يعاني من الطاعون الدّبلي لتجنب طرده من المنزل الذي كان قد احتله لمدة عشر سنوات من دون دفع الإيجار. يعيش لي في الحجر الصحي الدائم. لذا يحزم حقيبة من الإفادات والالتماسات والإنذارات القضائية والتصاريح ويستقل حافلة إلى الحدود. يوجهه مفتش الجمارك المدني للمرور: «آمل أن تكون معك قنبلة ذرية في هذه الحقيبة».

يبتلع لي حفنة من الحبوب المهدئة ويدخل إلى سقيفة الجمارك في ثقب الحمامة. يقضي المفتشون ثلاث ساعات يدققون في أوراقه، يتصفحون الكتب المتربة التي تحتوي على اللوائح والواجبات التي يقرأون منها مقتطفات غير مفهومة ومشوشة تنتهي بـ: «وعلى هذا النحو يخضع للغرامة والعقوبة بموجب القانون ٦٦٦». ينظرون إليه نظرات ذات معنى.

يفحصون أوراقه بعدسة مكبرة.

«في بعض الأحيان يهرّبون لمريكيّات[1] قذرة بين السطور».

---

(١) قصائد فكاهية خماسية الأبيات.

«ربما كان يرغب في بيعها كورق تواليت. هل هذه الحماقات لاستخدامك الشخصيّ؟».

«نعم فعلاً».

«قال نعم».

«وكيف نعرف ذلك؟».

«لدي إفادة».

«حذق. اخلع ملابسك».

«بالضبط. ربما كان عليه وشم قذر».

يتحسسون جسده ويتفحصون مؤخرته بحثاً عن الممنوعات مجتهدين في إيجاد دليل على شذوذه الجنسي. يرطبون شعره ويرسلون الماء إلى التحليل. «ربما كان يخبئ المخدرات في شعره».

أخيراً، يحتجزون حقيبته. ويغادر السقيفة متثاقلاً مع خمسة وعشرين كيلوغراماً من الوثائق.

هناك أكثر من اثني عشر موظفاً تقريباً يجلسون على درجات خشبية متعفنة لدار المحكمة القديمة. يرقبونه بعيون زرقاء شاحبة، يحركون رؤوسهم ببطء على رقابهم المتجعدة (التجاعيد يعلوها بالغبار) متتبعين جسده وهو يصعد الدرج ويدخل المبنى. في الداخل، الغبار يتدفق في الهواء مثل الضباب، يرشح بين شقوق السقف، يرتفع في هيئة سحب من الأرض أثناء سيره. يصعد درجاً محفوفاً بالمخاطر - صرحوا بخطورته عام ١٩٢٩. تنهار درجة تحت ثقل وزنه، وشظايا جافة من الخشب تنغرز في لحم ساقه. ينتهي الدرج بسقالة عالية، مربوطة مع حبل مهترئ وبكَرات بدعامة تكاد تكون غير مرئية في المدى الجاف. يجلس بحذر في مقصورة ذات دولاب دوار. وزنه يشغل الآلات الهيدروليكية (صوت المياه

الجارية). يتحرك الدولاب بسلاسة وهدوء ويتوقف عند شرفة حديدية صدئة، متهرئة هنا وهناك مثل جلد حذاء قديم.

يسير في ممر طويل تصطف أبوابه، ومعظمها مسمّر أو مغلق. في مكتب وُضعت على بابه لوحة نحاسية خضراء مكتوب عليها *بدائع شرق أوسطي*، يجلس المستقل ويصطاد النمل الأبيض بلسانه الأسود الطويل. باب مكتب موظف المقاطعة مفتوح. يجلس موظف المقاطعة محاطاً بستة مساعدين. لي يقف عند المدخل. يواصل الموظف حديثه دون حتى أن ينظر إليه.

يقول موظف اللواء: «منذ أيام رأيت تيد سبيغوت... فتى طيب، أيضاً. لا يوجد مثله في كلّ إنترزون... تذكرت الآن أنّ اليوم كان يوم الجمعة لأن العجوز كانت تعاني من آلام الطمث وذهبت إلى صيدلية دوك باركر في شارع دالتون، تماماً مقابل قاعة ماما غرين للتدليك الأخلاقي، حيث كان إسطبل الخيول التابع لِجيد... الآن، كان جيد، سوف أتذكر اسمه الثاني بعد قليل، يعاني من حَوَل في العين اليسرى وزوجته من مكان ما من الشرق، أعتقد الجزائر، وبعد وفاة جيد تزوجت مرة أخرى، وتزوجت أحد الإخوة هون، كليم هووت إن لم تخنّي الذاكرة، فتى طيب أيضاً، الآن كان هووت يبلغ حوالي خمسة وخمسين عاماً في ذلك الوقت... لذا قلت لدوك باركر: 'إن عجوزتي تعاني من ألم الطمث. أعطني خمسين حبة من البارغوريك'».

«قال دوك: 'حسناً، يا آرتشي، يجب عليك أن توقع في الدفتر. الاسم والعنوان وتاريخ الشراء. هذا هو القانون'.

«سألت دوك عن اليوم، وقال: 'الجمعة، الثالث عشر من الشهر'.

«قلت لدوك: 'أعتقد أنني أخذت ما لي'.

«قال دوك: 'اسمع، اليوم صباحاً حضر شخص من المدينة. كان يرتدي لباساً فاخراً. كان معه وصفة لعلبة مورفين... وصفة غريبة قليلاً مكتوبة على ورق تواليت... قلت على الفور: «يا سيّد، أظن أنك مدمن»».

«قال: 'يا إلهي أعاني من أظفر في قدمي'.

«قلت: 'حسناً. يجب أن تتوخى الحذر، لكن طالما كنت تتألم ومعك وصفة طبية قانونية من طبيب يبدو لي أنه مُجاز، يشرفني أن أخدمك'.

«قال: 'هذا الطبيب فعلاً مجاز'... حسناً، أظنّ أن اليد اليسرى لم تكن تعرف ماذا فعلت اليمنى لأني أعطيته عن طريق الخطأ علبة كاملة من مسحوق تطهير المراحيض. لذلك أعتقد أنه هو أيضاً أخذ ما له».

«الشيء الذي يطهر دم الرجل».

«هذا ما فكرت فيه. من المفروض أن يكون أفضل من الكبريت ودبس السكر. الآن، آرتشي، لستُ فضولياً، ولكنني دائماً أقول، لا يمتلك المرء أسراراً لا مع اللّه ولا مع الطبيب. أما زلت تنكح العجوز؟».

«لماذا، دوك باركر... أعلمك أنني رجل أسرة وعضو في الكنيسة غير الطائفية الأولى ولم أذق مؤخرة أخرى منذ أن كنت معها ونحن أطفال».

«كانت أياماً يا آرتشي. هل تذكر كيف قمت مرة بتبديل علبة دهون الإوز بعلبة خردل عن طريق الخطأ؟ قالوا لي إنني أخلط بين

العلب دائماً... سمعوا صراخك في مقاطعة «كَنتليك»، مثل سمور معذب».

«أنت مخطئ يا دوك. أنت من تناول الخردل واضطررنا إلى الانتظار حتى تبرد».

«لا تتحاذق يا آرتشي. قرأت عن ذلك في إحدى المجلات وأنا أخرأ في مرحاض أخضر خلف المحطة... الآن أنت لم تفهم ما قلت يا آرتشي... كنت أشير إلى زوجتك باسم العجوز... أعني أنها لم تعد ما كانت عليه مع كل ما تعانيه من دمامل وضعف العين والشيخوخة والبواسير والحمى القلاعية».

«صحيح يا دوك. ليز مريضة. لم تعد كما كانت بعد الإجهاض الحادي عشر... كان هناك شيء غريب جداً. قال لي دوك فيريس ذلك بشكل مباشر، وقال: 'آرتشي، الأفضل ألا ترى هذا الكائن'. نظرته الطويلة أحدثت بي قشعريرة... حسناً، هذا بالضبط ما قلته أنت يا دوك، لم تعد كما كانت. ولا يبدو أن أدويتك تخفف عنها شيئاً. في الواقع، منذ أن بدأت تستخدم قطرة العين التي بعتها لها الشهر الماضي لم تعد تفرق بين النهار والليل... أنت تعلم أنني لا أحتمل ليز، البقرة العجوز، وهذا لا يعني أنني أستخف بأم وحوشي الميتة، خصوصاً وأنا أمتلك هذا الشيء الصغير الحلو الذي يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً... أنت تعرف أنها اعتادت العمل في صالون ماريللو لتنعيم وتجميل البشرة في مدينة نيغا».

«دائماً أحببت لحم الدجاج الأسود يا آرتشي. هل فعلتها في الفرج الأسود؟».

«أجل. فعلتها وما زلت أفعلها يا دوك. حسناً، العمل يناديني، علي العودة إلى الخردة المسنّة».

«أنا متأكد أنها بحاجة إلى تشحيم».

«أكيد يا دوك... هي ثقب جاف... شكراً على البارغوريك».

«والشكر على البقشيش يا آرتشي... هاهاها... اسمع، إذا واجهتك في إحدى الليالي مشكلة مع بندقية صدئة تعال إلي وتناول مشروب يوهيمبيني معي».

«سأفعل ذلك، دوك، أنا متأكد من ذلك. مثل الأيام الخوالي».

«لذا عدت إلى مكاني وسخنت بعض الماء وخلطت الباريغوريك بالقرنفل والقرفة ونبتة الساسافراس وناولتها لليز، وأعتقد أنني خففت عنها. على الأقل لم تزعجني... حسناً، في وقت لاحق ذهبت إلى دوك باركر مرة أخرى لشراء الواقي الذكريّ... وأنا على وشك الخروج، صادفت روي باين، فتى طيب أيضاً. لا يوجد من هو أفضل من روي باين في كل انترزون.. قال لي: «آرتشي، هل ترى الزنجي هناك في الموقف الشاغر؟ يأتي إلى هناك كل ليلة بنفس الطريقة العادية التي يمكنك أن تضبط فيها به. هل تراه خلف القراص؟ في كل ليلة، حوالي الساعة الثامنة والنصف، يذهب إلى هناك ويستمني بالصوف الفولاذي... يقولون إن هذا الزنجي واعظ'.

«هكذا عرفت ما الساعة تقريباً يوم الجمعة الثالث عشر من كل شهر، لأني بعد عشرين دقيقة وحتى نصف ساعة كنت أتناول جرعة من عقار الذبابة الإسبانيّة لدى دوك حيث بدأ يسري مفعوله وأنا أمر من المستنقع في طريقي إلى معسكر مرور الزنوج... هناك ينعطف الشارع عند المستنقع، حيث كان كوخ لزنجي عجوز، أحرقوه لاحقاً في كَنتليك. كان الزنجي مريضاً بالحمى القلاعية وصار أعمى... إذاً، صرخت فتاة بيضاء من تيكساركانا:

«روي، هذا الزنجي ينظر إليّ بطريقة قذرة. أشعر أنّني قذرة الآن».

«الآن، يا حلوتي، لا تقلقي. أنا والشباب سنحرقه».

«لكن ببطء، يا عسل. أحرقوه ببطء. لقد تسبب لي بصداع رأس مقرف».

«لذلك أحرقوا الزنجي وأخذ الرجل زوجته وعاد إلى تيكساركانا دون أن يدفع ثمن البنزين ولم يتوقف لو مدير محطة البنزين طوال الخريف عن الحديث حول الموضوع: 'هؤلاء المهاجرون المدنيون يأتون إلى هنا ويحرقون الزنجي ولا يدفعون حتى ثمن البنزين'.

«لقد دمّر تشيستر هوت كوخ الزنجي وأعاد بناءه خلف منزله في وادي بليد. غطّى جميع النوافذ بقطعة قماش سوداء، ولا تسألوا عما يدور هناك... تشيستر لديه بعض الطرق الغريبة... تماماً في المكان الذي كان فيه كوخ الزنجي، مقابل منزل عائلة بروكس حيث كانت الفيضانات كل ربيع، إلا أنّه لم يكن هناك منزل لعائلة بروكس وقتها... كان لشخص يدعى سكرانتون. الآن تم مسح قطعة الأرض في عام ١٩١٩... أعتقد أنكم تعرفون أن الرجل قام بهذه المهمة أيضاً. شخص يدعى همب كلارنس كان ينقب عن النفط بعصا السحرة... هو أيضاً شخص طيب، لا يوجد من هو أفضل منه في إنترزون. على كلّ، في تلك المنطقة أدركت أن تيد سبيغوت يستمني على جرو طينيّ».

مسح لي حنجرته. نظر إليه الموظف من فوق نظارته. «صبراً يا صديقي الصغير. أنتهي من عملي، وأتفرغ لك».

ثم يبدأ بسرد قصة حول زنجي أصيب بداء الكلب من بقرة.

«إذا، والدي يقول لي: 'أنهِ عملك يا بني ولنذهب معاً لرؤية

الزنجي المجنون. . .' كان الزنجي مقيداً بالسرير وكان يخور مثل بقرة. . . لكن سرعان ما سئمت من هذا الزنجي. حسناً، اسمحوا لي، لدي مسألة أقوم بها في مجلس المراحيض. . هه هه هه!».

أصغى لي بذعر. اعتاد موظف المقاطعة على قضاء أسابيع كاملة في المرحاض وهو يتغذى من العقارب وكتالوجات البريد المباشر. في عدة حالات، اضطر مساعدوه إلى اقتحام الباب وحمله في وضع صحي يرثى له. قرر لي أن يستخدم آخر أوراقه.

قال: «سيد أنكر، أتوجه إليك باسم أنقياء العرق الجنوبيين. . .» وأخرج بطاقة عرقه النقي، من أيام المجون.

نظر الموظف إلى البطاقة نظرة شك: «لا تبدو لي نقي العرق. . . ما رأيك في اليهوووود. . .؟».

«جميعنا نعلم ماذا يريد اليهود يا سيد أنكر. . . نيك فتاة مسيحيّة. . سيأتي يوم ونقطع ما تبقّى منهم».

«حسناً، أنت تتحدّث جيداً كَمَدنيّ. . . تولّوا أمره واهتمّوا به. . . إنّه فتى طيّب».

إنترزون

المواطن الوحيد في إنترزون الذي لا يمارس الشذوذ وليس متفرّغاً هو أراكنيد، سائق أندرو كيف. من جهة كيف، ليست المسألة تصنّعاً أو شذوذاً وإنّما ذريعة مفيدة لقطع العلاقات مع أي شخص لا يريد أن يقابله: «ليلة الباحة تحرّشتَ بأراكنيد، ولا أستطيع السماح لكَ بدخول منزلي مرة أخرى». الناس في إنترزون لا يتوقفون عن فقدان الوعي، سواء ثملوا أم لم يثملوا، بحيث لا أحد يستطيع أن

يقول على وجه اليقين أنه لم يتحرش بجسد أراكنيد الذي لا يثير شهوة.

أراكنيد هو سائق عديم النفع، بالكاد يستطيع القيادة. في إحدى المرات، دهس امرأة حبلى قدمت من الجبال حاملة على ظهرها كيساً من الفحم وأسقطت جنيناً ميتاً غارقاً في الدم في الشارع. خرج كيف من السيارة، جلس على حافة الرصيف وحرك بركة الدم بعصا في الوقت الذي استجوبت فيه الشرطة أراكنيد وألقت القبض في النهاية على المرأة لانتهاك القانون الصحي العام.

أراكنيد هو شاب غير جذاب ومتجهم. ذو وجه طويل ولون أزرق غامق. يملك أنفاً كبيراً وأسناناً صفراء كبيرة مثل الحصان. يمكن لأي شخص أن يجد سائقاً جذاباً، لكن أندرو كيف وحده قادر على العثور على أراكنيد؛ كيف، الروائي الشاب اللطيف والمنحط، الذي يعيش في مبولة مرمّمة في شارع الأضواء الحمراء في الحيّ الوطني.

إنترزون عبارة عن مبنى واحد واسع. الغرف مشيّدة من الإسمنت البلاستيكي الذي يستوعب الناس، ولكن عندما يكون هناك الكثير من البشر في غرفة واحدة، ويصدر صوت رطمة ناعمة ويتم دفع أحدهم عبر الجدار إلى الغرفة المجاورة، أي إلى السرير المجاور، حيث إن معظم الغرف تحوي أسرّة تُعقَد صفقات إنترزون عليها. همهمة الجنس والتجارة تهز إنترزون مثل خلية ضخمة:

«ثلثان في المئة. لن تتزحزح عن هذا الرقم، ولا لمصلحة من ينوب عني».

«ولكن أين هي سندات الشحن، يا حبوب؟».

«ليس في المكان الذي تبحث فيه، يا دلوع. هذا واضح جداً».

«حزمة من سراويل لي فايس مع حزام مع نتوء مدمّج. صنع في هوليوود».

«هوليوود، سِيام».

«حسناً، نمط أمريكي».

«ما العمولة؟... العمولة... العمولة».

«نعم، سبيكة، سفينة محمّلة بالفازلين المصنوع من وسخ الحيتان الأصلي في جنوب المحيط الأطلسي، وهي في الوقت الحاضر موجودة في الحجر الصحي من قبل مجلس الصحة في تييرا ديل فويغو في الأرجنتين. العمولة يا عزيزي! حتى لو تمكّنا فقط من تسريحها فقد فزنا».

(وسخ الحوت هو القمامة التي تتراكم في عملية تقطيع الحوت وطهيه. مادة بحرية مخيفة، يمكن أن تشم رائحتها من أميال. لم يجد أيّ أحد استخدام له حتى الآن).

شركة «إنترزون، استيراد غير محدود الضمان» بإدارة مارفي وليف سيّئ الحظ، اكتشفوا صفقة الفازلين. في الواقع، هم متخصصون في مجال المستحضرات الصيدلانية، وبصفتهم أصحاب خط جانبي، فإنهم يديرون محطة للتشخيص الأماميّ والخلفيّ تعمل على مدار الساعة - ستة طرق تأمين من الأمام إلى الوراء.

(تم تحديد ستة أنواع من الأمراض التناسلية حتى الآن).

إنهم يتوغّلون في الصفقة، يقدّمون خدمات غير متوقعة لوكيل شحن يونانيّ يعاني من التشنجات، ولفريق مناوبة كامل من مفتشي الجمارك. في النهاية، يختصم الشريكان ويدينان بعضهما بعضاً في السفارة حيث تتم إحالتهما إلى قسم «لا نريد أن نسمع شيئاً»، ويطردان من الباب الخلفي إلى ساحة شاغرة مغطاة بالبراز، حيث

تتقاتل النسور على رؤوس الأسماك. يطاردان أحدهما الآخر بشكل هستيري.

«أنت تحاول أن تضرب عمولتي!».

«عمولتك! من أمسك بهذه الصفقة الرابحة في المقام الأول؟».

«لكن بوليصة الشحن باسمي أنا».

«وحش! ولكن الفاتورة ستُسجّل باسمي».

«خنزير! لن ترى بوليصة الشحن حتى يتم إيداع نصيبي في حساب الضّمان».

«حسناً، إذن هيا نتبادل القبل ونتصالح. لا أنا لستُ بخيلاً ولستُ تافهاً».

يتصافحان من دون حماس وينقران بعضهما بعضاً على الخد.

يتواصل الاتفاق لمدة شهور. يستأجران خدمات منجر أعمال. في النهاية، يظهر مارفي مع شيك لـ ٤٢ كردياً تركستانياً تم سحبه من بنك مجهول في أمريكا الجنوبية، ليمرّ بإجراء خصم في أمستردام، وهو إجراء سيستغرق ١١ شهراً تقريباً.

الآن يمكنه الاسترخاء في مقاهي بلازا. يستعرض نسخة مصورة من الشيك. طبعاً لا يُظهر أبداً، خشية أن يقوم مواطن حسود ببصق الحبر الماحي على التوقيع أو يقوم بتشويه الشيك.

الجميع يطلب منه شراء المشروبات والاحتفال، لكنه يضحك بسعادة، ويقول: «الحقيقة هي أنني لا أستطيع شراء مشروب لنفسي. لقد أنفقتُ كلّ شيء على مرض الزهري الذي يعاني منه عليّ. لقد أصيب مرة أخرى من الأمام ومن الخلف. كنت على وشك ركل الوغد لكنكم تعلمون أنّي عاطفيّ».

يشتري مارفي لنفسه كأساً من الجعة، يُخرج عملة سوداء من بين أزرار سرواله. «احتفظ بالباقي».

يمسك النادل العملة في مجرود، ويبصق على الطاولة ويبتعد.

«متذمر! إنه يحسدني بسبب الشّيك».

مارفي كان في إنترزون منذ «عام قبل الصّفر» على حد تعبيره. وكان قد تقاعد من منصب غير محدد في وزارة الخارجية، «لمصلحة الخدمة». من الواضح أنه كان جميل الهيئة على نمط الهيئة الطلابية وقصة الشعر العسكريّة. لكن وجهه ترقق وظهرت انتفاخات أسفل ذقنه مثل الشمع المذاب. كان وركاه يثقلان.

كان ليف سيّئ الحظ نرويجياً طويل القامة ورفيعاً، يضع رقعة فوق عين واحدة وابتسامة متكلّفة تعلو وجهه على الدوام. ملحمة أسطورية من الشركات المخفقة تقف خلفه. كان قد فشل في تربية الضفادع، الشينشيلا، السمك السيامي المفترس، اللآلئ والفروع المتحضّرة. جرّب، على نحو متعدد ومن دون نجاح، الترويج لدفن الأزواج العاشقة «اثنان- في -كفن». حاول السيطرة على سوق الأوقية المطاطية في فترة نقص المطاط، تشغيل ماخور بالإرسال المباشر، إصدار البنسلين كدواء بلا وصفة طبيّة. كان قد اتبع أنظمة الرهان الكارثية في الكازينوهات في أوروبا وفي مضمار السباقات في الولايات المتحدة.

تلاءمت إخفاقاته في العمل مع سوء حظّه الرهيب في حياته الشخصية. أسنانه الأمامية حطّمها البحارة الأمريكيون الهمجيون في بروكلين. وقد التهمت النسور عينه عندما كان يشرب نصف لتر من الباريغوريك وأغمي عليه في متنزه مدينة بنما. علق بين الطوابق في المصعد لمدة خمسة أيام عندما كان مدمناً على الجانك. وذات مرّة

اختبأ في خزانة للأحذية وتعرض لنوبة من الهذيانات المتواصلة. ثم كان في القاهرة عندما انهار مع الأمعاء المختنقة والقرح المثقوبة والتهاب الصفاق وكان المستشفى مزدحماً جداً حيث عولج في المراحيض، وأخفق الجراح اليوناني وزرع له قرداً حيًّا في بطنه. وقد اغتُصب من قبل أحد الخدم وقد قام أحد مرافقي المستشفى بسرقة البنسلين وإبداله بمسحوق تطهير المراحيض. وذات مرة أصيبت مؤخرته بالسيلان، وعالجه طبيب إنكليزي نزيه بواسطة حقنة شرجية من حامض الكبريت الساخن، وخبير ألماني مختصّ بالطب التكنولوجي أزال الزائدة الدوديّة بفتاحة علب صدئة وبعض من قصاصات القصدير (واعتبر نظرية الجراثيم «هراء»). منتشياً بالنجاح، بدأ يقص ويقطع كل شيء يراه: «إن الجسم البشري يمتلئ بأجزاء لا لزوم لها. يمكن التدبّر بكلية واحدة. لماذا يجب أن تكون هناك كليتان؟ نعم كلية... لا يجب أن تكون الأجزاء الداخلية قريبة جداً بعضها من بعض، فهي تحتاج إلى موطن مثل أرض الآباء».

لم يكن قد تم الدفع لمنجز الأعمال بعد، وواجه مارفي احتمال توقفه لمدة أحد عشر شهراً حتى يتم صرف الشيك. وقيل إن منجز الأعمال قد وُلد على العبّارة بين إنترزون والجزيرة. كانت مهنته التسريع في تسليم البضائع. لا أحد يعرف على وجه اليقين ما إذا كانت خدماته فيها فائدة أم لا، وقد أثار ذكر اسمه الجدال على الدوام. تم الاستشهاد بحالات لإثبات كفاءته العجائبية وعدم أهليته المطلقة.

كانت الجزيرة عبارة عن محطة عسكرية وبحرية بريطانية تقع مباشرة قبالة إنترزون. تحتكرها إنجلترا على أساس إيجار سنوي مع إعفاء من الدفع، سنوياً، يتم تجديد عقد الإيجار وتصريح الإقامة

رسمياً. جميع سكان الجزيرة يتجمعون في مكب النفايات البلديّ، الحضور إلزاميّ. وفق قوانين المراسم، مطلوب من رئيس الجزيرة الزحف على بطنه في القمامة وتسليم تصريح الإقامة وتجديد عقد الإيجار، الذي وقعه كل مواطن في الجزيرة، إلى الحاكم المحليّ الذي يقف متألقاً في الزي الرسمي. يأخذ الحاكم التصريح ويدفعه إلى جيب معطفه:

«حسناً»، يقول بابتسامة مكتومة. «أرى أنكم قرّرتم إبقاءنا لعام آخر هنا، ها؟ لطيف من طرفكم. والجميع سعيد بذلك؟ هل من شخص غير سعيد بذلك؟».

الجنود في سيارات الجيب يمسكون بالمدافع الرشاشة يمرون عبر الحشود جيئةً وذهاباً بحركة بحث بطيئة.

«الجميع سعيد. حسناً، هذا جيد». يتحول بوجه بشوش إلى الرئيس المغلوب. «سأبقي أوراقك عندي لوقت الحاجة. ها ها ها». تتردد ضحكته الصارخة المعدنية عبر القمامة، ويضحك الحشد معه تحت سطوة بنادق التفتيش.

يتم فرض الطريقة الديمقراطية بدقة في الجزيرة. يواصل مجلس الشيوخ والكونغرس عقد جلسات لا نهاية لها لمناقشة التخلص من القمامة والرقابة على المراحيض العمومية، وهما القضيتان الوحيدتان اللتان تتمتعان بالسلطة القضائية. لفترة محدودة في منتصف القرن التاسع عشر، سُمح لهم بالسيطرة على قسم صيانة قردة البابون ولكن تم سحب هذا الامتياز بسبب كثرة التغيب في مجلس الشيوخ.

تم جلب قردة البابون السودانية ذات اللون الأرجواني إلى الجزيرة على أيدي القراصنة في القرن السابع عشر. تقول الأسطورة أنه عندما تغادر قردة البابون الجزيرة فإنها سوف تسقط. لم يتم

تحديد الطريقة والفاعل، كما أنّ قتل البابون جريمة يعاقب عليها القانون بالإعدام، على الرغم من أن السلوك المؤذي لهذه الحيوانات يُفقد المواطنين صبرهم. في بعض الأحيان يهتاج أحدهم، يقتل العديد من قردة البابون وينتحر.

دائماً ما يُفرض منصب الرئيس على المواطنين البغيضين الذين لا يتمتعون بشعبية. انتخاب الرئيس هو أعظم محنة وعار يمكن أن يصيب أحد سكان الجزيرة. الإهانة والخزي عظيمان لدرجة أن عدداً قليلا من الرؤساء أتموا مدة ولايتهم الكاملة، وعادة ما يموتون بروح مكسورة بعد عام أو اثنين. كان منجِز الأعمال رئيساً سابقاً وخدم طيلة السنوات الخمس الكاملة مدة ولايته. لاحقاً، قام بتغيير اسمه وخضع لعملية جراحية تجميلية، لمحو ذكرى وصمة عاره، قدر ما أمكن.

«نعم بالطبع... سندفع لك». كان مارفي يقول لمنجز الأعمال. «لكن خذ الأمر بأريحية. قد يأخذ بعض الوقت».

«بأريحية؟ بعض الوقت!».

«اسمع...».

«نعم لقد سمعت كل شيء. شركة التمويل سوف تسترجع كلية زوجتك الصناعية... وقد شدوا جدتك من رئتها الحديدية».

«هذه تحت الحزام يا رفيق...».

«بصراحة أتمنى لو أنني لم أشارك في هذه المسألة على الإطلاق. هذه الشحوم المقرفة تحتوي على الكثير من الكربوليك. توجهت إلى الجمارك الأسبوع الماضي. أدخلت عصا مكنسة إلى أحد البراميل، وتم التهاب طرف العصا كاملاً. بالإضافة إلى أن الرائحة كريهة. اذهب إلى الميناء وشاهد الأمر بنفسك».

«غير وارد في الحسبان»، صرخ مارفي. (الطبقية في إنترزون تحظر لمس أو حتى الاقتراب من شيء تبيعه. القيام بذلك يثير شبهة حولك بأنك تمارس البيع بالتجزئة، أي بائع متجول. يتم بيع جزء كبير من البضائع في إنترزون بواسطة الباعة المتجولين في الشوارع). «لماذا تقول لي كل هذا؟ هذا شيء دنيء! دع تجار التجزئة يقلقون بشأن ذلك».

«يسهل عليكم الكلام، يمكنكم أن تمرروا الأمر. لكن أنا أملك سمعة وعليّ الحفاظ عليها... ستحدث مشكلة في هذه المسألة».

«هل تُلمح إلى أنّ شيئاً ما غير شرعي في هذه المصلحة؟».

«ليس غير شرعي تماماً. ولكن غير مطابق للمواصفات. بالتأكيد غير مطابق».

«عُد إلى جزيرتك قبل أن تسقط! أعرفكَ منذ أن كنتَ تبيع مؤخرتك الحمراء في ساحة بلازا لقاء خمس بيزيتات».

«ولم يكن الكثير من الزبائن» أضاف ليف.

كانت هذه الإشارة إلى أصول الوكيل أكثر مما كان يحتمل...

انتصب في حركة تقليد متكلفة لأرستقراطيّ إنجليزي، متهيئاً لشتيمة ساحقة، ولكن بدلاً من ذلك، أطلق أنّةً، مثل كلب ركلوه. برز وجهه النّذير في ضوء يعمي من الكراهية المتوهجة... بدأ يبصق اللعنات بلكنة سكان الجزيرة البشعة والمخنوقة.

(يتجاهل جميع سكان الجزر أمر اللكنة أو ينكرون وجودها. يقولون: «نحن بريطانيون، ولا توجد لنا أي لكنة لعينة»).

تجمّع الزبد حول زوايا فم الوكيل. كان يبصق كرات صغيرة من اللعاب مثل قطع القطن. رائحة النفس الروحي الكريهة معلقة في

الهواء مثل سحابة خضراء. تراجع مارفي وليف مرة أخرى في خوف.

قال مارفي لاهثاً: «لقد جُنّ، دعنا نخرج من هنا!».

يداً بيد يختفيان في الضباب الذي يغطي إنترزون في أشهر الشتاء مثل بخار الحمام التركي البارد.

الفحص

عثر كارل بيترسون على بطاقة بريدية في صندوقه تدعوه أن يحضر عند الساعة العاشرة لموعد مع الطبيب بينوي في وزارة الصحة العقلية والمعالجة الوقائية...

«ما الذي يريدونه مني؟ على الأرجح ثمّة خطأ»، فكر بشكل نزق. لقد عرف أنهم لم يخطئوا... بالتأكيد لم يكن هناك خطأ في تحديد الهويّة...

لم يكن كارل ليتجاهل الحضور على الرغم من أن التغيّب لا ينطوي على عقوبة... كانت فريلاند دولة رفاه. كانت مكاتب الدولة على استعداد لتقديم كافة المساعدات الناجعة للمواطنين، بدءاً من مواد التسميد وانتهاءً بتوفير شريك جنسيّ. التهديد الضمني في هذا الكرم الغامر خنق عندهم مفهوم التمرد...

عبرَ كارل ساحة المدينة... انتصبت تماثيل نيكل عارية بارتفاع عشرين متراً بأعضاء تناسلية نحاسيّة وتصبّنت تحت الدوشات اللامعة... تفجّرت في السماء قبّة دار البلديّة المشيدة من الطوب الزجاجي والنحاس.

حدّق كارل مرة أخرى في السائح الأميركي مثلي الجنس الذي أخفض بصره وانشغل براشحات الضوء في آلته التّصوير. . .

دخل كارل متاهة الوزارة فولاذية الطلاء، وتوجه إلى مكتب الاستعلامات وأبرز بطاقته.

«الطابق الخامس. . . غرفة ٢٦».

في الغرفة ٢٦، نظرت الممرضة إليه بعينين باردتين تحت سطح البحر.

قالت مبتسمة: «الدكتور بينوي ينتظرك».

قال كارل في نفسه: «وكأن لا عمل له سوى انتظاري».

كان المكتب ساكناً تماماً، وينضحُ بضوء حليبي. صافح الطبيب يد كارل، وعينه على صدر الشاب. . .

«لقد رأيت هذا الرجل من قبل. لكن أين؟» فكّر كارل في نفسه.

جلس واضعاً ساقاً فوق الأخرى. نظر إلى منفضة سجائر على المكتب وأشعل سيجارة. . . نظر إلى الطبيب نظرة تحقيق مستقرّة كانت فيها لمسة وقاحة.

بدا الطبيب محرجاً. . . تململ وسعل. . . وقلّب الصحف. . .

«هممممم»، قال أخيراً. . . «اسمك كارل بيترسون أعتقد. . .» انزلقت نظارته على أنفه في محاكاة ساخرة للأسلوب الأكاديمي. . . هزّ كارل رأسه بصمت. . . لم ينظر الطبيب إليه ولكن يبدو أنه أدرك العِرفان. . . دفع بنظارته إلى مكانها بإصبع واحد وفتح ملفاً على المكتب الأبيض المطلي بالمينا.

«هممممممم. كارل بيترسون»، كرر الاسم بصوت مداعب، زم شفتيه وأومأ برأسه عدة مرات. تحدث مرة أخرى فجأة: «أنت تعرف بالطبع أننا نحاول. كلنا نحاول، وأحيانا نخفق بالطبع». علت

طبقة صوته الرقيقة والضعيفة. وضع يده على جبهته. «لتكييف الدولة - التي ليست سوى أداة - مع احتياجات كل مواطن على حدة». قوي صوته بشكل غير متوقع وعلا لدرجة أن كارل تراجع إلى الخلف. «هذه هي الوظيفة الوحيدة للدولة كما نراها. معرفتنا... غير مكتملة، بطبيعة الحال»، أشار بيده بحركة طفيفة تشي بغياب القيمة... «على سبيل المثال... على سبيل المثال... خذ مسألة الانحراف الجنسي». تأرجح الطبيب في كرسيه. انزلقت نظارته إلى أسفل على أنفه. شعر كارل فجأة بعدم الارتياح.

«نحن نعتبرها بليّة... مرضاً... ويجب فرض عقوبات عليه، بخلاف السل... نعم»، كرر بقوة رغم أن كارل لم يعترض على كلامه... «السل». من ناحية أخرى، يمكنك أن تفهم أن أي مرض يفرض التزاماً معيناً، بعض ضرورات الطبيعة الوقائية، على السلطات المعنية بالصحة العامة، وغني عن القول أن هذه الضرورات يجب فرضها مع الحد الأدنى من إزعاج الفرد والتنغيص عليه، والذي أصيب بالعدوى، دون أن يرتكب ذنباً... وهذا يعني بالطبع أن الحد الأدنى من المشقة يتلاءم مع الحماية الكافية للأفراد الآخرين الذين لم يصابوا بالعدوى... لا نجد أن التطعيم الإلزامي للجدري إجراء غير معقول... وليس عزلاً لبعض الأمراض المعدية... أنا متأكد من أنك ستوافق على أن الأفراد المصابين بما يطلق عليه الفرنسيون «الأمراض النبيلة» هه هه هه، «عليهم الخضوع للعلاج القسري إن لم يفعلوا ذلك طواعية». واصل الطبيب الضحك في خفوت والتأرجح في كرسيه مثل دمية آلية... أدرك كارل أن عليه الرد.

قال: «هذا يبدو معقولاً».

توقف الطبيب عن القهقهة. جمد فجأة. «الآن لنعد إلى مسألة

الانحراف الجنسي. بصراحة نحن لا ندعي أننا نفهم - على الأقل ليس بشكل تام - لماذا يفضل بعض الرجال والنساء الشراكة الجنسية مع أبناء جنسهم. الظاهرة شائعة، وفي ظل ظروف معينة، تصبح مجال اهتمام هذا القسم».

لأول مرة تومض عينا الطبيب على وجه كارل. عينان من دون أي أثر للإحساس بالدفء أو الكراهية أو أي عاطفة عاشه كارل في نفسه أو في الآخرين، بارد وحاد في نفس الوقت، غير شخصي وشرس. شعر كارل فجأة كالمحاصر في كهف صامت تحت الماء، منقطعا عن جميع مصادر الدفء واليقين. يتخيل نفسه أنه يجلس هناك هادئاً، متيقظاً يشع من وجهه احتقار مؤدب أصبح معتماً، كما لو أن حيويته استنزفت منه واختلطت مع البيئة الرمادية الحليبية للغرفة.

«إن علاج هذه الاضطرابات، في الوقت الحاضر، وفقاً للأعراض». ألقى الطبيب فجأة بنفسه مرة أخرى على كرسيه وانفجر بالضحك المعدني. شاهده كارل مفزوعاً... «الرجل مجنون»، قال في نفسه. خلا وجه الطبيب من الملامح مثل مقامر. أحس كارل بشعور غريب في معدته مثل التوقف المفاجئ للمصعد.

كان الطبيب يدرس الملف أمامه. تحدث بنبرة تسلية متعالية قليلاً:

«لا تخف أيها الشاب. إنها مجرد مزحة مهنية. عندما نقول إن العلاج وفقاً للأعراض فهذا يعني أنه لا يوجد دواء، باستثناء جعل المريض يشعر بالراحة قدر الإمكان. وهذا ما نحاول القيام به في هذه الحالات». مرة أخرى شعر كارل بأثر ذلك الاهتمام البارد على وجهه. «وهذا يعني الطمأنينة عندما تكون الطمأنينة ضرورية... وبالطبع التنفيس المناسب مع أفراد آخرين لهم ميول مماثلة. العزل

ليس ضرورياً... الحالة لا تصيب بالعدوى في التلامس المباشر أكثر من السرطان... السرطان، حبي الأول»، تراجع صوت الطبيب. وبدا أنه في الواقع كمن خرج من باب غير مرئي وترك جسده الفارغ جالساً هناك في المكتب.

فجأة تحدث مرة أخرى بصوت واضح. «وهكذا قد نتساءل لماذا نتناول هذه المسألة أساساً؟» ومضت ابتسامة مشرقة وباردة كالثلج في ضوء الشمس.

قال كارل: «هذا ليس شأني... ما أتساءل عنه هو لماذا طلبت مني أن آتي إلى هنا ولماذا تخبرني بكل هذا... الـ...».

«هراء؟».

كان كارل منزعجاً وشعر أن وجهه احمر.

استند الطبيب إلى الخلف وشبك أطراف أصابعه معاً:

قال بنبرة متساهلة: «الشبان. دائماً في عجلة من أمرهم. سيأتي يوم وتتعلّم معنى الصبر. لا يا كارل. يمكنني أن أناديك كارل؟ أنا لا أتهرب من سؤالك. في حالات الاشتباه فإننا- أي القسم المناسب - نطلب ونطالب أن يظهر شخص ما للفحص الفلوري. هذا بالطبع أمر روتيني. معظم هذه الفحوصات تكون سلبية. لذا، طلب منك المجيء إلى هنا، والخضوع لما يمكن تسميته بالفحص الفلور- نفسي. يمكنني أن أضيف أنه بعد التحدث معك أشعر أنني متأكد من أن النتيجة ستكون، لأغراض عملية، سلبية...».

«لكن الأمر برمّته مثير للسخرية. لطالما كنت أهتم بالفتيات فقط. لديّ فتاة ثابتة الآن ونحن نخطط للزواج».

«نعم، أنا أعرف ذلك يا كارل. وهذا هو سبب وجودك هنا. فحص دم قبل الزواج، هذا معقول، أليس كذلك؟».

«من فضلك يا دكتور، تحدث بشكل مباشر».

لا يبدو أن الطبيب يسمعه. طار عن كرسيه وبدأ يتجول خلف ظهر كارل، صوته ضعيف ومتقطع مثل موسيقى في شارع عاصف.

«يمكنني أن أخبركم بسريّة تامة أن هناك دليلاً قاطعاً على وجود عامل وراثي. الضغط الاجتماعي. كثير من المثليين سراً وعلانية، للأسف، يتزوجون. إن مثل هذه الزيجات غالباً ما تؤدي إلى... وجود عامل في بيئة طفولية». تواصل صوت الطبيب. كان يتحدث عن انفصام الشخصية والسرطان والوظائف الوراثية في منطقة الهايبوتلاموس.

بدأ كارل يشعر بالنعاس. فتح باباً أخضر. ملأت رائحة رهيبة رئتيه ونهض مصدوماً. كان صوت الطبيب مسطحاً إلى حدٍ كبير وغير مألوف، صوت مدمن هامس:

«اختبار بلومبرغ-ستانيسلويسكي لتشخيص تلبّد المنيّ... أداة تشخيصية... فعالة على الأقل في المؤشر السلبي. في حالات معينة مفيدة - تؤخذ كجزء من الصورة بأكملها. ربما في ضوء الظروف». علا صوت الطبيب بصيحة مرضيّة. «الممرضة ستأخذ منك العينة».

«من هنا من فضلك...»، فتحت الممرضة الباب على غرفة صغيرة خالية حيطانها بيضاء. ناولته مرطباناً.

«استخدم هذا من فضلك. نادني فقط عندما تكون مستعداً».

كان هناك مرطبان من الفازلين على رف زجاجي. شعر كارل بالخجل كما لو كانت والدته قد وضعت منديلاً له نُسجت عليه رسالة قصيرة على نحو: «لو كنتُ مهبلاً، لكنّا فتحنا متجراً للحم المجفف».

تجاهل الفازلين وقذف في المرطبن، ناكَ الممرضة بطريقة باردة

ووحشية قبالة حائط زجاجي. «مهبل زجاجي» قال ساخراً، وشاهد مهبلاً ممتلئاً بشظايا الزجاج الملون تلمع تحت الأضواء الشمالية.

غسل قضيبه وزرّر سرواله.

كان هناك شيء ما يراقب فكره وحركته، تبدّل خصيتيه، التقلص في فتحة الشرج، بكراهية باردة وساخرة. كان في غرفة تعج بالضوء الأخضر. كان هناك سرير مزدوج خشبي وسخ، خزانة سوداء مع مرآة كاملة الطول. كارل لم ير وجهه. كان هناك شخص يجلس على كرسي أسود لفندق. كان يرتدي قميصا أبيض صدره صلب وربطة عنق متسخة. وجه متورم تغيب عنه الجمجمة، وعيناه مثل قيح يغلي.

«شيء ما ليس على ما يرام»، قالت الممرضة بلا مبالاة. ناولته كوباً من الماء. شاهدته وهو يشرب من تلقاء نفسه. استدارت والتقطت المرطبان بنفور واضح. التفتت الممرضة إليه: «هل تنتظر شيئاً معيناً؟» سألت بصوت حاد.

لم يسمع كارل مثل هذه النبرة منذ أن أصبح بالغاً.

«لا...».

«يمكنك أن تغادر إذاً»، عادت إلى المرطبان. بشيء من الاشمئزاز مسحت مقداراً من السائل المنوي من راحة يدها.

عبر كارل الغرفة ووقف عند الباب.

«هل يجب أن آتي مرة أخرى؟».

نظرت إليه في مفاجأة مخيبة للآمال: «سيتم إبلاغك بالطبع». وقفت في مدخل الغرفة وشاهدته وهو يعبر المكتب ويفتح الباب. التفت وألقى تحية وداع أنيقة. لم تتحرك الممرضة أو تغير ملامحها.

وبينما كان ينزل عن الدرج، كانت الابتسامة الزائفة تحرق وجهه بالعار.

نظر إليه سائح مثلي الجنس ورفع حاجبه.

«هل ثمة *خلل*؟».

ركض كارل إلى أحد المتنزهات وعثر على مقعد فارغ بالقرب من تمثال برونزي لِفان معه صنج.

«إهدأ يا حلو ستشعر بتحسّن». كان السائح يميل عليه، وكانت كاميرته تتأرجح في وجه كارل مثل حلمة كبيرة متدلية.

«انصرف يا هذا!».

رأى كارل شيئا وضيعاً وبشعاً يطلّ من عيني الشاذ البنيتين، عيني بهيمة استأصلوا مبيضها.

«لو كنت مكانك لما تفوهت بكلمة يا حلو. أنت أيضاً مدمن، رأيتك تخرج من المؤسسة».

«ماذا تقصد بهذا؟» سأل كارل.

«لا شيء. لا شيء على الإطلاق».

«حسناً يا كارل»، بدأ الطبيب يبتسم ويثبت عينيه على مستوى فم كارل. «لدي بعض الأخبار السارة من أجلك». التقط قطعة من الورق الأزرق عن الطاولة وقلص وجهه بحركة تمثيلية لتعكس مجهوداً في التركيز. «فحصُكَ... فحص روبنسون-كليبرغ لتشخيص تلبّد المني...».

«ظننتُ أنه فحص بلومبرغ-ستانيسلويسكي».

ضحك الطبيب ضحكة نصف مكبوتة. «يا عزيزي لا... أنت تستعجل. يبدو أنك أسأت الفهم. بلومبرغ-ستانيسلويسكي، هذا هو نوع مختلف من الفحص تماماً. أتمنى ألا نضطر...»، ضحك من جديد ضحكة نصف مكبوتة. «لكن كما قلت قبل أن تتم مقاطعتي

بشكل ساحر... من قبل مممممم زميلي الشاب المتعلم. روبنسون- كليبرغ خاصتك...». مدّ ذراعه التي كانت تمسك بالورقة وتصفحها. «... سلبي اه تماماً. لذلك ربما لن نزعجك أكثر من ذلك». طوى قطعة الورق بعناية وأعادها إلى الملف. قام بتصفح الملف. وأخيراً توقف، عبس، وشدّ شفتيه. أغلق الملف ووضع يده عليه وانحنى للأمام.

«كارل، عندما كنت تؤدي الخدمة العسكرية... لا بد أنه كانت هناك فترات طويلة وجدت نفسك أه محروماً من المؤاساة *والمرافق* المتعلقة بالجنس الضعيف. خلال هذه الفترات التي لا شك أنها كانت صعبة ألم تمتلك صورة لفتاة عارية؟ أو حتى صورة لجناح حريمي؟ ها ها ها...».

نظر كارل إلى الطبيب بنوع من النفور.

«نعم، بالطبع» قال. «مثل الجميع».

«والآن، كارل، أود أن أريك بعض الفتيات العاريات». أخرج مظروفاً من الدرج. «وأطلب منك أن تختار الفتاة التي وددت أن تفعلها معها ها ها ها...» فجأة انحنى إلى الأمام ولوَّح بالصور أمام وجه كارل. «اختر فتاة، أي فتاة!».

مدّ كارل إصبعاً مخدراً ولمس إحدى الصور. وضع الطبيب الصورة مرة أخرى في العبوة وخلطها. وضع العبوة على ملف كارل ونقرها بحدة. نشر الصور أمام كارل.

«هل وجدتها؟».

هزّ كارل رأسه.

«بالطبع لا. إنها حيث يجب أن تكون. أين مكان المرأة؟». فتح

الملف وأخرج صورة الفتاة المرفقة بلوحة روشراخ. «هل هذه هي؟».

أومأ كارل بصمت.

«لديك ذوق جيد يا بني. سأخبرك بسر يجب أن يبقى بيننا، وهو أن هؤلاء الفتيات...» بأصابع المقامر قلب الصور بسرعة البرق - «إنهن عملياً ذكور».

كان حاجباه يرتفعان صعوداً وهبوطاً بسرعة لا تصدق. لم يكن كارل متأكداً أنه رأى شيئا شاذاً. كان وجه الطبيب جامداً وبلا تعابير على الإطلاق. مرة أخرى، عانى كارل من الإحساس العائم في معدته وأعضائه التناسلية مثل إحساس توقف المصعد فجأة.

«نعم، كارل، يبدو أنك عبرت مساقنا العقبة بامتياز... أخالك تحسب الأمر سخيفاً، أليس كذلك؟؟».

«حسناً، في الحقيقة... نعم...».

«أنت صريح يا كارل... هذا جيد... والآن... كارل...» سحب الاسم بصوت مداعب مثل محقق عذب وفاسد على وشك أن يقدم لك سيجارة «أولد غولد» (كل رجال الشرطة يدخنون «أولد غولد»)- ليبدأ بعمله...

يرقص المحقق الفاسد رقصة قصيرة.

«لماذا لا تقدم للرجل اقتراحاً». يضع رأسه نحو السوبر-ايغو المتوهج الذي يشير إليه دائماً بضمير الغائب باسم «الرجل» أو «الملازم».

«هذه هي طريقة الملازم، ستلعب معه بشكل منصف وسيلعب معك بشكل منصف. نحن نريد أن نخفف عنك... إذا ساعدتنا قليلاً».

تنفتح كلماته على خواء بائس لكافيتريات وزوايا الشوارع وحجرات الغداء. ينظر المدمنون في الاتجاه الآخر ويمضغون كعك الإسفنج.

«إن فاغ مخطئ».

يسقط فاغ في كرسي فندق باهت ولسانه يتدلى. ينهض من مكانه تحت أثر السطل ويعلّق نفسه من دون تغيير تعابيره أو إعادة لسانه إلى مكانه.

يسجل المحقق على إضمامة ورق.

«تعرف مارتي ستيل؟» يسجل.

«نعم».

«هل يمكنك أن تشتري منه؟» يسجل؟ يسجل؟

«إنه شكاك».

«ولكن يمكنك أن تشتري منه». يسجل. «لقد اشتريت منه الأسبوع الماضي، أليس كذلك؟» يسجل؟؟؟

«نعم».

«إذاً، يمكنك أن تشتري منه هذا الأسبوع». يسجل... يسجل... يسجل... «يمكنك أن تشتري منه اليوم». لا يسجل.

«لا لا! ليس هذا!!».

«الآن اسمع، ستتعاون معنا أم لا» - ثلاثة تسجيلات قاسية - «أو... أن الرجل سوف يخوزقك» يرفع حاجبه الأنثوي.

«إذاً، كارل رجاء، ارو لي بإرادتك كم مرة وتحت أي ظروف أشبعت رغباتك في الأفعال الجنسية المثلية؟؟؟» يتباعد صوته. «أميل إلى التفكير، في حال أنك لم تفعلها، أنك شخص شاذ بشكل غير

عادي». يرفع الطبيب إصبعه موبخاً متظاهراً بالخجل. «على أية حال...» قام بالضغط على الملف وألقى نظرة شرزاء.

لاحظ كارل سمك الملف. في الواقع يبدو أنه قد تكاثف بشدة منذ دخوله الغرفة.

«حسناً، عندما كنت أؤدي خدمتي العسكرية... اعتاد بعض الشواذ أن يقترحوا عليّ أشياء... وعندما أكون مأزوماً...».

«نعم، بالطبع يا كارل»، نهق الطبيب بحرارة. «لو كنت في موقفك لفعلت نفس الشيء... لا مانع أخبرك به ها ها ها... حسناً، أعتقد أنه بإمكاننا أن نرفض هذه الوسائل من أجل تجديد الموارد. والآن يا كارل، لا بد وأن كانت» - نقر إصبعاً على الملف الذي أطلق رائحة كريهة خفيفة لملابس داخلية متعفنة وكلور - «مناسبات لم يكن فيها أي عوامل اقتصادية».

انفجر ضوء أخضر في دماغ كارل. لقد رأى جسد هانز البني الفاتح - يتلوى تجاهه، وهو يتنفس بسرعة على كتفه. انطفأ التوهج. كانت حشرة ضخمة تتدحرج في يده. اهتزّ كل وجوده بحركة سريعة في تشنج يبعث على الاشمئزاز.

نهض كارل على قدميه بغضب.

«ماذا تكتب هناك؟» طلب أن يعرف.

«هل يحدث لك غالباً أن تغفو هكذا أثناء المحادثة...؟».

«لم أغفُ تماماً».

«حقاً؟».

«كل الموضوع غير واقعي... سأرحل الآن. لا يهمني. لا يمكنك أن تجبرني على المكوث».

قطع الغرفة متجهاً نحو الباب. طالت مشيته. تخدرت ساقاه. بدا الباب آخذاً في الانحسار.

«أين يمكنك الذهاب يا كارل؟» وصله صوت الطبيب من مسافة بعيدة.

«إلى الخارج... بعيداً... عبر الباب...».

«الباب الأخضر يا كارل؟».

كان صوت الطبيب بالكاد مسموعاً. انفجرت الغرفة بأكملها في الفضاء.

هل رأيتم روز بانتوبون؟

«هل رأيتم روز بانتوبون؟» سأل المدمن العجوز... «حان وقت التسكّع»، يرتدي معطفاً علوياً أسود اللون ويخرج باتجاه الميدان. عند مزلق الشارع باتجاه متحف شارع السوق يتواجد كافّة أشكال المستمنين وخبراء التدمير الذاتيّ. الشّبان بحاجة إلى ذلك...

رجل العصابة المصبوب داخل الباطون يتدحرج في قاع القناة الموصلة إلى النّهر... أحضروها له في غرفة البخار... هل كان ذلك جيو صاحب المؤخرة الكرزية، فتى المناشف، أم غيليغ المخيفة، العمّة العجوز من ويستمنستر بلايس؟؟ وحدها الأصابع الميّتة تقرأ خطّ برايل.

يُدحرج ميسيسيبي صخوراً جيريّة صوب منحدر الزقاق السّاكن...

«سدّوا الثغرات»، صرخ قائد الأرض المتحركة...

البُطون تقرقر من مسافاتٍ بعيدة... أضواء الشّماء تُمطر حماماتٍ مسمومة... الخزانات خاوية... تماثيل نحاسيّة تتحطّم في الميادين والأزقّة الجوعى للمدينة النّجلاء...

عمليّة بحثٍ عن وريد لدى مرضى الهيروين صباحاً...

وقطعاً شرابٌ للسّعال...

ألفٌ من المدمنين يكتسحون عيادات علاج العمود الفقريّ- البلوريّ ويطبخون الممرّضات العجوزات...

في مغارة مشيّدة من الحجر الجيري التقيتُ برجل له رأس ميدوزا في صندوق من القبعات وقلت «احذر» لمفتّش الجمارك... يدٌ مجمّدة للأبد على مبعدة سنتيمترات قليلة من القاع المضلّل...

يصرخ المحتالون مهتاجين عند المحطّة ينصبون على الصرّافين بنعومة الشواذّ.

«كسر معقّد»، قال الطبيب الكبير... «أنا تقنيّ جداً...».

استهلاكٌ سافر يسود في الأروقة الزلقة جراء بصاق كوخ...

تقضمُ الحريشة البابَ الحديديّ الصدئ ويحوّله إلى ورق أسود رقيق، تحت بول مليون مثليّ...

لا توجد هنا حمولةٌ وفيرة، وإنما مادّة فاسدة، جولةُ تودّد أخرى تتعقّب أثر الحقنة...

بقّ الكوكايين

قبعة البحّار الصوف الرماديّة ومعطفه الأسود كانا معلّقين ومثنيّين في حالة انتظار توّاقة وضامرة. أشعة شمسٍ صباحيّة غطّت جسده بلهيب الهيروين البرتقالي الضارب إلى الصّفرة. وضع منديلاً ورقياً

تحت فنجان القهوة - علامة لأولئك الّذين يكثرون من الانتظار لاحتساء القهوة في الساحات والمطاعم والمحطات النهائيّة وبقية غرف الانتظار في العالم. المُدمن، حتى على مستوى البحّار، يعمل في إطار زمن الجانك، وعلى غرار جميع الملتمسين الذين يتطفلون على وقت الآخرين، يجب عليه أن ينتظر. (كم فنجاناً من القهوة خلال ساعة؟).

حضر فتى وجلس على الكونتوار في خطوط متكسرة من الانتظار الطويل والمرضيّ للهيروين. ارتجف البحار. اضطرب وجهه وفقد حدّته في الضباب البنيّ المرتجف. تحركت يداه على الطاولة وهما تقرآن بطريقة برايل للفتى. تتبعت عيناه بعض المَيَلانات والدوائر، متعقّبةً جدلاتٍ من الشعر البني على عنق الصبي في حركة بحث بطيئة.

تحرك الفتى في مكانه وحكّ الجزء الخلفي من رقبته: «شيء ما لسعني يا جو. أي جحر هذا الذي تديره؟».

«بق الكوكايين»، قال جو وهو يحمل بيضاً قبالة الضوء: «كنت أتسكّع مع إيرين كيلي وكانت امرأة رياضية. وفي مكان ما، في ولاية مونتانا، فأصيبت برعب الكوكايين وركضت في الفندق وهي تصيح بأن رجال شرطة صينيين يطاردونها بسواطير جزارين. عرفتُ شرطياً كان يتعاطى الكوك الذي وصله في هيئة بلورات، بلورات زرقاء. هي أيضاً جُنّت وبدأت تصيح بأن رجال الشرطة الفدراليّة يلاحقونها، حيث هربت إلى زقاق ودفنت رأسها في حاوية قمامة. قلتُ لها: 'ماذا تفعلين؟' قالت: 'انصرف وإلا أطلقت النار عليك'. ثمّ غادرت واختبأت. عندما يُنادى بالأسماء في الأعلى سنتواجد هناك، أليس كذلك؟».

نظر جو إلى البحّار ومدّ يديه في حركة قبول لكلام المدمن.

تحدث البحّار بصوته الذي يُستعادُ في رأسك، موضحاً الكلمات بأصابع باردة: «تاجرك الذي يزوّد البضاعة قطع الاتصال يا فتى».

جفل الفتى. وجهه، وجه فتى شوارع مزّقته ندبات الهيروين السوداء، يحتفظ ببراءة قاتلة، منكسرة، وحشيّة. حيوانات خجولة تتلصّص عبر نقش أرابيسك رماديّ من الرعب.

«لا أفهم ما تقول يا جاك».

عاد البحار إلى تركيز المدمنين الحاد. قلب طيّة صدر السترة، وكشف عن إبرة النحاس عليها عفونة وزنجار.

«متقاعد من أجل الخدمة الجيدة... فطيرة التوت على الحساب... سوف يعشقها سُطلك... ستمنحه إحساساً دافئاً».

من الطرف الثاني للمطعم، شعر الفتى بلمسة على ذراعه. سُحب فجأة إلى الكشكِ، وهبط بصَوت غير مسموع. نظر إلى عيني البحّار، كون أخضر تتحرك فيه التيارات السوداء الباردة.

«أنت وكيل يا سيد؟».

«أفضل كلمة... فكتور». هزّ صوته الضّاحك بدن الفتى.

«هل معك بضاعتك يا رجل؟ معي نقود...».

«أنا لا أريد أموالك، يا حبوب: أريد وقتك».

«لا أفهم».

«هل تريد أن تشتري؟ تريد حقنة؟ هل تريد أن تغفوووو؟» هزّ البحار بيده شيئاً ورديا شيء وردي وتلاشى وجهه.

«بلى».

«سنتولى خطّ الإندبندنت. تحت كلّ خط توجد شرطة، لا

تحمل المسدسات وإنما الهراوات. أذكر، أنا وفاغ سقطنا مرة في كوينز بلازا. ابتعد عن كوينز بلازا يا حبوب... مكان سيّئ... الشرطة تربض هناك. ثمّة زوايا خفية كثيرة هناك. يخرجون عليك من خزانة مواد التنظيف متهيّجين على الأمونيا مثل أسود تحترق... يهجمون على نشالة سكارى مسكينة وينشفون لها أوردتها من فرط الخوف. الآن تحقن حقنتها الأسبوعية منذ خمسة أشهر وتسع وعشرين يوماً في الوقت الذي تقوم فيه بلدية نيويورك بتوزيعها مجاناً على النشالين المدمنين... إذاً، انتبهوا يا فاغ، بيغل، الإيرلندي والبحّار... انظروا أمامكم، انظروا جيداً إلى طرف المسار قبل أن تسافروا فيه...».

مترو الأنفاق يتقدم مجتاحاً الحديد الأسود.

(«كوينز بلازا»، مكان سيّئ لنشالي السكارى... زوايا كثيرة يتربص فيها المحققون السريون في منطقة مترو الأنفاق.. ولا يمكن إخفاء اليد...)

(خمسة أشهر وتسعة وعشرون يوماً: عقوبة على تهمة «التدافع» أي لمس أحد الأغبياء مع سبق الإصرار... يمكن إدانة أبرياء بتهمة القتل ولكن لا يمكن إدانتهم بتهمة التدافع).

(فاغ، بيغلي، الإيرلنديّ، البحار، معرف قدامى، جميعهم مدمنون ونشّالون سكارى كانوا من جماعة شارع ١٠٣... البحّار والإيرلنديّ انتحرا شنقاً في سراديب الموتى، بيغلي مات من تناول جرعة زائدة، وأصيب فاغ باختلال...)

مُبيد الحشرات
يؤدي عملاً جيداً

لامس البحّار الباب برفق، تتابع أصابعه أنماط خشب البلوط المطلي بتعاريج بطيئة، تاركة دوائر قزحية باهتة من الوحل. مرت ذراعه عبرها حتى الكوع. سحب الترس الخلفي ووقف جانباً ليتمكن الفتى من الدخول.

رائحة موت ثقيلة وشفافة تملأ فضاء الغرفة.

قال البحّار بنبرة اعتذاريّة «لم تتم تهوئة الغرفة منذ أن طهرها مبيد الحشرات تجنباً لبقّ الكوكايين».

نزت حواس الفتى المسلوخة النزع في حركة استكشاف جنونيّة للمكان. شقة مهجورة، قريبة من السكة الحديدية، تهتز مع الحركة الصامتة. على أحد جدران المطبخ عُلق حوض معدني - هل كان معدنياً فعلاً؟ - وُصل بحوض سمك أو خزان ممتلئ حتى النصف بالسائل الأخضر الشفاف. وتناثرت الأغراض المتعفنة، التي بلت وهي تؤدي خدمات مجهولة، على الأرض: حزام جوك مصمم لحماية عضو رقيق في هيئة مروحة مسطحة. محازم متعددة المستويات، دعامات وضمادات؛ مضمدة كبيرة على شكل حذوة فرس من الحجر الوردي المسامي ؛ أنابيب من الرصاص صغيرة مقطوعة ومفتوحة في طرفها.

التيارات التي خرجت من الجثتين هزت البرك الراكدة كريهة الرائحة. رائحة صبية ضامرة من غرف خلع الملابس المتربة، الكلور من حمام سباحة، منيّ ناشف. روائح أخرى دارت عبر التلافيف الوردية، ملامسة أبواباً غير معروفة.

مدّ البحّار يده من تحت المغسلة وأخرج حزمة في ورق التغليف الممزق الذي تفتت بين أصابعه متحولاً إلى غبار أصفر. وضع القطارة والإبرة والملعقة على طاولة مغطاة بأطباق قذرة. لكن لم تستشعر مجسات صرصور فتات الظلام.

قال البحار «مبيد الحشرات يؤدي عملاً جيداً، وأحياناً أكثر من جيد».

غمس أصابعه في علبة مربعة من مسحوق البايريثوم الأصفر وسحب حزمة مسطحة مغلفة بورقة صينية حمراء وذهبية.

«مثل حزمة الألعاب النارية»، فكر الفتى. في الرابعة عشرة من عمره فقد إصبعين... حادثة ألعاب نارية في عيد الاستقلال... لاحقاً، في المستشفى، كانت أول لمسة ملكية صامتة للجانك.

«هذا الشيء يتفجر هنا، يا صغيري». وضع البحّار يده على مؤخرة رأسه. فتح الحزمة بهدوء، وهو ترتيب معقد من فتحات وطيات.

«نقي، مئة في المئة. تقريباً لم يعد هناك أحد على قيد الحياة... وكل شيء لك».

«ما الذي تريده مني؟».

«الوقت».

«لا أفهم».

«لدي شيء تريده»، لمست يده الحزمة. توغل بعيداً في الغرفة الأمامية، صوته بعيد وغير واضح. «لديك شيء أريده... خمس دقائق هنا... ساعة في مكان آخر... دقيقتين... أربع دقائق... ثماني دقائق... ربما أستبق الأحداث... كل يوم يموت قليلاً... الأمر يستغرق وقتاً».

عاد إلى المطبخ، صوته عال وواضح: «خمس سنوات للقطعة. لا أحد يعطي صفقة أفضل في الشارع». وضع إصبعه على الخط الفاصل تحت أنف الفتى. «باالضبط في الوسط».

«لا أدري ما الذي تتحدث عنه».

«سوف تعرف يا حبوب. في الوقت المناسب».

«حسناً. ماذا عليَّ أن أفعل؟».

«هل تقبل؟».

«نعم، أقصد...» نظر إلى الحزمة. «أيا كان. أنا أقبل».

شعر الفتى بضربة قوية وصامتة تفلق جسده. وضع البحّار يده على عيني الفتى وأخرج بيضة صفراء وردية فيها عين واحدة نابضة ومغلقة. داخل جلد البيضة نصف الشفاف كان يُسلق قشر أسود.

كان البحّار يداعب البيضة بيدين مجردتين من الإنسانية - سوداوين - ورديتين، سميكتين، ليفيتين، حوالق بيضاء طويلة نبتت من أطراف الأصابع القصيرة.

خوف وضعف فظيعان أصابا الفتى، أغلقا أنفاسه، وأوقفا جريان دمه. استند إلى جدار بدا متراجعاً قليلاً. عاد مرة أخرى إلى تركيز الجانك.

سخن البحّار المادة بملعقة. «عندما ينادون على الأسماء الموجودة في الأعلى سوف نكون هناك، أليس كذلك؟» قال وهو يتحسس وريد الفتى وهو يملس الجلد بأصابع عجوز رقيقة. أدخل الإبرة. سحلب أحمر في أسفل الحقنة. ضغط البحّار على المصباح، تأمل المحلول المندفع في الوريد الفتي يمتصه عطش الدم الصامت.

«يا الهي!» قال الفتى، «لم أجرب شيئاً كهذا من قبل!». أشعل

سيجارة وتأمل المطبخ، مختلجاً بالحاجة إلى السكّر. «ألا تنسطل؟» سأل.

«مع مسحوق الحليب المقرف؟ الجانك شارع أحاديّ الاتجاه. لا توجد فيه لفات ولا يمكنك أن تعود أبدا».

يسمونني «المبيد». لوهلة قصيرة في مفترق ما مارستُ هذا العمل وشهدت الرقص الشرقي للصراصير المختنقة في مسحوق البيريثروم الأصفر («من الصعب الحصول عليه الآن يا سيدة... نحن في حالة حرب. لكنني سأعطيك بعضاً منه... بدولارين») الدهون المدخنة من ورق الحائط الوردي في فنادق مسرحية رثاء على نورث كلارك وتسمم الجرذ الهادف، آكل الأطفال من حين لآخر. أليس كذلك؟

مهمتي الحالية: البحث عن الأحداث الحية وإبادة. افهم: ليس الجثث وإنما «القوالب» - لكني نسيت أنك لا تفهم. لم يتبق إلا عدد قليل جداً. لكن واحداً قد يضر بصينية طعام كاملة. الخطر، كما هي الحال دائماً، يأتي من العناصر المرتدة: إي. جي، حارس القانون، أرماديلو الأسود (حامل جرثومة داء الشاغاس، الذي لم يستحم في حياته م منذ الوباء الأرجنتيني عام ١٩٣٥، تذكر؟)، ولي والبحّار وبينوي. وأنا أعلم أن هناك تاجراً في الظلام يبحث عني. في النهاية، جميع التجار يغادرون وجميع المقاومين يبيعون أرواحهم...

وصلت فاتس تيرمينال من خزانات الضغط المدنيّة حيث تنفث نوافير الحياة المفتوحة مليون شكل، تؤكل على الفور، ويتم القضاء على الآكلين من قبل الشرطة السريّة للزمن الأسود.

قلة قليلة تصل إلى ساحة «بلازا»، المكان الذي تقوم فيها الخزانات بإفراغ نهر المد والجزر، حاملاً أشكالاً من البقاء مسلحة بدروع من الوحل السام، الجلد الأسود المصاب بالفطريات، وروائح كريهة خضراء تحرق الرئتين وتقبض على المعدة بعقد ملتوية...

لأن أعصاب فاتس كانت مكشوفة ومقشرة لتتمكن من استشعار تشنجات الموت لملايين المدمنين المصابين بنوبات... فقد تعلّم معادلة الحاجة ونجا...

في أحد أيام الجمعة تدفّق فاتس باتجاه الساحة، قرد جنينيّ، رمادي-شفاف مدثّر بين يديه الصغيرتين الناعمتين ذات اللون البنفسجي الضارب إلى الرمادي، وفم غضروفيّ بارد ورماديّ لأنقليس في هيئة قرص مبطن بأسنان سوداء، جوفاء، منتصبة تتحسس أشكال ندبات الجانك...

ومرّ رجل ثري وحدق في الوحش وتدحرج فاتس المرعوب وتبول وتبرز وأكل برازه، وانفعل من تكريم قدرة الرجل ونقر على عملة من عصاه المعدة للسير يوم الجمعة (يوم الجمعة عند المسلمين يشبه يوم الأحد ويفترض بالأثرياء أن يتصدّقوا).

وهكذا تعلّم فاتس أن يخدم «اللحوم السوداء» وسمن جسمه مثل خزان ضخم...

وبعينيه المثفاقتين الخاويتين استكشف وجه الدنيا . . . وفي طريق المدمنين الذين يسيرون خلفه، قرود رمادية-شفافة تومض مثل رماح الأسماك المغروزة في المدمنين، عُلقّوا عليها وهم يمصّون ثمّ عاد كل شيء وصبّ عند فاتس، وكَبر جوهره وملأ الساحات والمطاعم وغرف الانتظار في العالم بقرف الجانك الرماديّ.

يتم نشر النشرات من مقر الحزب بأداء تمثيلي بذيء من قبل الفصاميين واللاتا والقردة، يضرط الصلبة الشيفرات، يفتح الزنوج ويغلقون أفواههم،ويبرقون رسائل بأسنان ذهبية، عرب مثيرو شغب يرسلون إشارات دخانية عن طريق رمي خصيان سمان ضخام - ينتجون أفضل دخان معلق في الهواء مثل براز أسود وصلب - على أكوام من القمامة مشبعة بالبنزين، فسيفساء من الألحان، ناي قصبيّ حزين لمتسول أحدب، رياح باردة تجتاح من جبل شيمبروزي مرسوم، مزاميز رمضانية، موسيقى البيانو أسفل الشارع عاصف، صافرات مقطوعة يطلقها رجال الشرطة، نشرة إعلانية تتزامن مع موجة قتال في الشارع توضح: SOS.

قام اثنان من الوكلاء بتمييز أحدهما الآخر عن طريق اختيار الوضعيات الجنسية التي تحبط الميكروفونات الغريبة، وممارسة الجنس مع الأسرار الذرية ذهاباً وإياباً بشيفرة معقدة فيزيائيان اثنان فقط في العالم يتظاهران بفهمها وينكر كل منهما الآخر بشكل قاطع. لاحقاً، سيتم شنق الوكيل المستلم بعد اتهامه وإدانته بحيازة جهاز عصبيّ، وسوف يعيد إرسال الرسالة بتشنجات هزة الجماع التي تنتقل من الأقطاب الكهربائية الموصولة إلى عضوه الذكري.

إيقاع تنفس عجوز مريض قلب، اهتزازات راقصة شرقية، صوت زورق يقطع مياها زيتية.

يُسقط النادل قطرة من كأس المارتيني لرجل يرتدي بذلة الفلانيل الرمادية، الذي يتخفى حتى وصول قطار الساعة ١٢:٦ مع العلم أنه تم اكتشاف موقعه.

يتسلل الحشاشون من نافذة مرحاض مطعم تشوب سوي بينما يمرّ القطار السريع هادراً.

الأعرج، الذي نالوا منه بطريقة الكاوبوي في والدورف، يلد مجموعة من الفئران.

(الكاوبوي: مفردة يتداولها المجرمون في نيويورك وتعني اقتل ابن القحبة حيثما وجدته. المخبر مخبر مخبر مخبر).

العذراوات الغبيات يلتحقن بالكولونيل الإنجليزي الذي يركب مع مجموعة ملوحاً بخنزير برّي على رمحه.

المثلي الأنيق يحترم بحضوره حانة الحي الذي يقيم فيه ليحصل على نشرة أخبار من *الأم الميتة* التي تواصل العيش على الوصلات العصبية ويستحضر المستمنية المثيرة.

الفتية المستمنون في مراحيض المدرسة يميزون بعضهم كوكلاء من غالاكسي X، ينتقلون إلى ناد ليلي مهمل ويجلسون فيه مجردين ومشؤومين يشربون خل النبيذ ويتناولون الليمون ليشوشوا الصادح بآلة الساكس الموسيقية. عربيّ متأنّق يرتدي نظارات زرقاء ويشتبه في كونه مرسلاً للأعداء.

مرضى العالم يلتفون في بروتوبلازما مرعبة... تقرير الخوف منحوت بخط مسماريّ على رسالة من الروث.

يتزاوج مثيرو شغب مقهقهون على خلفية صراخ زنجية تحترق. أمينو مكتبات وحيدون يتبادلون القبل في وحدة أرواح برائحة فم كريهة.

هل أصابك الإحساس المقيت؟ التهاب الحلق العنيد والمزعج مثل ريح حارة في فترة ما بعد الظهر؟ مرحباً بك في نُزُل داء الزهري العالمي - "Methodith-Epithcopal God damn ith" (العبارة كانت تستخدم سابقاً لاختبار وضع تقدم الزهري والشلل الجزئي) - أو أول لمسة صامتة لقرحة المرض تجعلك عضواً بارزاً.

الهمهمة الصامتة المتذبذبة لعمق الغابة وخزانات تجميع الأورغونات، صمت المدن المفاجئ عندما تسير أمور المدمن على ما يرام، وحتى المسافر اليومي يحرّك الأوردة التي تعاني من انسداد جراء الكولسترول من أجل الاتصال. تشتعل علامات النشوة الجنسية في جميع أنحاء العالم. يقفز حشاش صارخاً «لقد أصابني الخوف!» ويفر إلى ليلة مكسيكية موقعاً مدمني العالم. يتبرز الجلاد مرعوباً من منظر الرجل المحكوم عليه بالموت. يصرخ المُعَذِّب في أذن ضحيته العنيدة. المحاربون بالسكين يدورون في حضن الأدرينالين. السرطان عند الباب ببرقية غنائية...

هاوزر
وأوبراين

عندما دخلا عليّ في ذلك الصباح عند الساعة الثامنة، عرفت أنّها فرصتي الأخيرة، فرصتي الوحيدة. لكنهما لم يعرفا ذلك. كيف يمكن أن يعرفا؟ مجرد اعتقال روتيني. لكنّه ليس روتينياً تماماً.

كان هاوزر يتناول وجبة الإفطار عندما اتصل الملازم: «أريدك أنت وشريكك أن تعتقلا رجلاً يدعى لي، وليام لي، في الطريق إلى المحطّة. إنه يقيم في «فندق لامبري». شارع ١٠٣ زاوية برودواي».

«نعم أنا أعرف أين هو. أتذكره أيضاً».

«جيد. غرفة ٦٠٦. فقط اصطحباه. لا تنفقا وقتاً في تفتيش المكان. اجلبا جميع الكتب والرسائل المخطوطات. أي شيء مطبوع أو مكتوب. مفهوم؟».

«مفهوم. ولكن ما حكاية الكتب...».

«فقط نفّذ». أقفل الملازم الخط.

هاوزر وأوبراين. عشرون عاماً من الخبرة في قسم المخدرات. أصحاب أسبقيّة مثلي. كنت مدمناً مدّة ١٦ عاماً. ولم يكونا شرطيّين سيئين وقتها. على الأقل أوبراين. كان أوبراين المخاتل، وهاوزر القوي. مهرجان. كان هاوزر يضربك قبل أن تفتح فمك فقط لكسر الجليد. ثمّ يمدّ إليك أوبراين سيجارة من نوع «أولد غولد» ثمّ يبدأ بالتحدث مثل شرطي مخاتل محكم الكلام. لم يكن هاوزر سيئاً، ولم أكن أريد أن أفعل ذلك. لكنها كانت فرصتي الوحيدة.

دخل الاثنان إلى الغرفة في الوقت الذي كنت أربط فيه عاصب الشرايين قبل حقنة الصباح. كان معهما مفتاح خاص يفتح جميع الأقفال حتى لو كان المفتاح في الباب. على الطاولة التي أمامي كانت رزمة من الهيروين، حقنة وإبرة - في المكسيك اعتدت على استخدام حقنة عادية ولم أعد قط إلى استخدام قطارة - كحول وقطن وكوب من الماء.

قال أوبراين: «حسناً، حسناً... لم نلتق منذ مدة، ها؟».

قال هاوزر: «البس معطفك يا لي». كان يمسك بمسدسه. كان دائماً يمسكه أثناء الاعتقال لإحداث التأثير النفسي ولتجنب الاندفاع للمرحاض أو النافذة.

«هل يمكنني أن أتناول الجرعة أولاً يا شباب؟» سألت. . . «يوجد الكثير من الأدلة هنا. . .».

تساءلت بيني وبين نفسي كيف يمكنني الوصول إلى حقيبتي إذا رفضوا. لم تكن مقفلة، لكن هاوزر كان يحمل السلاح في يده.

قال هاوزر «إنه يريد حقنة».

«بيل، أنت تعرف أنه لا يمكننا فعل ذلك»، قال أوبراين بصوته المخاتل العذب، مستدعياً الاسم بوديّة فاحشة ووحشية ومألوفة ومداهنة.

كان يعني، بالطبع، «ماذا يمكنك أن تفعل من أجلنا يا بيل؟» تطلع في وجهي وابتسم. طالت الابتسامة، بشعة وعارية، ابتسامة عجوز منحرف، جامعاً كل الشر السلبيّ لمهنة أوبراين الغامضة.

قلت: «قد أتمكّن من ترتيب أمر مارتي ستيل من أجلكم».

كنت أعرف أنهم يريدون القبض على مارتي ستيل. كان يتاجر بالمادة مدة خمس سنوات، ولم يتمكنوا من القبض عليه متلبساً. كان مارتي قديماً في الكار، وكان حذراً للغاية في اختيار زبائنه. كان عليه أن يعرف الشخص جيداً قبل أن يأخذ ماله. لا أحد يستطيع أن يقول إنه دخل السجن بسببي. سمعتي مثالية، لكن مارتي لم يكن على استعداد لبَيعي لأنه لم يكن يعرفني لفترة كافية. إلى هذا الحدّ كان مارتي متشككاً.

«مارتي؟» قال أوبراين. «هل تستطيع أن تشتري منه؟».

«بالتأكيد أستطيع».

كانا شكّاكين. لا يمكن للمَرء أن يكون شرطياً طوال حياته من دون تطوير مجموعة خاصة من البداهات.

قال هاوزر في النهاية: «حسناً. لكن من الأفضل لكَ أن لا تخفق يا لي».

«سأبلي بلاء حسناً. صدّقني أنّي أقدّر ذلك».

قمت بربط العاصب، وكانت يدي ترتجف بلهفة، مدمن نموذجيّ.

«مجرد مدمن عجوز، يا جماعة، مدمن عجوز وحطام لا يؤذي» هكذا أصوغ الأمر. كما كنت آمل، حادَ هاوزر بعينيه عندما بدأت البحث عن الوريد. المنظر ليس جذاباً.

كان أوبراين يجلس على ذراع كرسي يدخن سيجارة، وينظر إلى النافذة بتعابير حالمة بما سيفعله عندما يتقاعد.

وجدتُ وريداً على الفور. صعد عمود من الدم إلى المحقنة، من أجل لحظة حادة وصلبة كَفتيل أحمر. ضغطت على المكبس بإبهامي، شعرت بنبض الجانك في عروقي وهو في طريقه لتغذية مليون خلية متعطشة للجانك، يحمل معه قوة ويقظة لكل الأعصاب والعضلات. لم يكونوا يراقبونني. ملأت الحقنة بالكحول.

كان هاوزر يحرّك مسدسه، وهو من نوع «كولت»، ويتفحص بعينيه أرجاء الغرفة. كان بإمكانه أن يشم رائحة الخطر كحيوان. بيده اليسرى، دفع باب خزانة الملابس إلى الأمام وألقى نظرة في الداخل. تشنجت معدتي. فكرت بيني وبين نفسي، «إذا نظر في الحقيبة الآن قُضي علي».

تحول هاوزر إليّ فجأة. «ألم تنه بعد؟» تمتم بغضب. «من الأفضل ألا تحاول التغاضي عن مارتي». خرجت الكلمات من فمه قبيحة جداً لدرجة فاجأته وصدمته.

التقطتُ حقنة كاملة من الكحول، لففتُ الإبرة للتأكد من أنها مشدودة.

قلت: «ثانيتين وحسب».

بخختُ نافورة خفيفة من الكحول، جلدتُه على عينيه بحركة أفقية للحقنة. أطلق صرخة ألم. هبطتُ على الأرضية بركبة واحدة - رأيت يده اليسرى حول عينيه وكأنه يمزّق ضمادة غير مرئية - وقفزت على حقيبتي. فتحتُها، أحكمت يدي اليسرى على عقب المسدس - أنا أستخدم اليد اليمنى لكنني أطلق النار بيدي اليسرى. شعرت بهزة طلقة هاوزر قبل أن أسمع صوتها. دخلت الرصاصة في الحائط الموجود خلفي. وأنا على الأرضية، أطلقت طلقتين سريعتين على بطن هاوزر حيث ارتفعت السترة وأظهرت قطعة قميص أبيض. نخر بطريقة شعرت بها وانثنى على الأرضية. يد أوبراين، التي ارتجفت من الذعر، كانت تجاهد في إخراج السلاح من قرابِه. أوثقتُ بيدي الأخرى معصمي لأثبته عند الضغطة الطويلة - مطرقة السلاح تم بردها دائرياً حتى يتمكن من إطلاق النار مرتين في كل ضغطة - وأطلقت النار عليه النار في وسط جبهته الحمراء حوالي خمسة سنتيمترات أسفل خط الشعر الفضي. في المرة الأخيرة التي رأيته فيها، كان شعره رمادي اللون. كان ذلك قبل حوالي ١٥ سنة. أول اعتقال. جحظت عيناه. سقط عن كرسي على وجهه. يدي قد وصلت بالفعل إلى ما احتاج إليه، أقحمت كرّاساتي في حقيبتي مع أعمالي، الجانك، وعلبة من الحبوب. وضعت المسدس في حزامي، وخرجت إلى الممر مرتدياً معطفي.

كنت أسمع خطى موظف مكتبي وفتى المصعد وهما يصعدان

الدرج. نزلت بالمصعد إلى الأسفل، مشيت عبر البهو الفارغ إلى الشارع.

كان يوماً صيفياً هندياً جميلاً. كنت أعرف أنني لا أملك فرصة كبيرة، لكن أن تأتي أي فرصة، خير من لا شيء، خير من أن تكون فأر تجارب برك لعمليات الأكسدة.

اضطررت إلى التزود بالجانك بسرعة. كنت أعرف أنه إلى جانب تغطيتهم للمطارات ومحطات المترو ومحطات الحافلات، فإنّهم سيغطون جميع مناطق انتشار الهيروين ومروّجيه. استقللت سيارة أجرة إلى ساحة واشنطن، ترجلت وسرت على طول الشارع الرابع حتى رصدت نيك في إحدى الزوايا. يمكنك دائماً العثور على مروّج. حاجتك إليه تستحضره مثل شبح.

قلت له: «اسمع يا نيك، سأغادر المدينة».

كنا نسير على طول الشارع الرابع. بدا صوت نيك يهيم داخل وعيي كأنّه يأتي من مكان ما. صوت مهدد هلامي.

«نعم، أعتقد أنني أستطيع أن أفعلها. سأضطر إلى السّفر إلى أبتاون».

«يمكننا أن نستقل سيارة أجرة».

«حسناً، لكنني لا أستطيع أن آخذك إلى الرجل، أنت تفهم».

«أفهم. لنذهب».

كنّا في سيارة الأجرة باتجاه الشمال. كان نيك يتحدث بصوته الرتيب الخالي من الحياة.

«نتلقّى بضاعة غريبة مؤخراً. ليست ضعيفة تماماً... لا أعرف... الأمر مختلف. ربما يضعون بعض الخراء الاصطناعي فيها... حبوب نامبون أو شيء من هذا القبيل...».

«ماذا!!!؟ بالفعل؟».

«هاه؟... ولكن الشخص الذي أصطحبك إليه الآن جيد. في الواقع هو أفضل من أعرفه في المنطقة... توقف هنا».

قلت له: «أرجوك بسرعة».

«يستغرق الأمر عشر دقائق ما لم تتوفر لديه البضاعة، عندها سيضطر للخروج لتوفيرها... الأفضل أن تجلس هنا وتحتسي فنجاناً من القهوة... هذا حي يعج بالشرطة».

جلست إلى الكونتوار وطلبت القهوة، وأشرت إلى قطعة من كعكة دانماركية تحت غطاء بلاستيكي. غمست الكعكة المطاطية المسيخة بالقهوة، ودعوت، مرة واحدة فقط، أرجوك يا اللّه، دعه يفعلها الآن، ولا يعود ويقول إن البضاعة نفدت من عند الرجل، ولا بد له أن يسافر ويحضر غيرها إلى إيست أورانج أو غرين بوينت.

عاد، ووقف خلفي. نظرت إليه، خائفا من السؤال. أمر مضحك، قلت في نفسي، أنا هنا أجلس مع فرصة للعيش تصل إلى واحد لمئة في غضون الـ٢٤ ساعة القادمة - لقد قررت ألا أسلّم نفسي، وقضاء الأشهر الثلاثة أو الأربعة المقبلة في غرفة انتظار الموت. وها أنا أجلس وأهتم بشراء الجانك. لكن لم يبق لي أكثر من خمس جرعات، ومن دون الجانك سوف أصاب بالشلل...

هز نيك رأسه.

«لا تعطيني شيئاً هنا، دعنا نستقل سيارة أجرة» قلت.

استقللنا سيارة أجرة وسافرنا باتجاه وسط البلد. مددت يدي وأخرجت العلبة، ثم وضعت ورقة من فئة الخمسين دولاراً في راحة يد نيك. نظر إليها وبرزت لثته بابتسامة بلا أسنان:

«شكراً جزيلاً . . . هذه سترتب أموري».

استندتُ إلى الخلف وتركت عقلي يعمل من دون الضغط عليه. إذا ضغطت على عقلك أكثر من اللزوم فإنه سيتعطل مثل لوحة مفاتيح مثقلة، أو سينقلب عليك. ولم يكن لدي مجال للخطأ. الأميركيون يخافون من فقدان السيطرة، وترك الأمور تحدث على طبيعتها من دون تدخّل. سيرغبون في القفز إلى بطونهم وهضم الطعام وتجريف الخراء بأيديهم.

إذا تعلمت الاسترخاء وانتظار الإجابة فإن عقلك سيجيبك عن معظم الأسئلة. مثل آلة تفكير: تُدخل سؤالاً، تسترخي، وتنتظر. . .

كنت أبحث عن اسم. كان ذهني يفرز الأسماء، وشطب على الفور ع.ش- عاشق الشرطة، و.م.- وُلِدَ معلولاً. ل.ل.ج. - لطيف لكنّه جبان. وضع أسماء أخرى جانباً لاعتبار آخر، قلّص الإمكانيّات، تقصى، تحسس الاسم، الجواب.

«في بعض الأحيان، كما تعلم، يجعلني أنتظر ثلاث ساعات. أحياناً أدخل وأخرج، كما أفعل الآن».

كان نيك يضحك ضحكة خفيفة يستخدمها ليقلل من كلامه. نوع من الاعتذار على حديثه في عالم المدمنين التخاطري حيث عامل الكمية فقط - كم دولاراً؟ كم من الجانك؟ - يتطلب التعبير اللفظي. كان يعلم مثلي كل شيء عن الانتظار. تنشط تجارة المخدرات على جميع المستويات من دون جدول زمني. لا أحد يسلّم البضاعة في الوقت المحدد إلا عن طريق الصدفة. يتصرف المدمن وفقاً لوقت الهيروين. جسمه هو ساعته، ويتسرب الهيروين من خلاله مثل الساعة الرملية. يوجد للوقت معنى بالنسبة له فقط في سياق حاجته. ثم

يندمج المدمن بشكل مفاجئ في وقت الآخرين، ومثل جميع الغرباء، مثل جميع الملتمسين، عليه أن ينتظر، إلا إذا اندمج في وقت ليس هو وقت الجانك.

ضحك نيك: «ماذا يمكنني أن أقول له؟ إنه يعلم أنني سأنتظر».

قضيت الليلة في «حمامات إيفر-هارد» - (المثلية الجنسية هي أفضل قصة تغطية شاملة يمكن للوكيل استخدامها)- حيث يخلق حارس ليلي إيطالي يهمهم بغضب، مناخاً مزعجاً ينظر إلى المهجع بناظور الأشعة تحت الحمراء للرؤية الليلة.

(«أنتم، هناك، في الزاوية الشمالية الشرقية! أراكم!» يشعل الأضواء الكاشفة، ويقحم رأسه عبر الأبواب الأرضية وجدران الغرف الخاصة، حيث العديد من المثليين أُخِذوا من هناك في سترات المجانين...).

استلقيت في غرفتي المكشوفة ونظرت إلى السقف... استمعت إلى همهمات وأنات ظلمة كوابيس من الشهوة العشوائية، المحطمة...

«أيها المنيك!».

«ضع زوجاً من النظارات ربما أمكنك أن ترى شيئاً!».

خرجت في الصباح الدقيق واشتريت جريدة... لا شيء.

اتصلت من كشك هاتف عمومي في صيدلية... طلبت قسم المخدرات:

«الملازم غونزاليس. من يتكلم؟».

«أريد التحدث إلى أوبراين».

لحظة تمتمة ثابتة، أسلاك متدلية... اتصال مقطوع...

«لا أحد بهذا الاسم في هذا القسم. من أنت؟».

«حسناً، دعني أتحدث إلى هاوزر».

«اسمع يا سيد، لا أوبراين ولا هاوزر في هذا المكتب. الآن ماذا تريد؟».

«اسمع، الأمر مهم... لدي معلومات عن شحنة كبيرة من الهيروين في الطريق... أريد أن أتحدث إلى هاوزر أو أوبراين... لن أتحدث إلى أي شخص آخر...».

«انتظر... سأوصلك إلى السيبياديس».

بدأت أتساءل عما إذا بقي اسم أنجلو ساكسوني واحد في القسم...

«أريد أن أتحدث إلى هاوزر أو أوبراين».

«كم مرة يجب أن أخبرك أنه لا يوجد هاوزر أو أوبراين في هذا القسم. الآن من أنت؟».

أغلقت واستقللت سيارة أجرة من المنطقة... في سيارة الأجرة أدركت ما حدث... انسد معبري الزمكاني مثل انسداد مؤخرة الأنقليس عندما يتوقف عن الأكل في طريقه إلى بحر سارغاسو... لقد علقت... لن يكون لدي مفتاح، نقطة تقاطع... من الآن فصاعداً لن يقترب رجال الشرطة مني... رُحّلوا مع هاوزر وأوبراين إلى ماضي الجانك الذي لم يكن له منشأ حيث الأوقية بثمانية وعشرين دولاراً ويمكنك أن تشتريها بقروش من المغسلة الصينية في سيوكس فولز... أقصى جانب من مرآة العالم، ينتقل إلى الماضي مع هاوزر وأوبراين اللذين يمسكان بقوة بمستقبل البيروقراطيات التخاطريّة، الاحتكارات الزمنية، مكافحة المخدرات، مدمني السوائل الثقيلة:

«فكرت في ذلك قبل ثلاثمئة سنة».

«خطتك لم تكن قابلة للتنفيذ وقتها، والآن هي بلا جدوى... مثل خطط آلة طيران دافنشي...».

تصدير مهزول

ألم تكن لتفعلها

لماذا كلّ هذا الورق المهدر لنقل الناس من مكان إلى آخر؟ ربما لتجنيب القارئ التوتر المنوط بالتحولات الفضائية المفاجئة وليواصل السيطرة عليه؟ وهكذا: يتم شراء تذكرة، طلب سيارة أجرة، استقلال طائرة. يُسمح لنا بمشاهدة الجدران الخوخية للكهف الدافئ بينما تميل (مضيفة الطيران، بالطبع) فوقنا وتتمتم حول مضغ العلكة، الدرامامين، وحتى النيمبوتال.

«تحدثي إليّ أيتها الباريغوريك الحلوة وسأسمعك».

أنا لست أمريكان إكسبريس... إذا كان أحد الأصدقاء في نيويورك قد شوهد يتجول في ملابس مدنية وفي العبارة التالية تمبكتو يعبث بالكلام مع غلام غزيل العينين، قد نفترض أنه (ذلك الذي لا يقيم في تمبكتو) نقل نفسه إلى هناك بطرق الاتصال المعتادة...

الوكيل لي (أربعة -أربعة -ثمانية -واحد- ستة) يتعالج من الإدمان... رحلة إلى زمان/مكان مألوفين بشكل عجيب مثل زوايا البيع والشراء... العلاجات السابقة والمستقبلية تبث صورا تعبر مادته الطيفية التي تهتز في الرياح الساكنة للزمن المتسارع... اختر حقنة... أي حقنة...

عض مفاصل الأصابع بشكل رسمي، الحقن التي تدحرجك أرضاً في زنزانة المحافظة... «هل ترغب في حقنة هيروين يا بيل؟».

«ها ها ها».

الانطباعات النصفية المترددة التي تذوب في الضوء... حبيبات الإكتوبلازما الفاسدة، يكنسها مدمن عجوز يسعل ويبصق في الصباح المرضي...

صور بنية بنفسجية قديمة تتجعد وتنكسر مثل الطين في الشمس: بنما سيتي... بيل غينس يعطي الصيدلاني الصينيّ قرف الباريغوريك.

«لدي كلاب سباقات... كلاب سلوقية أصلية... مريضة بالزحار... المناخ الاستوائيّ... الإسهال... تخيّل؟ إسهال؟... كلابي تحتضر...» صرخ... عيناه تشعّان بلهب أحمر... انطفأ اللهب... رائحة حرق معدنيّ... «نأخذ مع قطارة العين... ألا تفعلها... آلام الطمث.. زوجتي... ضمادات صحيّة... أمّ عجوز... بواسير... جرحى... نازفون». ينقر فوق الكونتوار... يُخرج الصيدلاني سواكاً من فمه وينظر إلى طرفه هازاً رأسه بالنّفي...

احترق غينس ولي على الباريغوريك في جمهورية بنما... يميل المدمنون إلى السيلان معاً في جسد واحد... عاد غينس إلى مكسيكو سيتي... ابتسامة عظمية يائسة لنقص الهيروين النقيّ بطبقات من الكودئين والبابيتورات... ثقوب السجائر في برنس الحمّام... بقع القهوة على الأرض... موقد كاز مدخن... لهب برتقالي صدئ...

رفضت السفارة تقديم تفاصيل أخرى غير مكان الدفن في المقبرة الأمريكية. . .

وعاد لي إلى الجنس والألم والوقت والياغي، كرمة الروح المريرة في الأمازون. . .

أذكر ذات مرة بعد تناول جرعة زائدة من حشيش المجون (وهو قنب مجفف ومسحوق بشكل ناعم ويبدو مسحوق سكّر أخضر مخلوط إلى اتساق السكر الأخضر المسحوق ويخلط ببعض المربّى أو غيره عادة ما يشبه بودنغ البرقوق الرمليّ، ولكن المذاق اعتباطيّ. . .). عدت من لولو أو جوني أو من غرفة ليتل بوي (رائحة نتنة لرضوعيّة مهزولة والتدرّب على استخدام المرحاض) وتأملت غرفة الجلوس في تلك الفيلا الموجودة في ضواحي طنجة وفجأة لم أعرف أين أنا. ربما فتحت الباب الخطأ، وفي أي لحظة قد يدخل صاحب الملك أو المالك الذي وصل إلى هناك أولاً، ويصرخ:

«ماذا تفعل هنا؟ من أنت؟».

وأنا لا علم لدي ماذا أفعل هناك ولا علم لدي من أكون. قررت أن ألعبها بشكل رائع وبما تعود إليّ حاسّة التوجيه قبل أن يظهر المالك. لذا بدلاً من الصراخ «أين أنا؟» اهدأ وانظر من حولك وخذ فكرة عامة عن المكان. . . لم تكن هنا في البداية. ولن تكون هنا في النهاية. معرفتك بما يحدث يمكن أن تكون سطحية ونسبية فقط. . . ما الذي أعرفه عن هذا الشخص المدمن الشرير ذي اللون الأصفر الذي يعاني من الأفيون الخام؟ حاولت أن أقول له: «ذات صباح سوف تستيقظ وسيكون كبدك خارج جسدك» وكيفية تعاطي الأفيون الخام حتى لا يكون سماً صرفاً. لكن عينيه تلمعان ولا يرغب في الإصغاء. الحشاشون مثلنا، لا يريدون أن يعرفوا. . . ولا يمكنك

إخبارهم بأي شيء. المدخن لا يريد أن يعرف أي شيء سوى الدخان... ومدمن الجانك مثله... أعطه الحقنة والبقية طعام للأطفال...

أعتقد أنه لا يزال يجلس هناك في فيلته الإسبانية التي تعود إلى العام ١٩٢٠ في ضواحي طنجة يأكل ذلك الأفيون الخام المغشوش... ولا يبقي منه شيئاً...

ثمّة شيء واحد يمكن للكاتب أن يكتب عنه: *ما يتواجد أمام حواسه في لحظة الكتابة*... أنا أداة تسجيل... لا أتجرأ على فرض «قصة»، «حكاية»، «استمرارية»... بقدر ما نجحت في التسجيل المباشر لبعض الأجزاء في العملية النفسية فقد أكون أديت وظيفة محدودة... أنا لست رجل تسالٍ...

يسمّون ذلك بـ«التملك»... في بعض الأحيان تقفز كينونة معيّنة إلى الجسم - خطوطها العريضة ترتعد مثل هلام برتقاليّ - والأيدي تتحرك وتنتزع أمعاء عاهرة عابرة أو تخنق طفل الجيران على أمل التخفيف من النقص المزمن في السكن. كما لو كنت في العادة هناك ولكنني أهذي بين الفينة والأخرى... غير صحيح! *أنا لست هنا أبداً*... أقصد لستُ في حالة سيطرة تامّة، ولكنّني أتمكّن من تجنّب حركات غير مرغوب فيها... في الواقع، الخفارة هي عملي الأساسي... مهما كانت قوّة الأمن، أجد دائماً في مكان ما في الخارج من يعطي الأوامر وفي الداخل سترة مجانين هلامية تخضع للضغط وتتمدّد لكنها تعود دائماً إلى طبيعتها قبل كل حركة، تفكير، مختومةً بختم التفتيش الأجنبي...

يتحدث الكتّاب عن رائحة الموت المرضيّة-العذبة، في حين

يمكن لأي مدمن أن يخبرك أن الموت ليست له رائحة... في نفس الوقت له رائحة تغلق النفس وتجمّد الدم... شفافيّة الموت الذي لا رائحة له... لا يمكن لأحد أن يتنفسه ويشمّه من خلال مرشّحات الدم الأسود واللحم الوردي... لا رائحة الموت هي رائحة، وغياب تام للرائحة في نفس الوقت... غياب الرائحة يضرب الأنف أولاً لأن لكل مادة عضوية رائحة. يمكن الإحساس بتوقّف الرائحة مثل عتمة العينين، صمت الأذنين، مثل توتّر بلا وزن لإحساس التوازن والموقع.

أثناء الانسحاب، دائماً تشمُّ الجانك وتطلقه للآخرين ليشتمّوه... قد تحوّل رائحة موت مدمن يعاني من أعراض الانسحاب شقة بأكملها غير صالحة للسّكن... لكن التهوئة الجيّدة ستنشر رائحة عفن في المكان مرة أخرى حتى يتمكن المرء من التنفس... يمكنك أن تشمّه أيضاً في حالات الإدمان الثقيل، التي تقفز فجأة في متسلسلة هندسيّة مثل حريق هائل شبّ في غابة...

العلاج عادةً ما يكون: *دعك! اقفز!*

لي صديق وجد نفسه عارياً في غرفة فندق في مراكش، الطابق الثاني... (وقد مرّ بمعالجة على يد أم تكساسيّة ألبسته ملابس بناتية في طفولته... طريقة فجّة لكنّها فعّالة ضدّ بروتوبلازما الرضع...) أما بقية الحاضرين فهم عرب. ثلاثة من العرب... في أيديهم سكاكين... يتأملونه... بريق معدن ونقاط من الضوء في العيون المظلمة... أجزاء من القتل تسقط بطيئة مثل رقائق العقيق عبر الغليسيرين... ردّات فعل حيوانيّة بطيئة تمنحه ثانية كاملة ليقرر: مباشرة عبر زجاج النافذة وأسفل الشارع المزدحم مثل نجم ساقط تلمع فيه الشظايا المتلألئة في الشمس... أصيب بكسر في الكاحل

وجرح في الكتف... كان ملفوفاً بستارة ورديّة شبه شفافة، إفريز في يده، وقد عرّج على أقرب محطّة الشرطة...

عاجلاً أو آجلاً سيقول اليقظ، روبي، الوكيل لي، إي جي، كليم وجودي توأم مرض الأرغوت، حسن أوليري ملك المشيمة، البحّار، المُبيد، أندرو كيف، فاتس تيرمينال، الدكتور بينوي وفينغرز شايفر، سيقولون نفس الكلام وسيتّخذون نفس الموقف في الزمان/ المكان، عند نفس نقطة التقاطع، باستخدام جهاز صوتي مشترك يشمل كافة الأجهزة الأيضية أي أن يكونوا نفس الشخص - وهي وسيلة غير دقيقة للتعبير عن *التشخيص*: المدمن عارٍ في ضوء الشمس...

يرى الكاتب نفسه يقرأ أمام المرآة كما هي الحال دائماً... يجب عليه أن يدقق مراراً ليطمئن نفسه أن جريمة العمل المنفصل لم تحدث، ولا يمكنها أن تحدث...

كل من نظر إلى المرآة عرف ما هي هذه الجريمة وما تعنيه من حيث فقدان السيطرة عندما لا تعود الصّورة تطيع... بعد فوات الأوان على استدعاء الشرطة...

أنا شخصياً أتمنى إنهاء خدماتي الآن، حيث لا يمكنني الاستمرار في بيع مواد خام الموت... حالتك يا سيدي، هي حالة ميئوس منها ومزعجة...

«الدفاع لا معنى له في الحالة الراهنة من معرفتنا»، قال الدفاع ورفع بصره عن مجهر إلكتروني...

اذهب إلى وولغرينز
اسرق أي شيء تراه
نحن لسنا مسؤولين

لا أعرف كيف أعيد هذا إلى القارئ الأبيض

يمكنك أن تكتب أو تصيح أو تتغاضى عن ذلك... أن ترسمه... أن تتصرف فيما يتعلق به... أن تخرأه في جهازك المحمول... طالما أنك لا تذهب وتنفذ ذلك...

يقفز أعضاء مجلس الشيوخ ويصوتون على عقوبة الإعدام بسلطة صارمة لفيروس الاشتياق... الموت للمولعين بالمخدرات، الموت للمولعين بالجنس، الموت للمعتلين النفسيين الذين يهينون اللحم الخائف السمج بحركات مرنة لبراءة بهيمية مدمرة...

يتموّج قمع الريح السوداء للموت على سطح الأرض، تستشعر، تشم جريمة الحياة المنفصلة، ومحرك اللحم المتجمد خوفاً يرتجف تحت منحنى احتمالٍ كبير...

كتل سكانية تختفي في لعبة الداما للإبادة الجماعية... كل الأرقام تمرّ...

الصحافة الليبرالية والصحافة غير الليبرالية والصحافة الرجعيّة تردّ بصوت واحد: «قبل كل شيء يجب القضاء على أسطورة التجربة على- مستوى -آخر...» ويكتبون بشكل قاتم عن حقائق قاسية أخرى... أبقار مريضة بالحمى القلاعية... العلاج الوقائي...

مجموعات مصالح نافذة تقطع خطوط الاتصال بشكل محموم...

كوكب الأرض ينجرف إلى الموت العشوائي لبؤساء الأرض...

فازت الديناميكا الحرارية في الزحف... فشل عنصر الأرغون عند خطّ النهاية... نزف المسيح... نفد الوقت...

يمكنك أن تقطع الطريق وتصل إلى *الغداء العاري* في أي نقطة

تقاطع... لقد كتبت العديد من المقدمات التي تضمر وتنفصل بشكل عفويّ مثل إصبع القدم الصغير المنفصل بشكل عفويّ في المرض الغربي-الإفريقيّ الذي يصيب الزنوج والشقراء العابرة تكشف عن إسورة الكاحل بينما يرتد إصبع إبهام مطليّ ومسوّى عبر شرفة النادي، وقد وثب الكلب الأفغانيّ وأحضر الإصبع ووضعه عند قدمي الشقراء...

الغداء العاري هي مسوّدة، دليلُ المتعاطين... شهوة البؤساء السوداء المفتوحة على مناظر طبيعية أخرى... مفاهيم مُجرّدة، عارية مثل معادَلات جَبريّة، تتقلص وتنكمش إلى غائطٍ أسود أو زوجٍ من الخصى الشائخة...

يوسّع دليل المتعاطين مستويات التجربة عن طريق فتح الباب الموجود في طَرف قاعة طويلة... تنفتح الأبواب في صمت فقط... *الغداء العاري* تُطالبُ القارئ بالصمت. وإلا فإنّه يشبه من يقيس نبضه بنفسه...

روبرت كريستي كان يجيد خدمة الرّد... اقتل كل القحاب المسنات... أبقِ شعر العانة في مدلاته... ألم تكن لتفعلها؟

روبرت كريستي، خانق نساء متسلسل - يبدو الأمر وكأنه حفلة جنس جماعيّ من الطراز الأول- شُنق في عام ١٩٥٣.

جاك السفاح، المُبارز والسيّاف من نهاية القرن التاسع عشر والذي لم يُمسَك مرة واحدة يلبس الكلسون... كتب رسالة إلى الصحافة:

«في المرة القادمة سأرسل لكم أذناً فقط للترفيه... ألم تكن لتفعلها؟».

«أوه كن حذراً! لقد تمزّقت مرة أخرى!» قال العجوز المتحول

جنسياً عندما تمزّق العقد وسقطت حبّاته على الأرض... «أوقفهم يا جيمس، أيها الخرية البائسة! لا تقف هناك وتترك حبّات السيّد تسقط في حاوية القمامة!».

يصرخ التجار المشبوهون عند المحطّة، ينهبون المساكين بدهاء المثليين (الديلاوديد هو مورفين مجفّف ومحسّن).

شريف يرتدي سترة سوداء يطبع مذكرة إعدام: «عليَّ أن أقوننه وأستثني المخدر...».

انتهاك قانون الصحة العامة بند ٣٣٤... تزويد النشوة الجنسية بالاحتيال...

يجثو جوني على يديه وقدميه وماري تمص له وتُعمِل أصابعها خلف فخذيه وبخفّة تداعب أطراف متنزّه الخصيتين...

على كرسي مكسور وفي الخارج من خلال نافذة مستودع الأدوات مسحوق أبيض تسوطه رياح ربيع باردة على جرف حجر جيري فوق النهر... قطعة من ضباب القمر معلقة في سماء خزفية زرقاء وعلى طول خطّ من المنيّ الذي يقطع أرضيّة متربة...

فندق... فندق... فندق... نيون من الأربيسك المكسّر... وحدةٌ تقطع القارّة بتأوهات مثل صافرات ضباب على سطح مياه دهنيّة لنهرٍ جزريّ...

كرةُ الطاعون البقريّ معصورة مثل حبّة ليمون جافّة تلعق ثقب المؤخرة مع قطعة من الحشيش المقطّعة بسكين ليتمّ تدخينها في نرجيلة. بقبقبقبق- تشير إلى ما كنتُه.

«النهر في خدمتك يا سيدي».

الأوراق الميتة تملأ النافورة ومن نبتة الغرنوق البرية تفوح رائحة النعناع وتسرّب خطاً من الأوساخ يقطع الساحة...

الرّجل اللعوب المتقدّم في السّنّ يرتدي معطفه الواقي من المطر والذي يعود إلى العام ١٩٢٠ ويدفع زوجته التي تصرخ داخل ماكينة طحن القمامة. . . شعر، براز ودم ينفجر عام ١٩٦٣ على الجدران «نعم يا سادة لقد علق البراز في المَروحة في عام ٦٣»، قال النبيّ العجوز المتعب الذي قد يقتلك ضجراً في كلّ اتجاه من اتجاهات الزمان والمكان. . .

«الآن أتذكر صدفةً أنه قبل عامين فقط من عدوى الحمى القلاعية التي تطوّرت في المراحيض في بوليفيا وانتشرت في العالم عبر معطف شينشيلا رفع دعوى ضريبة دخل في كانزاس سيتي. . . وسيّدة تُدعى ليز ادّعت حملاً مقدّساً ووضعت قرداً عنكبوتياً يزن مئة وخمسين غراماً. . . يقولون إنّ الطبيب المدمن الذي شارك في هذه الحيلة، كان القرد على ظهره طوال الوقت. . .».

أنا، وليام سيوارد، كابتن هذا المترو المحشش السّكران سوف أبيد وحش لوك نِس بالمبيد الحشريّ وسوف أقضي على الحوت الأبيض. سوف أخضع الشيطان لقانون الطاعة التلقائيّة وأصفّي العفاريت التابعين. سأطرد سمك الكانديرو من أحواضكم للسباحة.

سأنجب ثوراً بوضع وقائيّ. . .

«كلّما حدث شيء في أوقات متقاربة يكون أكثر روعةً»، قال الشاب الاسكندنافي المغرور الذي وقف على الأرجوحة الرياضيّة يذاكر دروسه الماسونيّة.

«اليهود لا يؤمنون بالمسيح، كليم. . . كل ما يريدونه هو أن يحظوا بالفتيات المسيحيات. . .».

تغني ملائكة مراهقة على جدران مراحيض العالم.

«تعالوا واستمنوا. . .».

«الأعرج يزوّد بضاعة مضروبة». يحكّ جوني جسمه بمشنقة العام ١٩٥٢.

البغلات لا يضعنَ في هذا المقاطعة النزيهة، ولا على ترّهات الموتى الذين يرتدون البرانس في الجَمر... انتهاك قانون الصحّة العامة بند ٣٣٤.

إذاً، أين التماثيل وماذا عن المكسب؟ من يعرف؟ لم أتلقّ البشارة... منزلي في حقيبتي الحمام... الملك يتجول وفي يده قاذفة لهب وقاتل الملك، معذباً بصورة آلاف الأشخاص المتشردين، ينزلق عند شارع السقوط ويتبرّز في ساحة الألعاب الحجريّة.

خرج الشاب ديلينجر من المنزل وللحظة لم ينظر إلى الوراء...

«لا تنظر إلى الوراء أبداً يا فتى... وإلا ستتحوّل إلى لعقة ملحٍ من قبل عاهرة عجوز».

رصاصة شرطة في الزقاق... أجنحة إيكاروس المتكسّرة، صراخ الفتى المحترق الذي يستنشقه المدمن العجوز... عيون خاوية مثل صحراء واسعة... (أجنحة نسور تتقشّر في الهواء الجاف).

السلطعون، عميد نشالي السكارى العجوز، يرتدي بذلته القشريّة في طريقه إلى ورديّته الأخيرة... بمخالبه الفولاذية يقلع أسنان الذهب والتيجان للمتشردين الغاطّين في النوم فاغري الأفواه... وإذا استيقظ أحدهم فجأة، ينسحب السلطعون إلى الخلف ويلوّح بمخالبه كمن يدعوه إلى معركة مريبة في صحراء الشواذ جنسياً.

اللص بوي، الذي ابتُلي بسجن طويل الأمد، وطُرد من المقبرة لعدم الدفع، دخل حانة المثليين وهو يلوّح بورقة متعفنة لرهن منزل ويطالب بأخذ المستبعدين من مدينة الخيام حيث الباعة المخصيون ينشدون نشيد الأي.بي.أم.

عبر السلطعون الغابة مرحاً... كلّ ليلة كان يصارع انتصاب الملاك... حاز على نيشان المثليين وعاد في طريق جانبيّة إلى كهف الحجر الجيريّ الصدئ.

اشتياق أسود يقذف فوق المستنقعات المالحة حيث لا ينمو أي شيء ولا حتى اليبروح...

قانون المتوسطات... وعدد قليل من الدجاج... هذه هي الطريقة الوحيدة للعيش...

«مرحباً بالمبالغ النقديّة».

«أنت متأكد من وجودها هنا؟».

«بالطبع أنا متأكد. سأدخل معك».

قطار الليل إلى شيكاغو... أقابل فتاة في القاعة وأرى أنها تبث على نفس الموجة، فأسألها كيف نتدبّر أمرنا؟

«ادخل يا فتى».

لم تكن شابة لكنّها متينة البنية...

«ربّما نحقن أولاً؟».

«لن تتكيّف».

ثلاث جولات... أستيقظ وأنا أرتعش وأعاني من الغثيان فيما رياح ربيعيّة دافئة تتسرب من النافذة، ومياه تحرق العينين مثل الحمض...

نهضت من السرير عارية... المادّة مخبأة في مصباح في هيئة كوبرا... تسخّن الجرعة بملعقة...

«استدر... سأعطيها لك في مؤخرتك».

تنزلق الإبرة في الأعماق، تسحبها وتدلك المؤخرة...

تلعق قطرة دم من إصبعها.

يستدير وبه انتصاب يتلاشى في رشح الجانك الرماديّ اللون.

في واد من الكوكايين والبراءة يبحث شبان حزينو النظرات عن داني بوي المفقود...

تعاطينا طوال الليل وفعلناها أربع مرات... تنزلق الأصابع على اللوح... تكشط العظام البيضاء. «المنزل» هو منزل الهيروين في البحر ومنزل النصاب البارع...

يتحرك بائع الرصيف بانزعاج: «تعال خذ مكاني يا فتى. يجب أن أذهب لأمر يتعلّق بالقرد».

تنقسم البشارة إلى وحدات تكون كلها في قطعة واحدة ويجب أخذها جميعها في عين الاعتبار، ولكن يمكن أن تكون القطع مرتبة بأي ترتيب بما أن البطن مربوط في الظهر، الداخل والخارج والأمام والخلف كنسق جنس مثير للاهتمام. ستندلق صفحات هذا الكتاب في جميع الاتجاهات، مشهد ملوّن من وجهات النظر، رنم الإيقاعات وضوضاء الشوارع، ضراط وصياح الثائرين وطرق المصاريع الفولاذية، وصراخ الألم والشفقة وزعيق الاعتلال الخالص، قطط تتزاوج وصيحة الغضب التي يطلقها رأس الثور المقتلع، تمتمات نبوية لساحر لجوزة الطيب، رقاب مكسورة ويبروح يصرخ، آهات النشوة، هيروين صامت مثل طلوع الفجر في الخلايا العطشى، وراديو القاهرة يصرخ باهتياج مثل مزاد التبغ العلني، وموسيقى رمضان تؤرجح المدمن المريض مثل نشالة سكيرين رقيقة تتحسس بأصابعها الناعمة الصدوع الخضراء المطوية في الفجر الرمادي لمترو الأنفاق...

هذا هو الوحي والنبوءة لما يمكنني التقاطه من دون إف.إم

بجهازي الكريستال الذي يعود الى العام ١٩٢٠ ذي الهوائيّة ذات السائل المنويّ. . . أيها القارئ اللطيف، نحن نرى اللّه من شروجنا في ومضة النشوة الجنسية. . . حوّل جسدك عبر هذه الفتحات. . . طريق الخروج هي طريق الدخول. . .

الآن، أنا، ويليام سيوارد، سوف أطلق جمهرة كلماتي. . . سيبحر قلبي، قلب الفايكينغ في النهر البني العظيم حيث المحركات تطلق أصواتاً في شفق الغاب وتطفو الأشجار الكاملة تعشش الثعابين الضخمة بين فروعها وتطلّ وقردة الليمور ذات النظرات الحزينة تطلّ على الضّفة، وسيعبر حقول ميسوري (وجد الفتى حُماضاً ورودياً) باتجاه صافرات القطار القصيّة، وسيعود إليَّ جائعاً مثل فتى شوارع لا يعرق كيف يمارس القوادة على مؤخرته التي منحها اللّه إياها. . . أيها القارئ الرقيق، سوف تنقضّ عليكَ البشارة بالمخالب الحديديّة للرجل النّمر، سوف تقطع أصابع اليدين والقدمين مثل سرطان اليابسة الانتهازي، سوف تعلقك وتلعق منيّك مثل كلب قابل للكلب، سوف تلف حول فخذيك مثل أفعوان أمازوني ضخم وتحقنك بكوب من الإكتوبلازما العفنة. . .

ولمَ كلبٌ *قابل للفكّ*؟

قبل عدّة أيام، عدتُ من خيط وجبة الغداء الطّويل المربوط من الفم إلى المؤخرة طوال سنوات حياتنا، وشاهدتُ فتى عربياً برفقة كلب صغير أبيض وأسود يجيد المشي على رجليه الخلفيتين. . . توجّه كلب نبّاح ضخم نحو الفتى يداعبه وقد دفعه الفتى بعيداً وأخذ الكلب النبّاح يهدر بصوت حادّ على الكلب الصغير كما لو أنّه امتلك هبة اللسان البشريّ: «جريمة ضدّ الطبيعة هناك».

لذلك أطلقت عليه لقب الكلب النباح القابل للفكّ. . .

واسمحوا لي أن أقول بمرور الكرام، وأنا دائماً أمرّ مثل مسحاة خالصة، إن الشرق المعطّل يحتاج إلى كومة من الملح لإنزاله. . . مراسلكم يتعاطى ثلاثين حبّة من المورفين يومياً ويجلس ثماني ساعات معطلاً مثل الروث.

«فيمَ تفكر؟» يسأل السائح الأمريكي المضطرب. . .

فأجبت: «لقد أجهد المورفين الهايبوتلاموس عندي، ومقر الليبيدو والعاطفة في الدماغ. . . وبما أن الدماغ الأمامي يعمل فقط بتحفيز من الجهة الخلفية بصفتي مواطناً تمثيلياً، فإنه يتلقى متعه من الخلف فقط - يجب عليَّ أن أبلغ عن الغياب المطلق للأحداث الدماغية. أنا أعي لوجودك، لكن بما أنه لا يوجد له أي دلالة عاطفية عندي، بعد أن فصل التاجر العاطفة عني عقب تأخر في الدفع، فإنك لا تهمني على الإطلاق. . . ابق أو ارحل، إخرأ أو نك ذاتك بمبشرة أو بأفعوان - كما يليق بملكة - أما الموتى والمدمنون فالأمر لا يعني لهم شيئاً. . .» إنهم غير قابلين للفكّ.

«أي طريق في منحدر الزقاق تصل إلى إلمرحاض؟» سألتُ نادلة شقراء.

«من هنا، يا سيدي. يوجد مكان لشخص إضافي في الداخل».

«هل رأيت روز بانتوبون؟» سأل المدمن العجوز بمعطف أسود.

وقد قتل شريف تكساس الطبيب البيطري المتواطئة معه، براوبيك المضرب نفسياً، الذي كان متورّطاً في قضيّة الهيروين والخيول.

يحتاج الحصان المريض بالحمى القلاعية إلى مقدار كبير من الهيروين لتخفيف آلامه وأحياناً يقطع بعض من هذا الهيروين البر

الموحش ويصهل في واشنطن سكوير. يندفع الحشاسون هاتفين: «هاي هو سيلفر![1]».

«ولكن أين *المنحوتات*؟» هذا النموذج الشجويّ صرخ في حجرة الشاي لكوكتيل لاونج المزخرفة بالبامبو في كالي خواريز، المكسيك... ضعت هناك بعد أن ألبسوني محاولة اغتصاب حمقاء.. القحبة تمزّق سروالك فتقع في تهمة اغتصاب يعاقب عليها القانون يا أخي...

شيكاغو على الخط... تحدثي من فضلك... شيكاغو على الخط... تحدثي من فضلك. لماذا تظنّون أنني ركّبتُ الواقي الذكري كقطع في بويو؟ هذا المكان رطب بشدة يا قارئي...

«اخلعه! اخلعه!».

يقابل المثلي العجوز نفسه وهو قادم من لفّة من الطريق الآخر مثل مهرّج مراهق، وأصيب في ركبته من شبحه وهو هوارد العجوز... عند منحدر الطريق النازلة إلى متحف شارع السوق هناك المستمنون على أنواعهم والخبراء بالتدمير الذاتي... الشبان يحتاجون إلى ذلك على وجه الخصوص...

كانوا ناضجين للقطف ونسوا طريق العودة من الثقب إلى الخلف... ضائعون في جذاذات المتعة الصغيرة واللفافات المحروقة...

إقرأ نقيلة الورم الخبيث بأصابع عمياء.

رسالة التهاب مفاصل متحجرة...

---

(١) عبارة كان يهتف بها «الحارس الوحيد» لحصانه سيلفر في مسلسل إذاعي أمريكي بعنوان «الحارس الوحيد».

«البيع يسبب الإدمان أكثر من التعاطي». لولا لا تشاتا، المكسيك، حامية الإيمان.

* * *

مص الإرهاب من ندوب الإبرة، صرخة تحت الماء لأعصاب خدرة تحذر من التوق القادم، مكان عضة داء الكلب يخفق...

اعتاد البحار أن يقول: «إذا كان اللّه قد صنع شيئاً أفضل فقد احتفظ به لنفسه»، وقد تباطأت قوى إرساله بعد تعاطي عشرين حبّة من الحبوب المهدّئة.

(تهوي أجزاء من القَتل على مهلٍ مثل رقائق الأحجار الكريمة عبر الغليسيرين).

يراقبك وهو يدندن مراراً وتكراراً نشيداً طفولياً.

يبيع المادة بكميات بسيطة لكَي يموّل إدماننا...

«استخدم الكحول من هنا»، أقول وأصفق المصباح الزيتيّ على الطاولة. «ألا يمكنك أن تنتظر! المدمنون اللعينون جائعون طوال الوقت ويحوّلون ملاعقهم إلى سوداء بعيدان الثقاب... هذا كلّ ما أحتاج إليه لكَي أقضي في السّجن... طُعم أسوَد لكَمين الشرطة...».

«ظننتُ أنك أقلعت... لن يكون ذلك مجدياً لعلاجك».

«يتطلب الأمر الكثير من الجرأة للإقلاع عن التعاطي يا حبّوب».

أبحث عن عروق في الجلد الذائب. ساعة المدمن الرملية تطلق ذراتها السوداء الأخيرة إلى الكلى...

«المنطقة مصابة بعدوى من العيار الثقيل»، تمتم وأزاح عاصب الشرايين إلى أعلى الذراع.

«الموت كان بطلهم الثقافي»، قالت سيدتي العجوز التي رفعت بصرها عن مجموعة مخطوطات المايا... «لقد حصلوا على النار والكلام وبذور الذرة من الموت... الموت يتحول إلى حقول من الذرة».

وصلنا إلى الأيّام المشؤومة.

رياح مجلجلة قاسية من الكراهية وسوء الحظ
أفسدت الحقنة.

قلتُ لها: «أبعدي هذه الصور القذرة اللطيفة من هنا».

المدمن القديم أسند نفسه إلى ظهر الكرسي، سكر وابتلع الحبوب المهدئة... عار على أبناء عصره.

«ما هذا- هل أصبحت واحداً من المدمنين على المهدئات؟».

انبعثت الروائح الصفراء لخمر الشيري الرخيص وانسداد الكبد، من ملابسه عندما مد يده - راحة اليد إلى أعلى - إشارة إلى مدمن يشتري...

رائحة بيوت ينبعث منها الفلفل الحار والمعاطف الرطبة
وخصى ضامرة...

نظر إليَّ عبر اللحم الإكتوبلازمي المتردد للمريض المتعالج... عندما تتحرر من الإدمان يظهر عليك خمسة عشر كيلوغراماً من اللحم في شهر... المعجون الوردي الناعم الذي يتلاشى في أول لمسة صامتة للمدمن... رأيت ذلك يحدث... يفقد خمسة كيلوغرامات في عشر دقائق... يقف هناك مع حقنة في يد واحدة... ويرفع سرواله باليد الأخرى.

رائحة حادة من المعدن المريضة.

يمشي في كومة من القمامة تصل إلى السماء... مشاعل من البنزين متناثرة... الدخان معلق في الهواء الساكن من براز أسود ويابس... يبقع الغشاء الأبيض لحرارة الظهر... د.إل. يسير جواري... انعكاس لثتي الخالية من الأسنان وجمجمتي الصلعاء... لحم مدهون على عظام متعفنة وفوسفورية، يحترق ببطء في اللهب البارد... يسحب علبة مفتوحة من البنزين ورائحة البنزين تلفّه... نمرّ عن تلة من الحديد الصدئ ونصادف مجموعة من المواطنين... وجوه مسطحة وثنائية الأبعاد لأسماك تفترس القمامة...

«ألقِ البنزين عليها وأشعلها...».

سريعاً...

وميض أبيض... صرخات حشرات ممزقة...

استيقظت وطعم المعدن في فمي وأنا عائد من عند الموتى

أجرجر رائحة الموت عديم اللون

مشيمة قرد رمادي ذاوٍ...

شبحُ الاستئصال يخز...

قال إدواردو: «الأولاد ينتظرون عند المحطة من يقلّهم»، وتوفي بجرعة زائدة في مدريد...

مسار قطار المسحوق يحرق الطريق عبر التلافيف الوردية للحم المنتفخ... يُشعل ومضات من النشوة...

صور مصغرة لحركة توقفت.. قطعة من الجسد بنية وناعمة تتلوّى في الطريق لإشعال سيجارة...

كان يقف هناك وعلى رأسه قبعة من القش تعود إلى العام ١٩٢٠

شخص ما أعطاه إيّاها . . . كلمات رقيقة لمستجدٍ تسقط مثل عصافير ميتة في شارع معتم . . .

«لا . . . لا أكثر . . . لا . . . ».

موجة هواء هائلة مدموغة بالرائحة المعدنية الفاسدة لغاز الصرف الصحي في الظلام البني البنفسجي . . . وجوه عمّال شبّان تهتزّ مشوّشة في الهالات الصفراء للمصابيح الزيتيّة . أنابيب مكسورة مكشوفة . . .

«إنّهم يعيدون بناء المدينة».

أومأ لي بتحيّر .

في كلتا الحالتين كانت خطوة سيئة للجناح الشرقي . . .

لو كنت أعرف لأسعدني أن أخبرك . . .

«ليس جيداً . . . نو بوينو . . . أنا بنفسي أدفع . . . ».

«بلا كلام . . . تعال الجمعة».

طنجة، ١٩٥٩

ملحق

رسالة من مدمن متقِن لمخدرات خطيرة[1]

الثالث من آب عام ١٩٥٦.
البندقية.

عزيزي الدكتور،

شكراً لرسالتك. أرفق هذه المقالة حول تأثيرات الأدوية المختلفة التي تعاطيتها. لا أعرف ما إذا كانت مناسبة للنشر في مجلتكم. ليس لدي أي اعتراض على استخدام اسمي.

لا أواجه مشاكل مع الشرب. لا رغبة لدي في استخدام أي نوع من المخدرات. صحتي العامة ممتازة. من فضلك بلّغ تحياتي للسيد--------. أمارس نظام التمارين اليومي مع نتائج ممتازة.

أفكر في تأليف كتاب عن المخدرات في حال تمكنت من العثور على شريك مناسب يتناول الجانب الفنيّ.

وليام بوروز

---

(١) المجلة البريطانية لقضايا الإدمان عدد ٥٣، جزء ٢.

يؤدي استخدام الأفيون ومشتقاته إلى حالة تعرّف الحدود وتفسّر «الإدمان» - (يستخدم هذا المصطلح عموماً للإشارة إلى أي شيء عادة ما يستخدمه أو يتوق إليه. يمكننا أن نتحدث عن الإدمان على الحلوى والقهوة والتبغ والطقس الدافئ، التلفزيون، والقصص البوليسية، والكلمات المتقاطعة). لذا، يسيء استخدام المصطلح للمعنى الدقيق. استخدام المورفين يؤدي إلى الاعتماد الأيضي على المورفين. يتحول المورفين إلى حاجة بيولوجية مثل الماء وقد يموت المتعاطي إذا تم حرمانه منه فجأة. سيموت مريض السكري من دون الأنسولين، لكنه لا يدمن الأنسولين. حاجته إلى الأنسولين لم تأت عن طريق استخدام الأنسولين. يحتاج إلى الأنسولين للحفاظ على الأيض الطبيعي. يحتاج المدمن إلى المورفين للحفاظ على أيض المورفين، وبالتالي تجنب الآلام الفظيعة بالعودة إلى الأيض الطبيعي.

لقد استخدمت عدداً من الأدوية «المخدّرة» على مدار عشرين عاماً. بعض هذه الأدوية يؤدّي إلى الإدمان كما ذُكر أعلاه. معظمها لا يفعل ذلك:

المواد الأفيونية - خلال فترة اثنتي عشرة سنة تعاطيت الأفيون، دخّنتُه وأخذته عن طريق الفم (الحقن في الجلد يسبّب الخراجات. الحقن في الوريد ليس ممتعاً وربّما يكون خطيراً أيضاً). حقنتُ الهيروين، في الجلد، الوريد، العضلات، وتعاطيته بالشّم (في حال لم تتوفّر الإبرة). تعاطيتُ المورفين، الديلاوديد، والبانتوبون، اليوكوديل، الباراكودين، الديونين، الكودئين، الديميرول، الميثدون. جميعها تؤدي إلى الإدمان بدرجات متفاوتة. كما أنه لا

توجد أهمية كبيرة للطريقة التي يتم تعاطي المخدرات من خلالها: تدخينها أو شمّها أو حقنها أو أخذها عن طريق الفم أو إدخالها في التحاميل الشرجية، فالنتيجة النهائيّة واحدة: الإدمان. من الصعب التخلص من عادة التدخين تماماً مثل عادة الحقن في الوريد. إن الافتراض القائل بأن عادات الحقن مضرّة ناجمة بشكل خاص عن خوف غير عقلاني من الإبر - («الحقن تُسمّم مجرى الدم» - كما لو أن مجرى الدم أقل تسمماً بالمواد التي تمتصها المعدة أو الرئتين أو الغشاء المخاطي).

الدميرول- ربما يكون الدميرول أقل إدماناً من المورفين. كما أنه أقل إرضاء للمدمن، وأقل فاعليةً كمسكّن للألم. في حين أن عادة الإدمان على الدميرول يمكن فطمها بسهولة أكبر من عادة الإدمان على المورفين، فإن الدميرول بالتأكيد أكثر ضرراً على الصحة وعلى وجه التحديد الجهاز العصبي. تعاطيت مرة الدميرول لمدة ثلاثة أشهر، وعانيت من عدد من الأعراض المؤلمة: ارتجاف اليدين (مع المورفين يداي دائماً مستقرتان)، فقدان التناسق التدريجي، تقلصات العضلات، البارانويا، والخوف من الجنون. في النهاية، لم أحتمل الدميرول - ولا شك أن ذلك مقياس لقوة المحافظة على الذات - وانتقلت إلى الميثدون. على الفور اختفت كل الأعراض. يمكنني أن أضيف أيضاً أن الدميرول يتسبب في الإصابة بالإمساك تماماً مثل المورفين، والذي يحبط الشهية والأداء الجنسي أكثر منه، ولكنه لا يقلّص الحدقَتَين. لقد حقنت نفسي بآلاف من الحقن غير المعقّمة على مدار سنوات، وفي الواقع كانت حقناً ملوّثة، ولكنّي لم أصب بالعدوى إلا بعد أن بدأت أتعاطي الدميرول. ثم عانيتُ من سلسلة من الخراجات كان لا بدّ فتح أحدها بعمليّة جراحية

وتصفيتها. باختصار يبدو لي أن الدميرول أكثر خطورة من المورفين. في حين أنّ المثيدون مُرضٍ تماماً للمدمن، قاتل ألم ممتاز، وأثر الإدمان عليه مثل المورفين على الأقل.

تناولتُ المورفين لتسكين ألم حاد. أي مادّة مخفّفة للألم تمتلك نفس درجة الفاعليّة في تخفيف أعراض الانسحاب. النتيجة واضحة: أي مادّة أفيونيّة تخفّف الألم تؤدّي إلى الإدمان، وكلّما كانت فاعليّتها عالية كانت درجة الإدمان عليها أكبر. يبدو أنّ جزيء المورفين الذي يتسبب في الإدمان هو نفس الجزيء الذي يخفّف الألم، وعمليّة تحفيف الألم هي نفس العمليّة التي تؤدي إلى إدمان الجسد وتعوّده عليه. يبدو أن المورفين الذي لا يسبّب إدماناً هو من علامات السّاعة، مثل حجر الفلاسفة في وقته. من ناحية أخرى، قد تكون تنويعات الأبومورفين فعالة للغاية في السيطرة على متلازمة الانسحاب. ولكن لا ينبغي لنا أن نتوقع أن يكون الأبومورفين مسكناً للألم أيضاً.

ظواهر إدمان المورفين معروفة جيداً ولا حاجة إلى تكرارها هنا. يبدو لي أن هناك بعض الجوانب لم تلق اهتماماً كافياً: فقد لوحظ عدم التوافق الأيضي بين المورفين والكحول، ولكن لا أحد، على حدّ علمي، قدم تفسيراً لذلك. إذا تناول مدمن المورفين الكحول فإنّ ذلك لا تصاحبه أحاسيس لطيفة أو مبتهجة. هناك شعور متزايد تدريجياً بعدم الرّاحة. يبدو أن الكبد يتسبّب في حدوث «تماس» في الكحول يتسبّب في حدوث «تماس» في استقلاب الكحول. حاولت مرة أن أشرب وأنا أتعافى جزئياً من اليرقان (لم أكن أتعاطى المورفين وقتها). كان الإحساس الأيضي متطابقاً. في إحدى الحالات، كان الكبد يعمل جزئياً بسبب اليرقان، في حالة أخرى كان

مشغولاً، بالمعنى الحرفيّ للكلمة، باستقلاب المورفين. في كلتا الحالتين لم يكن في مقدوره استقلاب الكحول. إذا أصبح مدمن الكحول مدمناً على المورفين، فإن المورفين يستبدل الكحول تماماً. لقد عرفت العديد من المدمنين على الكحول الذين بدأوا في تعاطي المورفين وكانوا قادرين على احتمال جرعات كبيرة من المورفين على الفور (حبة واحدة للحقنة) من دون أعراض جانبية سيئة، وفي غضون أيام توقفوا عن تعاطي الكحول. لا يستطيع مدمن المورفين تعاطي الكحول عندما يستخدم المورفين أو أثناء عملية الانسحاب. القدرة الجسمانية على تحمّل الكحول هي علامة مؤكدة على التخلص من السموم. ونتيجة لذلك، لا يمكن أبداً استبدال الكحول بالمورفين مباشرة. بالطبع، قد يبدأ شخص تخلّص من المورفين بتعاطي الكحول ويصبح مدمناً على الكحول.

أثناء الانسحاب يدرك المدمن محيطه بشكل تامّ. تُشحذ الانطباعات الحسّية إلى درجة الهلوسة. تبدو الأجسام المألوفة تتحرك من ذواتها. يخضع المدمن لمشاعر خارجية وداخلية. قد يعاني من ومضات من الجمال والحنين، ولكن الانطباع العام مؤلم للغاية - (ربما تكون أحاسيسه مؤلمة بسبب قوّتها. قد يصبح الإحساس اللطيف غير محتمل بعد الوصول إلى نقطة معيّنة من القوّة).

لاحظتُ عدّة ردّات فعل خاصّة في مرحلة الانسحاب المبكر: (١) كل شيء يبدو مهدّداً. (٢) زَوَر خفيف. الأطباء والممرضات يبدون كوحوش شريرة. خلال العديد من العلاجات التي خضعتُ لها، شعرت بنفسي محفوفاً بمجانين خطرين. تحدثت مع أحد المرضى المتعالجين لدى د. دنت، بعد فترة وجيزة من خضوعه

لعلاج «التخلص» من الإدمان على البيثيدين. روى لي تجربة مماثلة، أخبرني أن الممرضات والأطباء «بدوا وحوشاً وبغيضين على مدار ٢٤ ساعة». وبدا كل شيء أزرق. وقد تحدثت مع مدمنين آخرين عانوا من ردات الفعل نفسها. تبدو القاعدة النفسية لردة الفعل الزّورانيّة أثناء الانسحاب، واضحة. يشير التشابه النوعي لهذه التفاعلات إلى أصل أيضيّ مشترك بين الجميع. التشابه بين ظاهرة الانسحاب وحالات معينة من النشوة (بتأثير أنواع أخرى من المخدرات) لافت للنظر. الحشيش، البنيستيريا كابي (هرمالين)، البيوتي (مسكالين)- كلها تنتج حالات حساسية حادة، مع ميل إلى الهلوسة. كل شيء يبدو حياً. مشاعر زورانيّة متكررة. على وجه التحديد، نشوة البنيستيريا كابي شبه متطابقة مع حالة الانسحاب. كل شيء يبدو مهدداً. ويتعاظم الإحساس بالزّور وخاصة مع تعاطي جرعة زائدة. بعد تناول البنيستيريا كابي، كنت مقتنعا بأنّ المعالج ومعاونه يتآمران لقتلي. يبدو أن حالات الأيض في الجسم يمكن أن تزيد من نفس الأعراض التي تتسبب فيها أنواع معينة من المخدرات.

في الولايات المتحدة الأمريكية يتلقى مدمنو الهيروين علاجاً لاإرادياً مخفضاً بواسطة تجّارهم الذين يخلطون بضاعتهم ببودرة الحليب والسكر والباربيتورات بشكل تدريجيّ. نتيجة لذلك، فإن العديد من المدمنين الذين يسعون للعلاج يصبحون مدمنين على نحو طفيف ويتسنى لهم التخلص من المخدرات بشكل كامل في وقت قصير (من ٧ إلى ٨ أيام). إنهم يتعافون بسرعة من دون تناول أية أدوية. في الوقت نفسه، فإن أي عقاقير مهدّئة، أو مضادات للحساسية أو مسكّنات، ستوفر قسطاً من الراحة، خاصة إذا تم حقنها. يشعر المدمن بتحسن إذا علم أن بعض المواد الغريبة تتدفق

عبر مجرى الدم. التولسيرول والثوراوين و«المهدئات» القريبة منها، مجموعة الباربيتورات ومشتقاته، الكلورال والبرالديهايد ومضادات الهيستامين والكورتيزون والريزيربين، حتى العلاج بالصدمة الكهربائيّة - تمّ استخدام جميعها ووصفت النتائج بأنها «مشجعة». من تجربتي الخاصة أعتقد أنّ ثمّة حاجة للتعامل مع هذه النتائج بحيطة وحذر. بالطبع، يوجد ثقل لعلاج الأعراض، وجميع هذه الأدوية (باستثناء: الباربيتورات وهي الأكثر شيوعاً) تشغل حيزاً في علاج متلازمة الانسحاب. لكن أياً من هذه الأدوية هو في حد ذاته جواب على الانسحاب. أعراض الانسحاب تختلف من فرد إلى آخر وهي رهينة الأيض والحالة الجسدية للمريض. الأشخاص الذين يعانون من مرض الصدر الحمامي، أو حساسية الأنف أو الربو الأفراد معرضون للمعاناة بشكل كبير من أعراض الحساسية أثناء الانسحاب: سيلان الأنف، عطاس، ألم حاد، عيون دامعة، صعوبة في التنفس. في مثل هذه الحالات، يمكن أن توفر أدوية الكورتيزون ومضادات الهيستامين راحة بشكل مؤكّد. من الممكن السيطرة على القيء بأدوية مضادة للغثيان مثل الثورازين.

لقد خضعت لعشرة «علاجات» تم فيها استخدام كل هذه الأدوية. خضعت لعلاج بتخفيض الجرعة السريع والبطيء، وخضعت للنوم لفترات طويلة، ولعلاج بالأبومورفين، ومضادات الهيستامين، ولطريقة فرنسيّة تتضمن منتجاً لا قيمة له يُعرف باسم «أمورفين». خضعت لكل شيء ما عدا الصدمة. (يهمني أن أسمع نتائج تجارب أخرى مع علاج الصدمة على شخص آخر). يعتمد نجاح أي علاج على درجة ومدة الإدمان، في مرحلة الانسحاب (الأدوية التي تكون فعالة في وقت متأخر من الانسحاب أو أثناء علاج إدمان بسيط يمكن

أن تكون نتائجها كارثية في المرحلة الحادة)، وفي الأعراض الفرديّة مثل الحالة الصحيّة، سنّ المريض إلخ. هناك طرق علاج قد تكون فعالة في وقت ما، وقد تكون بلا فائدة في وقت آخر، أو أنها قد تعود بالفائدة على شخص دون آخر. أنا أحاول أن أعطي أحكاماً نهائيّة هنا، إنّما فقط الإبلاغ عن ردّات فعلي الخاصة لمختلف أنواع المخدرات ولطرق العلاج.

العلاج بتخفيض الجرعات- هذا هو الشكل الأكثر شيوعاً للعلاج، ولا يمكن لأي طريقة تم اكتشافها أن تحل محلها بالكامل في حالات الإدمان الثقيل. يجب أن يتعاطى المريض المورفين. إذا كانت هناك قاعدة واحدة تنطبق على جميع حالات الإدمان، فهذه هي القاعدة. ولكن يجب إيقاف المورفين بأسرع ما يمكن. لقد خضعتُ لعلاج التخفيض البطيء وفي كل الحالات لم تكن النتيجة مشجّعة وانتهت بانتكاسة. قد يكون التخفيض التدريجيّ بلا نهاية. عندما يسعى المدمن إلى التعافي، فإنّه يعاني في معظم الحالات من أعراض الانسحاب أكثر من مرة. إنه ينتظر تجربة غير سارة ويستعدّ لتحمّلها. ولكن إذا امتد ألم الانسحاب على مدار شهرين بدلاً من عشرة أيام، فقد لا يتمكن من تحمّله. لا تنكسر القدرة على الصّمود من شدّة الألم وإنما بسبب مدة الألم. إذا كان المدمن يتعاطى الأفيون على أساس جرعات ثابتة، ولو كانت صغيرة، للتخفيف من أعراض الانسحاب - الضّعف، الأرق، الملل، قلّة الراحة - فإن أعراض الانسحاب سوف تطول إلى أجل غير مسمى، والانتكاسة التامة شبه مؤكّدة.

النوم المطول.- نظرياً يبدو الأمر جيداً. تخلد للنوم وتستيقظ معافى. بالنسبة إلي، فإنّ الجرعات المصنّعة من هيدرات الكلورال،

الباربيتورات، الصوديوم، ولّدَت فقط حالة كابوسيّة من الوعي النصفيّ. إيقاف جرعات المواد المهدئة، بعد ٥ أيام، تسبب في صدمة قاسية. أثّرت أعراض الانسحاب من المورفين على العلاج. كانت النتيجة النهائية متلازمة مضاعفة مرعبة. لم يكن أي من العلاجات التي خضعت لها مؤلماً مثل هذه الطريقة غير المؤلمة في ظاهرها. دائماً ما تكون دورة النوم واليقظة مضطربة بشدة أثناء الانسحاب. لزيادة الاضطراب من خلال جرعات هائلة يبدو أمراً، أقلّ ما يقال، مضاداً للاستطباب. إن انسحاب المورفين هو أمر مؤلم بما فيه الكفاية من دون الحاجة إلى إضافة الباربيتورات. بعد أسبوعين في المستشفى (خمسة أيام من العلاج، وعشرة أيام من «الراحة»)، كنت لا أزال ضعيفاً لدرجة أنني أغمي عليّ عندما حاولت أن أتحرك على مسطّح مائل بدرجة طفيفة. أعتقد أن النوم لفترات طويلة أسوأ طريقة ممكنة لعلاج الانسحاب.

مضادات الهيستامين. - يعتمد استخدام مضادات الهيستامين على نظرية الحساسية الانسحابية. التوقف المفاجئ عن المورفين يؤدي إلى إنتاج مفرط للهيستامين تتسبب في أعراض حساسية. (في حالة الصدمة الناجمة عن إصابة رضحية يرافقها ألم حاد، يتم إطلاق كميات كبيرة من الهيستامين في الدم. في حالة الألم الحاد كما هو الأمر في حالات الإدمان، يحتمل الجسم الجرعات السامة- والفجائية- من المورفين. الأرانب التي لديها نسبة عالية من الهيستامين في الدم، تكون شديدة المقاومة للمورفين). من تجربتي الخاصة مع مضادات الهيستامين لم تكن هناك نتائج قاطعة. لقد خضعت مرة لعلاج استخدموا فيه مضادات الهيستامين فقط، وكانت النتائج جيدة. لكني وقتها كنت مدمناً بدرجة بسيطة، ولم أتعاط

المورفين لمدة ٧٢ ساعة قبل البدء بالعلاج. من وقتها، استخدمت مضادات الهيستامين على الدوام لأعراض الانسحاب لكن النتائج كانت مخيبة للآمال. في الواقع يبدو أنها تزيد من اكتئابي وإثارة أعصابي (لا أعاني من أعراض حساسية نموذجية).

أبومورفين - من المؤكد أن الأبومورفين هو أفضل طريقة لعلاج متلازمة الانسحاب التي عانيت منها. الطريقة لا تقضي تماماً على أعراض الانسحاب، لكنها تقلل من درجة المعاناة. يتم التحكم تماماً في الأعراض الحادة مثل تقلصات المعدة والساق، أو حالات التشنج أو الهوس. في الحقيقة، العلاج بالأبومورفين أقل إزعاجاً من العلاج بتخفيض الجرعات. الشفاء من خلالها أكثر سرعة وأكثر اكتمالاً. أشعر أنني لم أشف تماماً من الرغبة في المورفين إلا عندما خضعت للعلاج بالأبومورفين. ربما الشغف «النفسي» بالمورفين والذي يستمر بعد الشفاء ليس نفسياً على الإطلاق وإنما أيضيّ. قد تكون التنويعات المؤثرة في معادلة الأبومورفين أكثر فاعلية في علاج أشكال الإدمان المختلفة.

الكورتيزون. - يبدو أن الكورتيزون يوفر بعض الراحة خاصة عند الحقن في الوريد.

الثورازين. - يوفر بعض الراحة من أعراض الانسحاب، ولكن ليس إلى حد كبير. الأعراض الجانبية تشمل الاكتئاب، اضطراب الرؤية، عسر الهضم وتثير الشكوك في فوائده.

الريزيربين. - لم ألاحظ أي تأثير للدواء سوى تسببه في اكتئاب طفيف.

التولسيرول. - النتائج لا تذكر.

الباربيتورات. - من الشائع وصف الباربيتورات لأرق

الانسحاب. في الواقع، استخدام الباربيتورات يؤخر عودة النوم الطبيعي، يطيل فترة الانسحاب، وقد يؤدي إلى الانتكاس. (يميل المدمن إلى تعاطي القليل من الكودئين أو صبغة الأفيون الكافورية مع النيمبوتال. كميات صغيرة جداً من المواد الأفيونية، والتي لن تُحدث ضرراً للفرد الطبيعي، سوف تعيد الإدمان على الفور إلى مدمن متعاف). تجربتي تؤكد تصريح الدكتور دنت أن الباربيتورات منافية لعملية الانسحاب.

الكلورال والبارالدهيد. - ويتم تفضيلها على الباربيتورات إذا كان المهدئ ضرورياً، لكنّ معظم المدمنين يتقيأون من البارالدهيد على الفور.

لقد حاولت أيضاً، بمبادرة مني، تناول العقاقير التالية أثناء فترة الانسحاب:

الكحول. - ينافي الانسحاب في كافة مراحله. يؤدي تعاطي الكحول دورياً إلى تفاقم أعراض الانسحاب ويسبب في الانتكاس. يمكن تحمُّل الكحول فقط بعد عودة عملية الأيض إلى وضعها الطبيعي. عادة ما يستغرق الأمر شهراً واحداً في حالات الإدمان الشديد.

البنزيدرين. - قد يخفف مؤقتاً من اكتئاب الانسحاب المتأخر. كارثي أثناء الانسحاب الحاد، ولا ينسجم مع الانسحاب في أي مرحلة لأنه ينتج حالة عصبية حلّها الفسيولوجي هو المورفين.

الكوكايين. - ما ورد أعلاه يتضاعف مع الكوكايين.

القنّب الهنديّ (الماريجوانا): في الوقت المتأخر من الانسحاب أو أثناء الانسحاب الطفيف، يخفّف من الاكتئاب ويزيد من الشهية، في حالة الانسحاب الحاد فإنه يشكل كارثة. (في إحدى المرّات

دخّنت الماريجوانا أثناء الانسحاب المبكر وكانت النتائج كابوسية). القنّب مادّة محسّسة. إذا كنت تشعر بالسوء فإنه سوف يجعلك تشعر أسوأ. يمنع استخدامه.

البيوتي، *بانيستيريا كابي*. - لم أجرؤ على تجريبه. مجرد التفكير في تسمم البانيستيريا المفروض على الانسحاب الحاد يصيب الرأس بدوار. أعرف شخصاً تعاطى البيوتي خلال الانسحاب المتأخر، ادّعى أنه فقد الرغبة في المورفين، وتوفّي في نهاية المطاف من تسمم البيوتي.

في حالات الإدمان الشديد، تتواصل الأعراض الجسدية للانسحاب لمدة شهر واحد على الأقل.

لم أر أو أسمع عن مدمن مورفين ذهانيّ. أقصد لم يُظهر أي شخص أعراضاً ذهانية أثناء إدمانه على المواد الأفيونية. في الواقع، المدمنون عاقلون. ربما يكون هناك عدم توافق أيضي بين الفصام والإدمان على الأفيون. من ناحية أخرى، غالباً ما يؤدي انسحاب المورفين إلى ردّات فعل ذهانية - عادةً ما يكون نوعاً من الزّوَر. الأمر المثير أن الأدوية وطرق العلاج التي تثمر عن نتائج إيجابية في الفصام لها قدر من الفاعلية في الانسحاب: مضادات الهيستامين، المهدئات، الأبومورفين، الصدمة.

يعرّف السير تشارلز شرينغتون[1] الألم بأنه «مساعد نفسي لرد الفعل الوقائي الوقائي».

يتوسع الجهاز العصبيّ النباتيّ ويتقلص استجابةً للإيقاعات الداخلية والمحفزات الخارجية. التوسع هو استجابة للمحفزات التي

---

(١) طبيب بريطانيّ حائز على جائزة نوبل عام ١٩٣٢.

تتميز بكونها ممتعة - الجنس، الطعام، العلاقات الاجتماعية الودية، وما إلى ذلك، وتنكمش من الألم والقلق والخوف وعدم الراحة والملل. يغير المورفين الدورة الكاملة للتوسع والتقلص والتفريغ والتوتر. يتمّ تعطيل الأداء الجنسيّ، يُمنع التمعج، تتوقف الحدقتان عن الاستجابة لتغيرات الضوء والظلام. يتوقف الكائن الحي عن الانكماش استجابةً للألم ولا يتوسع استجابة لمصادر المتعة الطبيعية. يتكيّف مع دورة المورفين. المدمن في مأمن من الملل. يمكنه أن ينظر إلى حذائه لساعات أو ببساطة البقاء في السرير، فهو لا يحتاج إلى تفريغ جنسيّ أو علاقات اجتماعية أو عمل أو تسلية أو تمارين رياضية أو شيء آخر سوى المورفين. قد يخفف المورفين الألم عن طريق نقل بعض خصائص النبات إلى الكائن الحي. (لا يمكن أن يؤدّي الألم أي وظيفة لدى النباتات، لكونها، غالباً، غير متحركة، ولا تحتوي على منعكسات وقائية).

يبحث العلماء عن صيغة للمورفين لا تؤدي الى الإدمان وتقتل الألم من دون الإحساس بالمتعة. يريد المدمنون- أو يعتقدون أنهم يريدون- النشوة من دون إدمان. كيف يمكن الفصل بين وظائف المورفين: أعتقد أنّ أيّ قاتل فعال للألم سوف يثبط الأداء الجنسيّ، يحفز النشوة ويسبّب الإدمان. قد يؤدي قاتل الألم الكامل إلى إدمان فوريّ. (إذا كان أيّ شخص مهتماً بتطوير هذا الدواء، فقد يكون الديهدرو-أوكس-هيروين انطلاقة جيدة).

المدمن موجود في حالة تخلو من الألم والجنس والوقت. الانتقال إلى إيقاعات الحياة الحيوانية تنطوي على متلازمة الانسحاب. أشك في إمكانيّة تحقيق هذا الانتقال في راحة. يمكن تحقيق الانسحاب الخالي من الألم بشكل جزئي فقط.

الكوكايين. - الكوكايين هو المخدر الأكثر إثارة للبهجة الذي تعاطيته على الإطلاق. النشوة تتمركز في الرأس. ربما ينشط المخدر روابط المتعة مباشرة في الدماغ. أظن أن التحفيز الكهربائي للأماكن المناسبة سوف تُحدث نفس التأثير. لا يمكن أن تتحقّق البهجة التامة من الكوكايين إلا عن طريق الحقن في الوريد. لا تدوم أعراض المتعة لأكثر من خمس أو عشر دقائق. إذا تم حقن الدواء في الجلد، فإن تحلل المادة يضعف تأثيرها. يتضاعف الأمر في الشمّ.

ومن ممارسات متعاطي الكوكايين الجلوس طوال الليل وحقن الكوكايين، باستراحات مدّتها دقيقة وبالتناوب مع مزج جرعات الهيروين في نفس الحقنة لإنتاج «الكرة السريعة» (كلّ الأشخاص الذين عرفتهم في حياتي ممّن يتعاطون الكوكايين كانوا مدمنين على المورفين).

قد تكون الرغبة في الكوكايين شديدة. حدث أن أمضيت أياماً كاملة وأنا أنتقل من صيدلية إلى أخرى لصرف وصفة كوكايين. قد ترغب في الكوكايين بشدة، ولكن الحاجة إليه ليست أيضية. إذا لم تتمكن من الحصول على الكوكايين فإنك تتناول شيئاً، تخلد إلى النوم وتنسى أمره. لقد تحدثت في الأمر مع أشخاص استخدموا الكوكايين لسنوات، ثم قُطعوا فجأة عن إمداداتهم. لا أحد منهم يعاني من أي أعراض الانسحاب، ومن الصعب أن نرى كيف يمكن أن يكون منبه الدماغ الأمامي باعثاً على الإدمان. يبدو أن المهدئات تحتكر الادمان.

استمرار تعاطي الكوكايين يتسبب في العصبية والاكتئاب، وأحياناً يؤدي إلى ذهان ترافقه هلوسات زورانيّة. العصبية والاكتئاب الناتجان عن تعاطي الكوكايين لا يخففان من تعاطي المزيد من

الكوكايين. تعاطي المورفين يجلب الراحة. دائماً ما يؤدي تعاطي الكوكايين من قبل مدمن المورفين استهلاك أكبر للمورفين.

القنب الهندي (الحشيش والماريجوانا). - تم وصف آثار هذا الدواء بشتّى الأوصاف: اضطراب في إدراك المكان/الزمان، الحساسية الحادة للانطباعات، تحفيز الخيال، نوبات الضحك والترهات. الماريجوانا هي مادة محسّسة، والنتائج ليست دائماً ممتعة. إنها تزيد الوضع سوءاً. الاكتئاب يتحول إلى يأس، والقلق إلى هلع. لقد ذكرت بالفعل تجربتي الرهيبة مع الماريجوانا خلال الانسحاب الحاد من المورفين. في إحدى المرات، أعطيت الماريجوانا لضيف كان قلقاً إلى حد ما من موضوع («رفساتٌ في المؤخرة») كما سمّاها. بعد تدخين نصف سيجارة، قفز فجأة على قدميه وهو يصرخ «أصبتُ بالخوف!» وهرب من المنزل.

وهناك سمة مخيفة بشكل خاص من سُطل الماريجوانا وهي اضطراب في التوجه العاطفي. لا تعرف ما إذا كنت تحب شيئا أم لا، وإن كان الإحساس لطيفاً أو مزعجاً.

يختلف تعاطي الماريجوانا بشكل كبير من فرد إلى آخر. يدخنه البعض باستمرار، ويدخّنه آخرون أحياناً، وهناك نسبة كبيرة يمقتون الماريجوانا. يبدو أنها لا تحظى بشعبية، خاصة بين مدمني المورفين، الذين يتحسّسون من تعاطيه بشدة.

لقد بولغ في وصف الآثار الضارة للماريجوانا في الولايات المتحدة. المخدّر الوطنيّ الأمريكيّ هو الكحول، ما عدا ذلك من أنواع المخدرات يثير رعباً خاصاً في نفس الأمريكيّ العاديّ. كلّ من يقع في هذا الخطأ المرذول يستحقّ دمار عقله وجسده. يؤمن النّاس

بما يريدون تصديقه بغض النظر عن الحقائق. تعاطي الماريجوانا لا يتسبب في الإدمان. لم أر أي دليل على وجود أي آثار سيئة جرّاء التعاطي المعتدل للماريجوانا. قد يتسبّب التعاطي المطوّل والمفرط للماريجوانا في الهوس.

الباربيتورات. - الباربيتورات بالتأكيد تؤدّي إلى الإدمان إذا تمّ تناولها بكميات كبيرة على مدار فترة زمنية (تقريباً غرام واحد يومياً يسبب الإدمان). متلازمة الانسحاب هي أكثر خطورة من انسحاب المورفين، ويصحبها الهلوسة مع تشنجات صرعيّة. وكثيراً ما يصيب المدمنون أنفسهم وهم يتقلّبون على أرضيات خرسانية (الأرضيات الخرسانية هي لازمة طبيعية يلجأ إليها المدمنون أثناء للانسحاب المفاجئ). وكثيراً ما يتناول مدمنو المورفين الباربيتورات لتقوية جرعات المورفين غير الكافية. بعضهم أصبح أيضاً مدمناً على الباربيتورات.

في فترة من الفترات، اعتدتُ تناول كبسولة نيمبوتال (كلّ كبسولة عبارة عن حبّة ونصف الحبّة) كل ليلة لمدة أربعة أشهر ولم أتعرّض لأعراض الانسحاب. إدمان الباربيتورات هو مسألة كمية. في الغالب، لا يشبه الإدمان على المورفين، بل يكون رد فعل آلياً من فرط تخدير الدماغ الأمامي.

رؤية المدمن الباربيتوري أمر مروع. فهو لا يقوى على التآزر، يتخبّط، يسقط عن الكراسي، ينام أثناء الحديث، يسقط الطعام من فمه. مرتبك، مشاكس وغبيّ، وكثيراً ما يتعاطى أي نوع من المخدرات تقع بين يديه: الكحول، البنزيدرين، الأفيون، الماريجوانا. ينظر المدمنون إلى متعاطي الباربيتورات نظرة دونية.

متسكّعون لا يتميّزون بأيّ أسلوب، خطوة واحدة ويدمنون غاز الفحم أو الحليب، أو استنشاق الأمونيا من السُّطل - وهو عشق المساعدات المنزليّات.

يبدو لي أن الباربيتورات تتسبب في أسوأ أشكال الإدمان: القبيح، المتردّي والذي يصعب علاجه.

البنزيدرين. - هو منبّه دماغيّ مثل الكوكايين. جرعات كبيرة منه تسبّب الأرق لفترات طويلة بمشاعر النّشوة يتبعها اكتئاب فظيع. يميل المخدر إلى زيادة القلق ويتسبّب في عسر الهضم وفقدان الشهية.

أعرف حالة واحدة فقط لانسحاب البنزيدرين المصحوب بأعراض خاصّة. كانت هناك امرأة، من معارفي الذين تعاطوا كميات لا تصدق من البنزيدرين لمدة ستة أشهر. خلال هذه الفترة طورّت ذهاناً حاداً وتم إدخالها إلى المستشفى لمدة عشرة أيام. واصلت استخدام البنزيدرين، ولكن تم إيقافه فجأة. عانت من نوبة الربو، ولم تستطع التنفس وازرقّت. أعطيتها جرعة من مضاد الهيستامين (ثيفورين) الذي خفّف عنها على الفور. الأعراض لم تعد.

البيوتي (ميسكالين). مادّة منشّطة بلا شك. توسّع حدقتَي العينين، وتبقيك يقظاً. يتسبب البيوتي أيضاً في الإحساس بالغثيان الرهيب. يواجه المتعاطون صعوبة في بلعه وإبقائه في البطن لمدة كافية لتحقيق التأثير المرجو، وهو يشبه الماريجوانا، في بعض النواحي. هناك حساسية متزايدة للانطباعات، وخاصة للألوان. يسبّب سُطل البيوتي في حالة خاصّة من الوعي النباتي أو التماهي مع

النبات. كلّ شيء يصير شبيهاً بنبتة البيوتي. من السّهل أن نفهم لماذا يعتقد الهنود أنّ هناك روحاً مقيمة في صبّار البيوتي.

قد تؤدّي الجرعة الزائدة من البيوتي إلى شلل عضلات التنفس والوفاة. أعرف حالة واحدة. لا يوجد سبب للاعتقاد بأن البيوتي يتسبب في الإدمان.

البنيستيريا كابي (الهيرمالين، البانسترين، التيليباثين)- وهي كرمة سريعة النمو. على ما يبدو، يتواجد العامل المنشّط في جذعها وقت قطعها. يعتبر اللحاء الداخليّ أكثر نشاطاً، ولا يتم استخدام الأوراق أبداً. تُستَخدَم كمية كبيرة منها لتحقيق التأثير الكامل. للشخص الواحد هناك حاجة لقطع خمس قطع من الكرمة بطول عشرين سنتيمتراً للقطعة، ويتم دكّ الكرمة وغليها لساعتين أو أكثر مع أوراق شجيرة من الفصيلة الفويّة يُطلق عليها اسم باليكوري سب. روبياكا.

الياغي أو الأياهواسكا (الأسماء الهندية الأكثر استخداماً للبانيستيريا كابي) هو عبارة عن مخدر ينتج عنه خلل عميق في الحواس. جرعة زائدة منه تُعدّ سامّة وتتسبب في نوبات تشنجيّة. الترياق لهذه المادة هو الباربيتورات أو أي مسكن قوي آخر مضاد للتشنج. يجب على أي شخص يتعاطى الياغي لأول مرة أن يجهز مهدئاً في حالة حدوث جرعة زائدة.

أدّت السمات الهذيانية للياغي إلى استخدامها من قبل المعالجين الطبيّين الهنود لتحفيز قدراتهم. كما أنهم يستخدمونه كعلاج الأمراض المختلفة. يخفض الياغي درجة حرارة الجسم، وبالتالي يُستخدم في علاج الحمى، وهو مضادّ قويّ للديدان، ويشار إليه لعلاج الديدان

المعوية. يثير الياغي حالة من فقدان الإحساس الواعي، ويستخدم في الطقوس حيث يجب على المبتدئين الخضوع لآلام حادّة مثل الجَلد بكرمة معقودة، أو التعرّض للسعة النمل.

من تجربتي، فإنّ جذع الكرمة وحده له تأثير منشّط. لم أجد طريقة لتجفيف، أو استخراج أو الحفاظ على العامل المنشّط. الكرمة المجففة خاملة تماماً. علم الصيدلة المختصّ بالياغي يتطلب بحوثاً مختبريّة. بما أن المستَخلص الطبيعيّ هو مخدّر قويّ يبعث على الهلوسة، ربما أمكن الحصول على نتائج مذهلة أكثر مع صيغته التركيبيّة. مؤكّد أن الأمر يتطلب المزيد من البحث[1].

لم ألاحظ أيّ آثار سيئة تعزى إلى استخدام الياغي. يبدو أن المعالجين الذين يستخدمونه باستمرار، في إطار عملهم، يتمتعون بصحة طبيعية. التعود على هذه المادة سريع بحيث يمكن للمرء أن يشرب المستخلص من دون التسبب في الغثيان أو غيره من الآثار السيئة.

الياغي هو مخدّر فريد من نوعه. سُطل الياغي في بعض النواحي يشبه سُطل الحشيش. في كلتا الحالتين تختلف وجهة النظر، ويتوسع الوعي بخلاف التجربة العادية. لكن الياغي ينتج تشوهاً أعمق للحواس وهلوسة فعلية. من أعراضه الخاصة، رؤية ومضات زرقاء.

هناك توجهات واسعة النطاق حول الياغي. يبدو أن العديد من الهنود ومعظم المتعاطين البيض يعتبرونه مجرّد مادة مسكرة مثل

---

(١) بعد نشر الكتاب عرفت أن قلويد البنيستيريا يشبه إلى حدّ كبير LSD6 ، مادّة تمّ استخدامها لإنتاج هلوسات اختباريّة. ما أعرفه أنّه تمّت تقوية المادّة منذ ذلك الوقت وأطلق عليها اسم LSD25 (المؤلف).

الخمور. في مجموعات أخرى يحظى الياغي بأهمية طقوسية. في قبيلة جيفارو الهندية مثلاً، يتعاطى الشبان الياغي للاتصال بأرواح أسلافهم والإحاطة بحياتهم المستقبلية. كما أنه يتم استخدامه خلال الطقوس الاستهلاليّة لتخدير الأوجاع. جميع المعالجين يستخدمونه في تنبؤاتهم بالمستقبل، تحديد مكان المفقودات أو المسروقات، الكشف عن أسماء مرتكبي الجرائم، تشخيص وعلاج الأمراض.

تم عزل قلويد البانيستيريا في عام ١٩٢٣ على يد فيشر كاديناس. أطلق عليه اسم تيلباثين، بالتناوب مع البانسترين. أظهر رومف أن التيلباثين متطابق مع الهارمين، قلويد البيرغانوم هارمالا.

من الواضح أن البانيستريا كابي لا يسبب الإدمان.

جوزة الطيب. - أحياناً يلجأ المُدانون والبحارة إلى جوزة الطيب. يبتلعون حوالي ملعقة طعام من المادة الممزوجة بالماء. تشبه الماريجوانا في أثرها- مصحوبة بصداع وغثيان كأعراض جانبيّة. من المحتمل أن يموت المرء قبل الإدمان، إذا أدمن أصلاً. تعاطيتُ جوزة الطيب مرة واحدة فقط.

هناك عدد من المخدرات من عائلة جوزة الطيب استهلكها الهنود في أمريكا الجنوبية. وعادة ما يتم تناولها عن طريق استنشاق المسحوق المجفف للنبتة. المعالجون يتعاطون هذه المواد الضارة، ويصابون بحالة من التشنج. يُعتقد أن تشنجاتهم وتمتماتهم لها أهمية نبويّة. كان أحد أصدقائي مريضاً بشدة لمدة ثلاثة أيام بعد تعاطيه لعقار من عائلة جوزة الطيب في أمريكا الجنوبية.

الداتورة-سكوبولامين. - مدمنو المورفين كثيراً ما يصابون بتسمم عن طريق تعاطي المورفين الممزوج مع السكوبولامين.

في إحدى المرّات، حصلتُ على بعض الأمبولات، كل منها يحتوي على سدس حبة من المورفين وجزء من المئة من حبة سكوبولامين. لأني ظننت أن حبة الجزء من المئة كانت كمية لا تذكر، أخذت ستة أمبولات بضربة واحدة. كانت النتيجة حالة ذهانية استغرقت بعض الساعات تم خلالها تكبيلي من قبل مالك الشقة الذي كان يعاني لفترة طويلة. لم أتذكر شيئاً في اليوم التالي.

يتمّ استخدام أدوية مجموعة الداتورة من قبل الهنود في أمريكا الجنوبية. ويقال إن حالات الوفاة متكررة.

وقد استخدم الروس السكوبولامين بصفته «سمّاً للاعتراف بالحقيقة». كانت النتائج إشكالية. قد يكون المشتبه به على استعداد للكشف عن أسراره، لكنه ليس قادراً على تذكرها. غالباً ما يتم الخلط بين القصة البرّانية والمعلومات السرية. حسب علمي، نجح الميسكالين في استخراج المعلومات من المشتبه بهم.

إدمان المورفين هو مرض أيضيّ ناجم عن استخدام المورفين. أعتقد أنّ العلاج النفسي ليس مجدياً بل ومضرّ أيضاً. إحصائياً، الأشخاص الذين يدمنون المورفين هم أولئك الذين يمكنهم الوصول إليه بسهولة: الأطباء والممرضات وأي شخص على اتصال بالسوق السوداء. في بلاد فارس حيث يباع الأفيون من دون رقابة في المتاجر، فإن ٧٠ في المئة من السكان البالغين مدمنون. هل يعني ذلك أنّه علينا أن نحلّل نفسياً عدة ملايين من السكان لنعرف ما هي الصراعات والمخاوف العميقة التي دفعتهم إلى استخدام الأفيون؟ لا

أعتقد ذلك. وفقاً لتجربتي، فإن معظم المدمنين ليسوا مصابين بالعدوى ولا يحتاجون إلى العلاج النفسي. علاج الأبومورفين والوصول إلى الأبومورفين في حالة الانتكاس والعودة إلى الإدمان، سيؤدي بالتأكيد إلى نسبة شفاء أعلى من أي برنامج «إعادة التأهيل النفسي».

هذا الكتاب

«*الغداء العاري* هي مسوّدة، دليلُ المتعاطين... شهوة البؤساء السوداء المفتوحة على مناظر طبيعية أخرى... مفاهيم مُجرّدة، عارية مثل معادَلات جَبريّة، تتقلص وتنكمش إلى غائطٍ أسود أو زوجٍ من الخصى الشائخة... يوسّع دليل المتعاطين مستويات التجربة عن طريق فتح الباب الموجود في طَرف قاعة طويلة... تنفتح الأبواب في صمت فقط... *الغداء العاري* تُطالبُ القارئ بالصمت. وإلا فإنّه يشبه من يقيس نبضه بنفسه...».

وليام س. بوروز

الغلاف : سكينة صلوّن

ISBN 978-9922605432

9 789922 605432